الفكر الاجتماعي عند

الإمام الغزالي

"دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي المقارن "

عبد الرزاق جدوع محمد الجبوري
اطروحة دكتوراه فلسفة في علم الاجتماع /كلية الاداب
من جامعة بغداد

٢٠٠٠م

الإهداء

إلى الرجل الإنسان الذي كان ينتظر هذه الثمرة

معلمي الأول

والدي العزيز . . . . طيب الله ثراه

والى والدتي . . . .ينبوع الطيبة والحنان

والى سندي . . . . شقيقي الكريم

"أبو عمر"

وأشقائي جميعا

اعتراف بالجميل

يسرني وقد انتهيت من كتابة الاطروحة بعون الله سبحانه وتعالى، أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور إحسان محمد الحسن الذي كان خير عون.وان نسيت فلا أنسى فضله وإسهامه الفاعل وفيض كرمه على وعلى هذا الكتاب . وأود أن اذكر تسامحه وأدبه وعلمه الغزير. فقد كان نابها في دقته وتدقيقه، مخلصا للعلم وأهله، رعاني وتحملني طيلة مدة بحثي فجزاه الله عنى خير الجزاء وأدامه للعلم وأهله. انه سميع الدعاء.

ولابد من شكر رئاسة قسم الاجتماع وأساتذته، فانا مدين لهم ،وفقهم الله وأدامهم لما فيه الخير والتقدم.

واشكر من أعانني في تصحيح الأخطاء اللغوية الدكتور مهدي صالح الشمري والدكتور سرحان جفات. نسأل الله القدير أن يديمهم ذخرا لنا ويوفقهم لما فيه الخير والفلاح. كما واشكر الأخ الخطاط جواد الزيدي على مجهوده القيم .

وشكري وتقديري إلى منتسبي المكتبة المركزية بجامعة بغداد.

واشكر منتسبي مكتبة كلية الآداب ،ومكتبة الدراسات العليا والمكتبة الوطنية،ومكتبتي قسم الاجتماع والفلسفة على الخدمات الجليلة التي قدمتها لي..

واعتذر عمن لم اذكره لضيق المقام والله المستعان.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول	١١
تمهيد	١٢
١- الفكر (Thought):	١٣
٢- الفكر الاجتماعى (Social Thought) :	١٤
٣- الاجتماع الإنسانى Human Society	١٦
٤- التنشئة الاجتماعية Socialization	١٩
٥- التنشئة الأخلاقية:(Ethical Socialization)	٢٠
٦- النفس البشرية (Human Self):	٢٢
٧- طبقات المجتمع (Society Classes) :	٢٥
٨- الانتقال الاجتماع Social Mobility	٢٦
الفصل الثانى	٢٨
تمهيد :	٢٩
١- دراسات عراقية:	٣١
الدراسة الأولى الموسومة " الفكر الاجتماعى عند الغزالى " للأستاذ إحسان محمد الحسن	٣١
الدراسة الثانية الموسومة "الفكر الاجتماعى عند الإمام الغزالى" للباحث رباح مهدي	٣٤
الدراسات العربية:	٣٦
الدراسة الثالثة الموسومة "مفهوم الإنسان فى الإسلام فى كتابات الإمام الغزالى" للدكتور على عيسى عثمان.	٣٦
الدراسة الرابعة الموسومة"حاجة الإنسان إلى الاجتماع وإنشاء البلاد فى كتابات الإمام الغزالى" للأستاذ محمد جلال شرف:	٣٩
٣- دراسات أجنبية:	٤١
الدراسة الخامسة الموسومة " الفكر الاجتماعى عند الإمام أبى حامد الغزالى" للبروفسور مارتن ديل.	٤١
الدراسة السادسة الموسومة "المناهج والسببية والأخلاق عند الإمام الغزالى " للبروفسور أم. شريف	٤٣

الفصل الثالث ٤٧
المبحث الأول: الإطار النظري ٤٨
المبحث الثاني: الإطار المنهجي ٥٠
١.المنهج التاريخي: ٥٠
٢.المنهج الاستقرائي أو ألاستنتاجي: ٥١
٣.المنهج الاستنباطي: ٥١
٤.المنهج المقارن ٥٢
الفصل الرابع ٥٣
تمهيد: ٥٤
المبحث الأول: حياته ومكانته العلمية و البلدان التي طاف بها ٥٥
أ- حياته ٥٥
ب- مكانته العلمية: ٥٧
ج –البلدان التي طاف بها الغزالي ٥٨
المبحث الثاني: مؤلفات الغزالي ٦٢
١- مقاصد الفلاسفة (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) ٦٤
٢- تهافت الفلاسفة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ٦٤
٣- إحياء علوم الدين: ٦٥
٤- أيها الولد (٥٠١هـ/١١٠٨م) ٦٧
٥- المنقذ من الضلال (٥٠٢هـ /١١٠٩) ٦٧
الفصل الخامس ٧٠
تمهيد: ٧١
المبحث الأول: العوامل الاجتماعية ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي ٧٢
المبحث الثاني: العوامل السياسية، ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي ٧٥
المبحث الثالث: العوامل الفكرية، ماهيتها وأثرها على فكره الاجتماعي ٧٨
المبحث الرابع: التراث العلمي والمعرفي اليوناني في فكره الاجتماعي ٨١
المبحث الخامس: الإسلام وأثره في فكره الاجتماعي ٨٤
الفصل السادس ٨٧
تمهيد ٨٨
المبحث الأول: المنهج التاريخي (Historical Method) ٨٩

المبحث الثاني: المنهج الاستقرائي(Inductive Method)..... ٩٢
المبحث الثالث : المنهج الاستنباطي (Deductive Method)..... ٩٥
المبحث الرابع: المنهج المقارن (Comparative Method) ٩٨
الفصل السابع..... ١٠١
تمهيد :..... ١٠٢
المبحث الأول : الإنسان حيوان اجتماعي..... ١٠٣
المبحث الثاني: زيادة الكثافة السكانية وتعقد التفاعلات بين البشر..... ١٠٧
المبحث الثالث: النظم الاجتماعية واثر القانون فيها..... ١١١
الفصل الثامن..... ١١٩
تمهيد ١٢٠
المبحث الأول: القيم والسلوك الاجتماعي..... ١٢٢
المبحث الثاني: اثر القيم في تكوين السلوك..... ١٢٧
المبحث الثالث: أساليب التنشئة الاجتماعية والأخلاقية..... ١٣٠
المبحث الرابع: قنوات ومفردات التنشئة الاجتماعية الأخلاقية ١٣٥
الفصل التاسع..... ١٤١
تمهيد ١٤٢
المبحث الأول: ماهية وأنواع الطبقات الاجتماعية في فكر الإمام الغزالي..... ١٤٣
المبحث الثاني: العامل الأساس الذي استند إليه الغزالي في تصنيف المجتمع إلى طبقات ١٤٧
المبحث الثالث : العوامل الموضوعية والذاتية لتحديد الانتماءات الطبقية عند الإمام الغزالي ١٥٢
المبحث الرابع: ظاهرة الانتقال الاجتماعي عند الغزالي..... ١٥٦
المبحث الخامس : أسباب ونتائج الانتقال الاجتماعي في فكر الغزالي..... ١٦١
الفصل العاشر ١٦٤
تمهيد ١٦٥
المبحث الأول : الفكر الاجتماعي عند فريد ريك هيجل (١٧٧٠-١٨٣١ م) ١٦٦
المبحث الثاني: الفكر الاجتماعي عند اوكست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧م)..... ١٦٩
المبحث الثالث :الفكر الاجتماعي عند هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣م): ١٧٣
المبحث الرابع :الفكر الاجتماعي عند اميل دوركهايم (١٨٥٨-١٩١٧م)..... ١٧٧
المبحث الخامس :الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)..... ١٨٠

المبحث السادس :مناقشة الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي في ضوء الفكر الاجتماعي
عند كل من هيجل ، وكونت ، وسبنسر ودوركهايم ١٨٤
الفصل الحادي عشر ١٨٩
الخلاصة والاستنتاجات ١٩٠
المصادر العربية ١٩٧
المصادر الأجنبية: ٢٠٨

المقدمة

تهدف دراسة الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي التي هي دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي المقارن إلى توضيح أهم الإضافات الفكرية والعلمية والمنهجية التي قدمها لتطور الفكر الاجتماعي ، والتربوي ، والسياسي العالمي من خلال فحص الإسهامات التي جاء بها في ميادين علم الاجتماع والتربية والسياسة والفلسفة الاجتماعية ، والدين ، هذه الميادين التي تشكل العمود الفقري للبناء الاجتماعي للمجتمع العربي الذي عاصره المفكر وتأثر في أحداثه وظروفه الموضوعية والذاتية. فضلا عن إن الدراسة تهدف إلى تجسيد حقيقة دور العرب في تنمية الدراسات الاجتماعية ،والغزالي من إعلام العرب في الاجتماع الذين طوروا دراسة النظرية الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية من خلال دراساته العلمية المتخصصة في مجال الاجتماع الإنساني، والتنشئة الاجتماعية والأخلاقية، وطبيعة النفس البشرية، وطبقات المجتمع ،والانتقال الاجتماعي. علماً إن الفكر الاجتماعي الذي جاء به يعد فكراً رائداً في مجال الدراسات الاجتماعية لان الموضوعات التي تناولها بالبحث والتحليل تفتقر إلى المعلومات الكافية والمنسوبة إليه التي يمكن إن يستعين بها الباحثون والدارسون في الكتابة عن علم الاجتماع عند الغزالي.

واجهت معاناة منهجية وفكرية وسوسيولوجية كبيرة لدى دراستي للفكر الاجتماعي عند الغزالي لان أفكار الغزالي الاجتماعية لم تكن جاهزة أو مكتوبة بشكل موضوعات مستقلة بل إن الباحث استطاع إن يستنبطها من دراسات الغزالي في الفلسفة والدين ، والتصوف والتاريخ واللغة والأدب . وذلك لتناثر موضوعات علم الاجتماع التي تناولها الغزالي بالدراسة والبحث هنا وهناك لاسيما في الحقول التي تفرد في كتابتها وبخاصة الدين، والفلسفة، وفلسفة الدين، والتربية، والتاريخ. وهنا واجهت صعوبات جمة في فصل الحقائق الاجتماعية التي عرضها الغزالي في سياق دراساته للشريعة، والدين والفلسفة، والتصوف، والتربية. وعندما فصلت المعلومات الاجتماعية ذات الطابع السوسيولوجي عن المعلومات الدينية، والشرعية، واللغوية، والأدبية، والتربوية التي كتب فيها الغزالي، أصبح ولأول مرة فكر الغزالي الاجتماعي واضحا ويمكن معرفة سماته المميزة وتبيان الفروقات الجوهرية بينه وبين الطروحات الاجتماعية التي جاء بها المفكرون الاجتماعيون العرب أمثال ابن خلدون ، والفارابي ، وابن تيمية ، وإخوان الصفا، والبيروني، من جهة وبين الطروحات الاجتماعية والفكرية التي جاء بها المفكرون الاجتماعيون الأوربيون أمثال فريدرك هيجل، واوكست كونت، وهربرت سبنسر، وأميل دوركهام. ذلك إذا عرفنا إن الدراسة عالجت بشيء من التفصيل الإضافات الاجتماعية التي وهبها المفكرون الأوربيون إلى علم الاجتماع ومقارنتها بالدراسات الاجتماعية التي جاء بها الإمام الغزالي. وهنا يمكن التوصل إلى حقائق واضحة عن أوجه الشبه والاختلاف بين الفكر الإجتماعي للغزالي والفكر الاجتماعي عند علماء الاجتماع الأوربيون المشار إليهم أعلاه.

من هنا نلاحظ بان الدراسة الحالية عن الفكر الاجتماعي عند الغزالي انما هي دراسة رائدة أو دراسة توضح الإضافات الفكرية والعلمية التي جاء بها والتي نمَّت وطورت علم الاجتماع كموضوع مستقل عن العلوم الاجتماعية الأخرى في ضروب ومجالات شتى. والدراسة لا تقف عند هذا الحد بل تذهب إلى ابعد من ذلك. إذ أنها توضح أهم المناهج العلمية التي اعتمدها الغزالي في جمع المعرفة العلمية ،و المعلومات

وتصنيفها ، وتحليلها ، وتنظيرها. إذ يمكن الإفادة منها في المعرفة ما كان يبحثه من أمور وقضايا اجتماعية تهم سكان مجتمعه وقضاياهم الخاصة والعامة.

إن الدراسة تستند إلى نظرية ومنهج متكامل في تفسير الحقائق والظواهر، والعمليات الاجتماعية التي كان يكتب عنها الغزالي بصورتها العلمية المتخصصة أو بالإشارة إليها في الموضوعات الأخرى التي كان يكتب عنها كالشريعة، والدين، والفلسفة، والفقه، والتربية. فالنظرية الاجتماعية التي استخدمتها في هذا المؤلف هي النظرية الاجتماعية للغزالي وليس أي نظرية اجتماعية أخرى جاء بها عالم الاجتماعي أخر، فالغزالي هو غني بفكره وخصب في طروحاته النظرية وثر وعميق بالمبادئ، والقيم الاجتماعية والأخلاقية التي كان يحملها ويعلم الناس بها فلا حاجة إن نذهب إلى عالم أو مفكر أخر لنأخذ منه النظرية ونطبقها على الإضافات التي قدمها الغزالي لعلم الاجتماع. لذا اعتمدنا النظرية الاجتماعية عند الغزالي لتكون مسارا علميا وموضوعيا نهتدي بها وذلك من خلال تعاليم الغزالي حول حقيقة الاجتماع الإنساني ، وطبيعة دراسة العوامل الموضوعية والذاتية المؤثرة فيه . فضلاً عن العمل كإطار نظري بتعاليم الغزالي عن النفس البشرية التي من خلالها استطاع إن يستوعب طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه. لذا فدراسة حقيقة الاجتماع الإنساني مع دراسة النفس البشرية تعد بمثابة الأطر النظرية التي اعتمدنا عليها في فهم واستيعاب ما جاء بالاطروحة من حقائق ومعلومات اجتماعية كتب عنها الغزالي ودرس فيها..

إما المناهج التي استعنا بها فكانت معظمها المناهج التي استخدمها الغزالي في أبحاثه ودراساته الاجتماعية، والفلسفية، واللغوية، والتربوية. فالكتاب يعتمد على أربعة مناهج أساسية هي المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج المقارن، كما ذكرناها بالتفصيل في الفصل السادس عند التحدث عن مناهج البحث لدى الغزالي.

إن لهذا الكتاب اهميتين أساسيتين أولهما: الأهمية النظرية وثانيهما: الأهمية التطبيقية، فالأهمية النظرية تكمن في الإضافات الفكرية التي جاء بها الغزالي في موضوعات الاجتماع الإنساني، وأجزاء النفس البشرية، والطبقات الاجتماعية، والانتقال

الاجتماعي، والقيم، والسلوك، والتنشئة الاجتماعية والأخلاقية، هذه الموضوعات التي يمكن إن يفيد منها الباحثون والدارسون في فهم طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع وما يختلج المجتمع من ظواهر وعمليات وتفاعلات اجتماعية تقع بين الإفراد والجماعات والمجتمعات المحلية ، والطبقات التي درسها بشيء من التحليل والتفصيل .علما إن الموضوعات التي طرقها الغزالي في بحثه العلمي قد أضافت الشيء الكثير إلى تطوير النظرية الاجتماعية في مجالات كثيرة يمكن إن يغنيها الباحثون المعاصرون بالبحث والتحليل.

إما الأهمية التطبيقية للدراسة فهي إن كل موضوع من الموضوعات النظرية الذي تناوله الغزالي في بحوثه ودراساته الفكرية يمكن إن يساعدنا في فهم طبيعة الإنسان والمجتمع وطبيعة الحياة الاجتماعية . ومثل هذا الفهم يمكننا من تطوير وتنمية بعض مجالات المجتمع وبالتالي النهوض بالمجتمع إلى واقع جديد. واقع يتسم بالتنمية والتطوير أي تنمية الأخلاق، والسلوك، وطرائق التربية التي من خلالها نستطيع إن نبني الجيل الجديد وفقا للقيم العربية الإسلامية، ووفقا لمعطيات وواقع المجتمع العربي الإسلامي.كما تفيد الإضافات النظرية للفكر الاجتماعي في مجال آخر ذلك هو معرفة كيفية تخفيف الفوارق الطبقية بين الإفراد وكيفية تحقيق التكامل بين فئة المفكرين و العلماء و الحكماء، وفئة العمال و الفلاحين والكاسبين. إذ أن كل فئة مهمة للفئة الأخرى، ومهمة لعملية النهوض و التقدم الاجتماعي الذي يشهده المجتمع العربي الإسلامي.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

- مقدمة تمهيدية
- الفكر
- الفكر الاجتماعي
- الاجتماع الإنساني
- التنشئة الاجتماعية
- التنشئة الأخلاقية
- النفس البشرية
- طبقات المجتمع
- الانتقال الاجتماعي

تمهيد

لكل بحث مهما كان اختصاصه مجموعة مصطلحات ومفاهيم علمية تتكون منها الفروض التي يريد الباحث أو العالم اختبارها وتجربتها بغية تحويلها إلى نظريات يمكن إضافتها إلى النظريات التي اكتشفها العلماء في اختصاص أو حقل معين. وعلى الباحث تحديد حقلا مستقلا ومعرفا بمعاني المفاهيم العلمية في بداية بحثه، ليكون القارئ المختص أو غير المختص على بينة منها، وليفهم الفرضيات والنظريات والنتائج النهائية التي توصل إليها البحث[١].

وتعرف المفاهيم العلمية بأنها الآراء والأفكار أو مجموعة معتقدات حول شيء معين، أو أسماء تطلق على الأشياء التي هي من صنف واحد أو من الأسماء التي تطلق على الصنف نفسه. علما أن هذه المفاهيم هي اصطلاحات تجريدية لا يمكن عدها النظرية نفسها بل هي جزء مهم منها طالما أنها تتكون من مجموعة أفكار مترابطة منطقيا وجدليا. والأفكار هي أشياء داينميكية تتغير وتتحول تبعا لتغير العصر وتقدم المفاهيم[٢].

هناك أربعة أسباب تدفع الباحث إلى تخصيص فصل مستقل للمصطلحات والمفاهيم العلمية لعل من أهمها:

الأول: تحديد المفاهيم يمكن القارئ من استيعاب وإدراك وفهم معنى المصطلح، لكي يستطيع بعد ذلك فهم الأطروحة ومتابعتها بكل مل يتعلق بها من مباحث وفصول[٣].

الثاني : دراسة الباحث للمصطلحات والمفاهيم لن يتحدد بدراسة معنى واحد للمفهوم أو المصطلح، وإنما يتناول بالدراسة والتحليل عدة مفاهيم، ومعاني ودلالات لهذه المصطلحات، وتنسب هذه التعاريف إلى شخصيات علمية مرموقة، ومتخصصة بالكتابة

([١]) الحسن، احسان محمد (د)، الحسني، عبد المنعم(د)، طرق البحث الاجتماعي، مطبعة دار الكتب والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١، ص٧١.

([٢]) دينكن ، ميشيل (البروفسور)، معجم علم الاجتماع، ترجمة الاستاذ الدكتور احسان محمد الحسن، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص٧٥.

([3]) Back, W.T. and et al. Modern Issues in Social Research, John Wiley and Sons, New York, 1983, p.33.

فيها. وهنا يكون القارئ قد الم بكل ما ينطوي من معلومات، ودلالات، ومعاني تتعلق بالمفاهيم[١].

الثالث : استعمال المفاهيم و المصطلحات العلمية في الأطروحة يعد المفاتيح المركزية التي من خلالها يستطيع الباحث كما يخبرنا "فردينانند تونيس " في كتابه المجتمع المحلي و المنظمة ، أن يبني النظرية الاجتماعية التي تحلل الموضوع إلى عناصره الأولية و تعطي أبعاده و مضامينه الأساسية . إذ أن المفاهيم تعتبر العناصر المهمة لبناء النظرية التي يعبر عنها الباحث في كتاباته العلمية[٢].

الرابع : ما يصوغه الباحث من معنى جديد للمفهوم ، وهذا المعنى هو التعريف الإجرائي الذي ينحته الباحث بعد استعراضه للمفاهيم كافة التي ذكرها العلماء المختصون وهذا المفهوم الإجرائي الجديد إنما يوفق بين جميع المفاهيم المطروحة على ساحة البحث و يطبق المفهوم تطبيقا آليا و إجرائيا على موضوع الأطروحة المزمع القيام بها[٣].

أما المفاهيم التي سنبحثها في هذا الفصل فهي على النحو الأتي :

١- الفكر (Thought):

يعني الفكر في اللغة بأنه إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ويقال في الأمر فكر أي نضر و روية [٤]. كما يعني تردد القلب في الشيء بالنظر والتدبر[٥] أي ترتيب أمور معلومة في التأدية إلى مجهول [٦]. و يعرف أيضا بأنه " تطور ذهني أو قوة تبعث فكرات أخرى و تدفع إلى العمل "[٧]. وهكذا جاء الفكر في معاجم اللغة العربية

([1]) Ibid, p.35.

[2] Ibid, p.41.

[3] Ibid, p.43.

[٤] إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، مطبعة شركة مساهمة مصرية للطبع، القاهرة، ١٩٦١، ص٧٠٥.

[٥] ابن الحسين بن زكريا اللغوي، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٤، ص٧٠٤.

[٦] البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧، ص٦٩٩.

[٧] ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٢٢.

يفيد معنى التفكر والتأمل. أما معجم وبستر الموسع فيعرفه بأنه " مظهر الشيء عند مقابلته لواقعه، و هو قد يكون مفهوما عقليا أو رأي أو اعتقاد"[١].

و يعرف الفكر في موسوعة علم النفس بأنه "فكرة تخطر في بال المرء عند هنيهة لاحقة فيما بعد و تطلق التسمية على تفسير أو إجابة تطرأ على البال متأخرة و تخطر للذهن بعد فوات الأوان" [٢]. كما يعرف بأنه نقيض الإحساس و الانطباع فهو يرمز لصور العمليات الفكرية والإدراكية[٣]. ويعرف بأنه "إجراء معرفي ومحتوى عقلي، أو صورة عقلية، وخطة عمل وافتراض"[٤]. و ذكر الباليساني معنى التفكير العقلي "بالعملية العقلية التي تصدر حكمها على الواقع الذي ينتقل من الدماغ بواسطة الحواس، فيربط الدماغ بينه وبين المخزون فيه من المعلومات السابقة المستقرة ثم يصدر حكمه عليه فيحصل الفكر"[٥].

ونستطيع ألآن أن نشتق تعريفاً إجرائياً مفاده أن الفكر هو تصور ذهني يحمله الفرد في عقله عن الواقع الاجتماعي. علماً بان هذا التصور هو نقيض الواقع والإحساس أو الانطباع لأنه قائم على التجريد والتجربة.

٢- الفكر الاجتماعي (Social Thought) :

يعرف الفكر الاجتماعي بأنه "ظاهرة عقلية تنتج عن عمليات التفكير القائم على الإدراك و التحليل والتعميم، ويتميز عن العاطفة التي تصدر عن ميل انفعالي لا يستند إلى التجربة، وتدور حول فكرة أو موضوع " [٦]. كما يعرف بأنه " صورة المجتمع أو الكون أو الذات التي يحملها الفرد في عقله ، وعند فحصها تظهر بعض العناصر المستقلة عنها،

---

[1] Noah, Webster, Webster New Twentieth Century Dictionary, Second Edition, William, Collins, 1978, p. 902.

[٢] رزوق ، اسعد ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العامة للطبع والنشر ، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص٢٤٠.

[٣] الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٥، ص٣٧٦.

[٤] دسوقي ، كمال (د)، ذخيرة علوم النفس، المجلد الأول ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨، ص٦٧٢.

[٥] الباليساني، احمد الشيخ محمد، التفكير في الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩، ص١٢٣.

[٦] بدوي، احمد زكي(د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.

والتي تدعى بالأفكار " [1]. ويعرف أيضا بأنه "شيء يمكن دراسته وتفسيره بموجب إطاره الاجتماعي والحضاري ، ومن خلال هذا الإطار فانه عند المفكرين ينبع من بيئتهم الاجتماعية ، ويتأصل في موقعهم وطبقتهم والفترة الزمنية التي يعاصرونها ويساهم في نمو المجتمع وتطوره"[2] لان المجتمع يقوم على وجود الإنسان المستند إلى تفكيره المتفاعل مع بيئته [3].

تواجه دراسة الفكر صعوبة في تحديد بدايتها ، فالعلوم الاجتماعية نشأت نشأة واحدة كما لو كانت علماً واحداً ثم ما لبثت إن تخصصت فيما بعد[4]. والتقدم في مجال الفكر الاجتماعي كان نتيجة لنمو الحضارة التي أسهمت فيه الكثير من المجتمعات عبر مراحل عديدة [5]، ونتيجة لهذا ظهر العديد من المفكرين الاجتماعيين الذين أسهموا في نموه. إذ تركوا في بلاد وادي الرافدين وصايا لا تزال حتى ألآن من مقومات الحياة الاجتماعية[6]. وهذا يعني أن الفكر الاجتماعي ظهر لدى مفكري الشرق الذين سبقوا فلاسفة اليونان في الوصول إلى طائفة غير يسيرة من الأفكار والنظريات التي رددها اليونانيون وغيرهم فيما بعد[7]، ولهذا فان فلاسفة اليونان يعترفون بفضل حضارات الشرق عليهم[8].

الجدير بالذكر أن الفكر الاجتماعي اتخذ في كل حقبة مسارين أولهما مثالي وثانيهما واقعي، وبين هذين الطريقين اتخذ كل مفكر اجتماعي مساره محاولاً إثبات وجهة نظره[9].

---

[1] ماج، جارلس (البروفيسور)، المجتمع في العقل، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠، ص٩.

[2] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي: دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص٣٧.

[3] العمر، معن خليل(د)،تاريخ الفكر الاجتماعي،مطابع جامعة الموصل،الموصل،١٩٨٥، ص٩.

[4] محمد، محمد علي (د)، تاريخ علم الاجتماع، ج٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص٨.

[5] ديورانت ، وول، قصة الحضارة ، ج٢، المجلد الأول ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٦،ص٩٥-١٠٠.

[6] موسكاتي، سبيتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧، ص٩٥-١٢٠.

[7] الخشاب، مصطفى (د)، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، الدار القومية للطباعة، بيروت، ١٩٦٥، ص٨.

[8] عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي،مكتبة القاهرة الحديثة،القاهرة،١٩٧٢، ص٢٢.

[9] احمد، غريب محمد سيد(د)، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٣-٤.

فالفكر الاجتماعي في العالم الإسلامي انقسم إلى مسارين: مثالي كما مثله الفارابي، وواقعي، كما مثله العلامة ابن خلدون، الذي يعد قمة كبيرة وصلها الفكر الاجتماعي في العالم العربي الإسلامي قبل أن يتمكن الأوربيون من الوصول إلى هذا المستوى[١]. وهكذا فان المفكرين الاجتماعيين العرب أسهموا في تطور الفكر الاجتماعي الغربي، وارسوا القواعد الأساسية للفكر الاجتماعي العربي من خلال الإضافات العديدة التي قدموها في هذا المجال[٢]. ومن بين هؤلاء المفكرين الاجتماعيين العرب يبرز الإمام الغزالي الذي ابتدع آراء وأفكارا اجتماعية عظيمة. إذ بحث في نشأة المجتمعات ونظمها، فلمس الكثير من الموضوعات الاجتماعية التي أكدها ابن خلدون فيما بعد. لكن الغزالي تأملها من وجهة نظر دينية ، ولولا ذلك لكان سابقاً ابن خلدون في إنشاء علم الاجتماع[٣].

من هذه التعاريف المختلفة للفكر الاجتماعي نستطيع أن نشتق تعريفاً إجرائياً مفاده أن الفكر الاجتماعي هو العقائد والأفكار التي يشترك فيها الإفراد ضمن المجتمع الواحد أو الجماعة الواحدة ، وتعبر هذه الأفكار عن سلوك ومصالح وأهداف الفرد والمجتمع كما أنها تنتقل من جيل إلى آخر تبعا لتطور المكان والزمان.

٣- الاجتماع الإنساني Human Society

لكل عالم أو مفكر اجتماعي مفهوم عن الاجتماع الإنساني، وهذه المفاهيم ذكرها المفكرون الاجتماعيون في سياق دراستهم لموضوع الاجتماع الإنساني، أي لماذا كون الإنسان المجتمع منذ البداية أو لماذا المجتمع ؟ وقد اختلفت تعريفات الاختصاصيين الاجتماعيين للاجتماع الإنساني بعضها عن بعض باختلاف النظرية الاجتماعية أو المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها المفكر أو العالم. إذ أن التعريف الذي يأتي به المفكر إنما يشتق من نظريته الاجتماعية وتعاليمه عن المجتمع والاجتماع الإنساني[٤]. فالفارابي

---

[١] جلال، يحيى، تاريخ الفكر الاجتماعي، المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٨٨-٨٩.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، الجذور التاريخية لمنهج العلوم الاجتماعية عند العرب، مجلة المورد، العدد١، ١٩٨٨، ص٧٣.

[٣] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص١٢.

[4] Davis, K. Human Society, Macmillan Press, London, 1973, p.11.

يعرف الاجتماع الإنساني في كتابه "أهل المدينة الفاضلة" بانه الرغبة الجامحة عند الإفراد لتكوين مجتمع يعتمد على النظم والقوانين الاجتماعية والأخلاقية والمعايير القانونية التي يمكن أن تجلب السعادة للإنسان، والسعادة للإنسان لا يمكن أن تتوافر إلا ببلوغ الكمال ، والكمال هو شيء لا يمكن الوصول إليه دون وجود مجتمع يعتمد على قوانين تحدد واجبات وحقوق الرعية بالنسبة للحاكم وحقوق وواجبات الحاكم بالنسبة للرعية[١].

أما ابن خلدون فيعرف الاجتماع الإنساني كما يسميه في كتابه "المقدمة" بأنه الإرادة الجماعية التي تنبعث من رغبة الإفراد في تكوين كيان اجتماعي يحفظ حقوقهم ويؤمن حاجاتهم، ويمكن المجتمع من بلوغ غاياته . ولولا الفوائد الكثيرة للاجتماع البشري لما فكر الإنسان بوجود هذا الاجتماع. الاجتماع الذي يقر بتكوين مؤسسات وجماعات تسمى بنظم العمران البشري ، هذه النظم التي تتفاعل فيما بينها وتكون الاجتماع البشري الذي يحتاجه الإنسان حاجة ماسة لان طموحات وأهداف الإنسان يمكن أن تتحقق بوجود نظم العمران البشري التي خصص لها ابن خلدون فصولاً مستقلة في كتابه المقدمة[٢].

أما " توماس هوبز" فيعرف الاجتماع الإنساني في كتابه " العقد الاجتماعي " والذي يقول بأنه ظاهرة تدفع التجمع الإنساني إلى تكوين دولة عن طريق الاستفتاء لتحمي الناس وتوزع الحقوق بالتساوي على الإفراد إضافة إلى توزيعها للواجبات التي تسير جنبا إلى جنب مع الحقوق. والاجتماع الإنساني عند "هوبز" يسمى بالحتمية الاجتماعية، أو العلية الاجتماعية بمعنى أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده ولا يمكن أن يكون مستقلا عن المجموع، لذا يكون مجتمعا محليا أو جماعة اجتماعية يستطيع أن يتعاون معها لكي يخدمها في إشباع حاجاتها وتخدمه في تحقيق طموحاته وسد حاجاته[٣].

---

[١] الفارابي، أبو نصر، أهل المدينة الفاضلة، تقديم وشرح إبراهيم جزيني، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت، ١٩٧٦، ص٨٤.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٣.

[3] Hobbes, T. Social Contract and other Essays, New House Press, London, 1943, p. 12-14.

أما "روبرت مكايفر" فيعرف الاجتماع الإنساني في كتابه "المجتمع" بالقول أنه ضرب من ضروب التضامن الاجتماعي الذي يحدث بين الإنسان وأخيه الإنسان من اجل تحقيق المصلحة العامة ، أي مصلحة الفرد ومصلحة المجموع. أما الدوافع التي تدفع الإنسان للاجتماع الإنساني هي كما يقول "مكايفر" فهي الغريزة الاجتماعية ، فهذه الغريزة هي التي تجعل الإنسان بعيدا عن العزلة الاجتماعية وقريبا من الآخرين . وقرب الإنسان من الآخرين لا يكون بشكل عشوائي كما يظن البعض وان ينظم بشكل مجتمع أصغره مجتمع الأسرة وأكبره مجتمع الدولة[1].

أما "الإمام الغزالي " فانه تطرق في كتابه الموسوم "إحياء علوم الدين " بان الاجتماع الإنساني هو شيء لابد منه في قيام المجتمع البشري. إذ أن المجتمع البشري يظهر بعد ظهور الحاجة إلى التجمع البشري أي تفاعل الإنسان مع أخيه الإنسان لإشباع حاجته والتي أهمها الحاجة الاجتماعية، تلك الحاجة التي تضع الإنسان في حالة ارتياح عندما يكون باتصال أو بمحك مع الإنسان الآخر ، ويكون في حالة قلق وارتباك وحيرة وخوف عندما يكون بعيدا عن الآخرين لان بعد الإنسان عن الآخرين يتعاكس مع الاجتماع الإنساني الذي وعى إليه الإمام الغزالي في كتابه المذكور أعلاه، ثم أن الدين لا يمكن أن يظهر ويترسخ في المجتمع من دون وجود نوع من أنواع الاجتماع الإنساني، ذلك أن وجود الافراد في المسجد لأداء فريضة الصلاة وهو شكل من أشكال الاجتماع الإنساني الذي لا يتوخى إشباع الحاجة الروحية حسب بل يتوخى إشباع الحاجة الاجتماعية التي يعيش الإنسان معها[2].

ومما ذكر من تعريفات مختلفة للاجتماع الإنساني نستطيع أن نشتق تعريفا إجرائيا للاجتماع الإنساني مفاده ذلك التفاعل الإنساني الذي يقع بين الإفراد نتيجة وجود دافع اجتماعي يحثهم للاتصال بالآخرين لأسباب قد تكون اجتماعية بحتة كما "يعتقد ابن خلدون" أو تكون سياسية كما يعتقد "هوبز" أو تكون اجتماعية دينية كما يعتقد "الإمام الغزالي".

---

[1] Maciver, R. Society, New York, 1951, p. 49.

[2] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٧-٤٨.

٤- التنشئة الاجتماعية Socialization

هناك الكثير من التعاريف التي تناولت مفهوم التنشئة الاجتماعية لكننا نحاول هنا أن نعرج على بعضها . علما أن التعاريف التي تناولت هذا المفهوم لا تعدوا أن تكون واحدة في الجوهر والمعنى . فالتنشئة الاجتماعية عملية معقدة تعتمد أساليب ووسائل لتحقيق ما تصبو إليه . أو أنها عملية التطبيع الاجتماعي، أي تهيئة الفرد للبيئة الاجتماعية[١]. إذ يتعلم من خلالها الأدوار الاجتماعية . أو تعرف بأنها "عملية التفاعل الاجتماعي الذي يتم من خلاله تكوين الوليد البشري ، وتزويده بالمعايير الاجتماعية بحيث يتخذ مكانا معينا في نظام الأدوار الاجتماعية أو يكتسب الشخصية النموذجية للمجتمع"[٢]. كما تعرف بأنها "عملية اجتماعية – نفسية تتقوم بها نفسية الفرد وتتطور بالتعلم في العائلة وخارجها ، وبوسائل الضبط الاجتماعي كي يتوائم الفرد مع حضارته وتتضمن عملية التنشئة غرس قيم الجماعة ومثلها وأهدافها في نفس الفرد"[٣]. أو تعرف بأنها "عملية التثبيت التي تستمر طوال الحياة كلها. إذ يتعلم الفرد القيم والرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي يشارك فيها[٤].

وتعرف التنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل والطريقة التي يتم بها تشكيل الإفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة "[٥]. أو إنها "إعداد الفرد منذ ولادته أن يكون كائنا اجتماعيا، والأسرة هي أول بيئة تتولى هذا الإعداد فهي تستقبل المولود وتحيط به وتروضه على آداب السلوك الاجتماعي"[٦]. كما تعرف بأنها"عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم

---

[١] الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مصدر سابق، ص٣١٥.

[٢] رزوق ، اسعد ، موسوعة علم النفس، مصدر سابق، ص٦٦.

[٣] سليم، شاكر مصطفى(د)، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١، ص٨٩٩-٩٠٠.

[٤] الجوهري، عبد الهادي (د)، قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣، ص٧١.

[٥] بدوي، احمد زكي(د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٤٠٠.

[٦] مدكور، إبراهيم (د)، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٨٤.

مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدربا على إشغال مجموعة من ادوار تحدد منطق سلوكه اليومي"[١].

أما الإمام الغزالي فيعرف التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تعليم الإفراد العادات والتقاليد، والمثل، والقيم، والمقاييس الاجتماعية التي يتم غرسها عن طريق التنشئة التي تمارسها الأسرة والمكتب (المدرسة) والرفقة[٢]. فهي كما يؤكد الغزالي لا تتم إلا في وسط اجتماعي[٣]. ثم إنها خاضعة للنظام الديني الذي يعد الأساس في هذه العملية، أي أنها تجسيد لإرادة الله سبحانه وتعالى.

٥- التنشئة الأخلاقية:(Ethical Socialization)

تختلف التنشئة الأخلاقية عن التنشئة الاجتماعية . إذ أن التنشئة الاجتماعية هي عملية واسعة واكبر من عملية التنشئة الأخلاقية. فالتنشئة الاجتماعية تعني تربية النشئ الجديد على لعب الأدوار والتفاعل مع الآخرين وأداء الواجبات المناطة بالأدوار التي يحتلها . كما تعني التنشئة الاجتماعية أيضا تدريب النشئ الجديد على المهارات المطلوبة من الفرد في حياته اليومية و التفصيلية كالتدريب على الكلام ، و النطق ، و التدريب على حسن التعامل مع الآخرين ، و التدريب على التكيف للجماعة و المجتمع الذي يجد الإنسان نفسه فيه . فضلا عن استدخال القيم و المبادئ السلوكية عند الإفراد لكي يحدد مسار سلوكهم في المجتمع[٤]. أما لتنشئة الأخلاقية فهي عملية صب أخلاقية المجتمع بما فيها من مقاييس و قيم و ضوابط في عروق الفرد منذ الصغر. إذ عندما يكبر يكتسب جميع القيم والمقاييس والضوابط التي يحتضنها المجتمع[٥]. وهناك من عرف التنشئة الأخلاقية بأنها

---

[١] ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٣٢٨.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٥٢.

[٣] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية والآداب،جامعة الكويت، ١٩٧٤، ص٣٣٩.

[4] Johnson, H. Sociology, A systematic Introduction, Routledge and Kegan Poul, 1963, p. 112.

[5] Durkheim , Emile. The Ruler of Sociological Method, The Free press, New York, 1950, p. 2.

عمليــة اســتدخال أخلاقيــة المجتمــع فــي ذات الفــرد لتكــون ذات الفــرد تحمــل الأخلاقيــة الاجتماعية التي يرتضيها المجتمع و يعتبرها جزءا لا يتجزأ من كيانـه الاجتمـاعي و نظامـه الأخلاقي[١]. فـي حـين عـرف آخـرون التنشـئة الأخلاقيـة بأنهـا ضـرب مـن ضـروب التربيـة القيمية التي تمس جوهر الفرد و نفسيته الداخلية و ضميره الاجتمـاعي بحيث تكـون هنـاك موازنـة بين أخلاقية الفرد وأخلاقية المجتمع .إذ أن هذه الموازنـة لا يمكـن أن تكـون إلا مـن خلال التنشئة الأخلاقية[٢].

كـذلك عرفـت التنشـئة الأخلاقيـة بأنهـا عمليـة بنـاء الضـمير عنـد الفـرد عبـر عمليـات التنشئة الاجتماعية التـي يمـر بهـا منـذ ولادتـه حتـى بلوغـه. علمـا بـان الضـمير أو الوجـدان عنـد الفـرد يتـأثر بالنظـام الأخلاقـي لـدى المجتمـع و الـذي لا يمكـن للفـرد أن يكتسـبه إلا مـن المعلمـين و المـربيين و قـادة الأخـلاق و السـلوك[٣]. لـذا نسـتطيع أن نقـول بـان التنشـئة الأخلاقية هي تربية الفرد على التحلي بـأخلاق المجمـوع أي بـأخلاق المجتمـع بمـا فيهـا مـن مقـاييس و معـايير قيميـة تميـز الخيـر والشـر ، و بـين الخطـأ والصـواب وبـين السـوي والمنحرف.

ومـن الجـدير بالـذكر أن التنشـئة الأخلاقيـة يهـتم بهـا العديـد مـن المختصـين لا سـيما علمـاء الاجتمـاع، أو علمـاء الـنفس ، أو علمـاء الأخـلاق ، أو علمـاء الـدين . ومهمـا تكـن طبيعة الاختصاص الذي يضطلع به المختص فـان التنشـئة الأخلاقيـة تركـز علـى دفـع الفـرد إلـى التحلـي بقيم وأخـلاق المجتمـع لكـي يكـون سـويا ومقبـولا مـن الآخـرين وبالتـالي يكـون قادرا على التكيف مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه. أما إذا كانـت عمليـة التنشـئة الأخلاقيـة غيـر سـليمة لسـبب أو آخـر فـان أخلاقيـة الفـرد تكـون مضـطربة، هـذا الاضـطراب الـذي يـؤثر سـلبا فـي سـلوكيته وبالتـالي يخـل بطريقـة تكيفـه للمجتمـع[٤]. لهـذا

---

[١] تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة الدكتور محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٧٦.

[٢] المصدر السابق، ص١٧٧.

[3] Kant, I. The Principles of Moral Philosophy. Evans press, London, 1955, p. 22.

[4] Ibid, p.29

يسعى علماء الأخلاق في حقل الفلسفة الأخلاقية إلى الاهتمام بالتنشئة الأخلاقية لأنها أساس السلوك القويم والعلاقات المتوازنة و التكيف الاجتماعي.

مما ذكر أعلاه من تعاريف مختلفة للتنشئة الأخلاقية نستطيع أن نشتق تعريفا إجرائيا مفاده مجموعة الجهود التي يبذلها المربون إزاء الأبناء والصغار من اجل استدخال أخلاق المجتمع بما فيها من قيم و مقاييس وضوابط في ذاتية الفرد لكي تكون هذه الذاتية متكيفة مع المجتمع ، وبالتالي فاعلة في الوسط الذي تتعامل معه . علما بان هناك الكثير من الفلاسفة و المربيين أكدوا على التنشئة الأخلاقية كما فعل " الإمام الغزالي " في كتابه " أيها الولد " . إذ أن التنشئة الأخلاقية بالنسبة له هي عملية جعل الولد يتحلى بأخلاق أبيه أو أخلاق ولي أمره، وإذا لم يكن كذلك فانه لا يمكن أن يكون ناجحا في تعامله مع المجتمع و يكون مرفوضا من قبل مسئوليه و مربيه وقادته مهما تكون نوعية الجماعات التي يقودها .

٦- النفس البشرية (Human Self):

تعرف النفس من الناحية اللغوية بأنها "عين الشيء وجوهره وكنهه"[١]. أو أنها صورة الجسم الجوهرية الحاملة لقوة الحياة[٢]. كما تعرف بأنها "الروح الحيوانية ذات الجوهر المشرق للبدن وعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن"[٣]. و"النفس تجري على ضربين : احدهما يفيد معنى الروح ،وثانيهما يفيد معنى حقيقة الشيء وجملته "[٤]. وتعرف أيضا بأنها "الصفات الجوهرية لأي شخص أو شيء[٥]. وهكذا النفس كما جاءت في معاجم اللغة تفيد معنى جوهر الجسم أو الشيء وهويته وذاته .

---

[١] الشيخ محمد رضا، معجم متن اللغة، المجلد٥، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨، ص٥١٤.

[٢] ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، المجلد الاول، مصدر سابق، ص١٦٧.

[٣] البستاني ، بطرس، محيط المحيط، مصدر سابق، ص٩٠٨.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٣٣.

[5] Noah, Webster, Webster, New Twentieth Century Dictionary, Op. Cit, PP. 1645-1646.

وتعرف النفس من الناحية النفسية بأنها " الجزء الجواني الداخل من الشخصية وهو الجزء القائم على اتصال مع العقل الباطن أو اللاشعور"[١]. فهي الأنا و الشخصية ، أو وعي الفرد بهويته و استمراريته و صورته ، و الذات كما تتبدى في علاقتها الاجتماعية والتي يعرفها كل شخص تكون له بصاحبها علاقة ، وعلى ذلك فالفرد له ذوات اجتماعية كثيرة بقدر ما يعرف من أشخاص[٢].

و تعرف النفس البشرية "الجانب اللامادي و العنصر الروحي للإنسان، أو أي كائن حي ، و النفس نقيض الجسم ، و إنها تنفصل عنه بصورة مؤقتة في حالتي النوم و الغيبوبة "[٣]. و تعرف بأنها " مظهر الشخصية الذي ينطوي على إدراك الشخص لذاته، أي الصورة التي يراها الفرد عن نفسه كنتيجة لتجاربه مع الآخرين، والانطباع الذي يكونه عن نظرتهم إليه، وتنمو النفس من خلال عملية التنشئة والتفاعل الاجتماعي"[٤]. و تعرف أيضا بأنها "العامل المتداخل الذي يصف تكامل الصفات النفسية عند الفرد و يستخلص الصفات المستندة إلى العبارات التي يذكرها الفرد والتي تصف شخصيته كما يدرسها هو ذاته"[٥]. ويعرف الإمام الغزالي النفس البشرية تعريفا نفسيا. إذ يرى بأنها ليست الجزء الداخلي العاقل لدى الفرد كما عرفه فلاسفة اليونان أمثال " سقراط" و " أفلاطون "و "أرسطو" وإنما هو الجزء الداخلي الذي تزوده الشهوات، وإنها إذا ما انطلقت للبحث عن حاجاتها و مطالبه فإنها ستترك أثرا تدميريا في المجتمع ، ومن هنا تدعو الحاجة إلى وجود القانون كموجه أو ضابط لسلوك الإنسان[٦].

---

[١] رزوق ، اسعد ، موسوعة علم النفس، مصدر سابق، ص٣١٧.

[٢] الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مصدر سابق، ص٢٧٥.

[٣] سليم، شاكر مصطفى(د)، قاموس الانثروبولوجيا، مصدر سابق، ص٩١٢.

[٤] بدوي، احمد زكي(د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٣٧٢.

[٥] ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٦٧.

[٦] محمد، فاضل زكي (د)، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره، دار الطبع والنشر الأهلي، بغداد، ط١، ١٩٧٠، ص٢٨٦.

أما التعريف الإجرائي للنفس البشرية فهي الروح أو الجوهر الحامل لقوة الحياة وهذا الجوهر يمثل الجزء المشرق للبدن ، أو الجزء الجواني الداخلي للشخصية (الذات) وتنمو النفس أو الذات من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، وذلك من اجل كبح جماحها.

٧- طبقات المجتمع (Society Classes) :

تعرف الطبقة من الناحية اللغوية بأنها " المرتبة، فمثلا يقال للناس طبقات أي مراتب، والطبقة (القوم المتشابهون) "[١]. كما تعرف بأنها " مجموعة من الإفراد لها مستوى اجتماعي معين يحدده القانون، أو الرأي العام، و هذا الاصطلاح لم يستعمل معناه الاجتماعي إلا منذ عهد قريب نسبيا أي سنة ١٧٦٦م"[٢]. و تعرف أيضا بأنها " عدد من الناس أو أشياء تجتمع مع بعضها البعض، وذلك بسبب بعض التشابهات والصفات العامة"[٣].

وتعرف الطبقة من الناحية الاجتماعية بأنها "مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بأداء دور متماثل في عملية الإنتاج الاقتصادي، وينظمون في سلك موقف واحد إزاء غيرهم من الأشخاص داخل الجهاز الاقتصادي"[٤]. كما تعرف بأنها " مجموعة من الناس تجمعها روابط اقتصادية أو دينية أو تربوية أو أسرية " [٥]. أو أنها " قطاع من المجتمع يتميز عن البقية ليس بالقيود الناشئة عن اللغة أو المحلة أو الوظيفة ، بل بالشعور ببعد اجتماعي يدخل فيه كقاعدة ظروف موضوعية ، مستوى الدخل ،امتيازات المهنة داخل المجتمع "[٦]. كما تعرف بأنها " مجموعة من أفراد المجتمع يتجمع أعضاؤها بمستوى اجتماعي متجانس، وتتميز عن غيرها من الطبقات بمستوى اقتصادي،وسلوك، وطراز معيشي خاص بها، ويستعمل المستوى الاقتصادي والمهنة والعمر لتصنيف المجتمع إلى طبقات"[٧]. وتعرف بأنها " فئة كبيرة من الناس داخل نظام طبقي يتميز بمركز اجتماعي واقتصادي واحد بالنسبة للفئات الأخرى في المجتمع، والطبقة غير منظمة ولكن الإفراد الذين تتكون منهم متشابهون مع بعضهم البعض في التعليم، والحالة الاقتصادية، والمركز

---

[١] البستاني ، بطرس، محيط المحيط، مصدر سابق، ص٩٠٨.

[٢] ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، المصدر السابق، ص١٢٥.

[3] Noah, Webster, Webster, New Twentieth Century Dictionary, Op. Cit, p. 334.

[٤] رزوق ، اسعد ، موسوعة علم النفس، مصدر سابق، ص٢٥٠.

[٥] الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مصدر سابق، ص٣٠٨.

[٦] دسوقي ، كمال (د)، ذخيرة علوم النفس، مصدر سابق، ص٢٥٠.

[٧] سليم، شاكر مصطفى(د)، قاموس الانثروبولوجيا، مصدر سابق، ص١٧٨.

الاجتماعي وفرص الحياة[1]. وتعرف الطبقة بأنها" مجموعة من الإفراد في مستوى اجتماعي واحد بحكم القانون أو العرف ويربطهم شعور مشترك بأنهم يلتقون في بعض النواحي الخاصة بهم، ويقسم المواطنون عادة بحسب سنهم إلى طبقات كالزراع والصناع"[2]. وتعرف أيضا بأنها مجموعة تتميز عن غيرها باختلاف في المستوى الاجتماعي الذي يتحدد بعوامل شتى منها الدخل، التخصص، المستوى العلمي، الحسب والنسب، وما إلى ذلك من الفوارق التي توجد في المجتمع "[3].

ويعرف الغزالي الطبقات بأنها جماعات من الناس تمارس أعمالا معينة، وممارسة هذه الأعمال من دون غيرها عند هؤلاء الناس يعتمد على طبيعة النفس البشرية التي تميزهم ، ذلك أن النفس العاملة (العاقلة) التي تسيطر على البشر تجعل منهم جندا. بينما النفس العاملة (الغريزية) هي التي تحدد أن يكون الإنسان عاملا أو فلاحا، أو منتجا[4].

٨- الانتقال الاجتماع Social Mobility

يعرف الانتقال الاجتماعي بأنه"المراكز الاجتماعية المرتبة ترتيبا متدرجا، مراكز تتميز بالقوة والاحترام والثروة كلما كانت مواقعها مرتفعة على الهرم الاجتماعي. والانتقال الاجتماعي للفرد في المجتمعات الصناعية الحديثة يعتمد على الجهود الذاتية للفرد نفسه. ولا يعتمد على المراكز الوراثية"[5]. كما يعرف بأنه "تحرك الإفراد والجماعات من مركز اجتماعي إلى مركز اجتماعي آخر. وهناك نوعان من التحرك : تحرك راسي ، ويكون للأعلى أو للأسفل. وتحرك أفقي ويكون من مركز إلى آخر في نفس الطبقة "[6]. ويعرف الانتقال بأنه "ترتيب تسلسلي للمراكز الاجتماعية في المجتمعات الصناعية بحيث تزداد امتيازات الثروة والقوة ، والاحترام كلما صعدنا أعلى التسلسل

---

[1] بدوي، احمد زكي(د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٩٢.

[2] مدكور، إبراهيم (د)، معجم العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٣٦٣.

[3] ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٣١٠.

[4] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية بمصر، القاهرة، ص٥٤.

[5] ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٨٩.

[6] بدوي، احمد زكي(د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٣٩٠.

الهرمي، ويستطيع أي شخص الانتقال من مركز اجتماعي إلى آخر اعتمادا على ما يكسبه من وسائل في متناول يده"[١]. كما يعرف بأنه "اصطلاح يشير إلى انتقال الأشخاص أو الأفكار داخل نطاق نسق اجتماعي واحد أو دائرة ثقافية واحدة، أو بقعة محددة من الأرض"[٢]. أو انه "انتقال الفرد أو الجماعة من مكان أو وضع إلى آخر. والانتقال أما أن يكون أفقيا كانتقال الإفراد أو الجماعات من مكان إلى آخر، وفي منزلة الفرد وأدواره الاجتماعية، أو يكون عموديا كاحتلال الفرد مركزا أعلى أو هبوطه إلى مركز أدنى في مجتمعه "[٣]. كما يعرف بأنه "حركة الإفراد والأسر والجماعات من موقع اجتماعي معين إلى موقع اجتماعي آخر"[٤]. ويعرف أيضا بأنه "انتقال الفرد من جماعة أو طبقة إلى جماعة أو طبقة أخرى داخل المجتمع"[٥].

يعرف الإمام الغزالي الانتقال الاجتماعي بأنه عملية ارتفاع وهبوط الإفراد على سلم الهرم الطبقي . علما بان الارتفاع يتم من خلال المثابرة والعمل والجد لتحسين أحوال المجتمع، فالتاجر أو الفلاح يستطيع الانتقال إلى طبقة أعلى من طبقته إذا كان مجدا ، وابن الحاكم أو رجل الدين قد ينزل إلى طبقة أدنى إذا اخفق في الحفاظ على مكانته المكتسبة [٦]. ومثل هذا الصعود أو الهبوط يسمى بالانتقال الاجتماعي.

أما التعريف الإجرائي للانتقال الاجتماعي فينص على انه حركة الإفراد أو الجماعات من موقع اجتماعي واحد إلى آخر. وهناك نوعان من التحرك: رأسي ويكون إلى أعلى أو إلى أسفل، وافقي ويكون من مركز إلى آخر ضمن الطبقة أو في مستوى اجتماعي واحد.

---

[١] الجوهري، عبد الهادي (د)، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٨٨.

[٢] مدكور، إبراهيم (د)، معجم العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص١٢١.

[٣] سليم، شاكر مصطفى(د)، قاموس الانثروبولوجيا، مصدر سابق، ص٦٣٧.

[4] Dived, L. SILLS. Encyclopedia of social Sciences. The Macmillan Co. and The Free press .New York , 1972, Vol.14, p. 229.

[٥] الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مصدر سابق، ص٣١١.

[٦] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٥٧-٥٨.

الفصل الثاني

دراسات سابقة

مقدمة تمهيدية

١- دراسات عراقية

٢- دراسات عربية

٣- دراسات أجنبية

تمهيد :

يعد فصل الدراسات السابقة من الفصول المهمة التي تدرسها الأطروحة ، وذلك لأنه يمهد السبيل للباحث أن ينتهج خطا علما نظريا يتوافق والمسارات المرجعية والمنهجية للدراسة الحالية . ذلك أن الدراسة الحالية تبدأ من حيث انتهت الدراسات السابقة وتسعى لتضيف إليها إضافات علمية واضحة من شأنها أن تطور مجال المعرفة العلمية المتخصصة التي تقع في ميدان التراث والفكر الاجتماعي العربي وقد أبدع فيه علماء كالغزالي الذي يعد من المنظرين والمفكرين الاجتماعيين العرب الذين أسهموا إسهامات جادة وفاعلة في إنماء وتطوير الفكر الاجتماعي العربي.

بيد أن الدراسات السابقة تغني الدراسة الحالية في عدة مجالات لعل أهمها ما توضح للباحث من الموضوعات الدراسية التي طرقها الباحثون عن الغزالي لكي يستطيع الاستفادة منها في الدراسة الحالية[1]. ويتجنب التكرار قدر المستطاع . بل يحاول أن يثريها بإضافات علمية بناءة لها أهميتها في تطوير موضوع الفكر الاجتماعي عند الغزالي لاسيما وان فكره قد درسه الباحثون من زوايا متعددة تتعلق بالشريعة ، والدين، والفلسفة، واللغة، والنحو، والبلاغة، والأدب ، وعلم النفس . لكن الدراسات الاجتماعية عن فكره نادرة أن لم نقل معدومة. لذا تزعم هذه الدراسة أن تكون الإضافة الفكرية التي تغني الموضوعات الاجتماعية التي تناولها الإمام الغزالي بالبحث والتحليل.

ومن الدراسات السابقة يستطيع الباحث أن يستقي معلومات عن الأطر الفكرية والمناهج الدراسية التي اعتمدها الغزالي في دراساته. إذ أن هناك العديد من الباحثين تناولوا المناهج الدراسية التي اعتمدها الغزالي في جمع المعلومات والحقائق وتصنيفها وتنظيرها . ومن هذه المعلومات يستطيع الباحث أن يفيد في أغناء ما يتعلق بالدراسة المنهجية والمرجعية الخاصة ببحثه[2].

و الدراسات السابقة يمكن أن تفيد الباحث في المعلومات والحقائق التي تنطوي عليها، والتي يمكن أن يستخدمها الباحث في الفصول العلمية المتعلقة بأطروحته الحالية

---

[1] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٩.

[2] المصدر السابق، ص٤١.

بمعنى آخر أن الدراسات تغني الدراسة الحالية بالبيانات ، والحقائق ، والمعلومات عن أهم الأفكار و الطروحات التي عبر عنها الغزالي في سياق دراسته الاجتماعية لاسيما ما يتعلق بأصل نشوء المجتمع والدولة وتقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية و تصنيف المجتمعات و أصول التربية و آثارها في الدين و السلوك الديني الملتزم فضلا عن القيم التي بحثها في معظم دراساته و مؤلفاته و التي تعد العمود الفقري لفكره الاجتماعي و الديني و السياسي [١].

و أخيرا يمكن أن تكون الدراسات السابقة مفيدة للدراسات الحالية لان الباحث يستطيع الاعتماد على المعلومات التي خلصت إليها الدراسات السابقة ، و يقارن هذه المعلومات بالخلاصة و الاستنتاجات و الطروحات التي توصلت إليها الدراسة الحالية لكي يقرر الباحث بعد ذلك مدى اقتراب أو ابتعاد ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج الدراسات السابقة ، أي هل تعزز الدراسات السابقة ما توصلت إليها الدراسة الحالية أم تبتعد و تفترق عنها ، بل وحتى يمكن تتناقض معها ، وهذه الحقيقة يمكن الوصل إليها بعد الانتهاء من الدراسة الحالية [٢]. لذا لا يمكن مناقشة أو تبيان الملاحظات على الدراسات السابقة في هذه المرحلة من البحث لان هذا سيكون عند الانتهاء من الدراسة الحالية و بالتالي التوصل إلى معلومات وحقائق تدلل مدى الاقتراب أو الافتراق بين نتائج الدراسات السابقة ونتائج الدراسات الحالية[٣].

---

[١] المصدر السابق، ص٤٤.

[2] Merton, R. Social Theory and Social Structure, The Free Press, New York, 1968, p.3.

[3] Ibid, pp.4-5.

١ ـ دراسات عراقية:

الدراسة الأولى الموسومة " الفكر الاجتماعي عند الغزالي " للأستاذ إحسان محمد الحسن [١]:

تعد هذه الدراسة من أهم الدراسات السابقة لارتباطها الوثيق بدراستنا، و هي أول دراسة نظامية في مجال الفكر الاجتماعي العربي، وقد وردت في كتاب المؤلف " رواد الفكر الاجتماعي". إذ افرد فصلا مخصصاً عنوانه "الفكر الاجتماعي عند الغزالي ".

يخبرنا المؤلف بان الغزالي حاول من خلال مؤلفاته العديدة طرح الكثير من الأفكار و التعاليم الاجتماعية التي أنمت دراسات الإنسان و المجتمع و طورتها في ظروف و مجالات شتى . إذ ابتدع الغزالي منهجية أصيلة في البحث و الدراسة العلمية اعتمد عليها في جمع الحقائق والمعلومات وتصنيفها وتنظيرها واعتمادها في تفسير الظواهر الإنسانية والحوادث الاجتماعية والمشكلات الحضارية التي شهدها المجتمع . كذلك حلل حقيقة الاجتماع الإنساني، ودرس العوامل الداعية له ووضح فوائده للفرد والجماعة والمجتمع وركز على دوره في بناء الحياة وتطور المدينة ورقي الأخلاق والقيم والمثل التي تعتمدها المجتمعات في حاضرها و مستقبلها . فضلاً عن دراسته لعمليات التنشئة الخلقية للحدث وأثرها في سلوكه وعلاقته و درجة تكيفه للمحيط الذي يعيش فيه و يتفاعل معه ، ووضع في هذا السياق الجماعات و النظم ، والتعاليم المسؤولة عن تهذيب الطفل و بناء شخصيته ، فهو لم يحصر عملية تنشئة الحدث بالأسرة فقط ، بل نظر إلى دور النظم الأخرى في التنشئة لاسيما المدرسة ، والجامع ، والرفقة والظروف الاجتماعية التي يعيشها الحدث[٢].

ركز الغزالي في تفسيره لطبيعة الاجتماع الإنساني و دوافعه على نقطتين أساسيتين هما طبيعة الإنسان و القوى المحركة له ، ودراسة النظم من ناحية أصولها ووظائفها و طريقة تحولها من نمط إلى آخر ، غير انه في دراسته للنظم يؤكد على دور القانون في

---

[١] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٢ـ٤٤.

[٢] المصدر السابق.

ظهورها . علما بان القانون يتأتى من الجانب الروحي للمجتمع ، هذا الجانب الذي يعمل على تنظيم المجتمع و تهذيب سلوك الفرد . إلى جانب ذلك تأثر الغزالي في دراسته لطبيعة الاجتماع الإنساني بالمبادئ الأساسية للإسلام ، والأحداث السياسية ، والاجتماعية ، والروحية التي شهدها عصره والتراث الاجتماعي والحضاري الذي نقله العرب من الإغريق والرومان[1].

يعتقد الغزالي بان النفس البشرية تتكون من قسمين : النفس العالمة والنفس العاملة، فالعاملة هي أساس القوة العضلية عند الإنسان كما إنها تحدد غرائزه الحيوانية . أما العالمة فتقع في منطقة العقل، لذا فهي تحدد الذكاء عند الإنسان وترسم صورة أخلاقه ومثله وميوله واتجاهاته، وان النفس العالمة هي التي يجب أن تسيطر على النفس العاملة وتسيرها وفق تفكيرها[2]. فاجتماعية الإنسان تتأتى له من مصدرين أساسيين هما الغرائز الكامنة في النفس العاملة، والتعلم واكتساب الخبر عن طريق العقل الموجود في النفس العالمة. لكن حتمية الاجتماع تظهر عندما تزداد الكثافة السكانية وتصبح تفاعلات الناس أكثر تعقدا[3].

كما درس الغزالي موضوع التنشئة الخلقية ، ذلك أن الإفراد يتلقون التنشئة كما يؤكد الغزالي منذ بداية حياتهم و يتأثرون بتعاليمها ، فينبغي أن تكون مهتمة بالقيم والمثل المستخلصة من الإسلام ومن خصائص المجتمع ، و هذه القيم والمثل يمكن غرسها عند الإفراد منذ نعومة أظفارهم عن طريق عملية التنشئة الخلقية التي لا تتحملها الأسرة بل تتحملها عدة جماعات أخرى كالمدرسة والمجتمع والرفقة [4]... الخ

حلل الغزالي العلاقة المنطقية بين التربية والسلوك فقال بان السلوك هو نتيجة حتمية للتربية الأسرية والأخلاقية والدينية التي يتلقاها الفرد في المجتمع ،لهذا ركز على أهمية المربي في التربية الناجحة والسلوك القويم وشخص أهم الجهات المسؤولة عن التربية

---

[1] المصدر السابق، ص٤٦.

[2] المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

[3] المصدر السابق، ص٤٩-٥٠.

[4] المصدر السابق، ص٥٢.

الملتزمة كما انه ربط بين التربية القويمة ونهوض المجتمع من جهة ، وبين التربية الفاسدة وجمود المجتمع من جهة أخرى [1].

كما تطرق الغزالي إلى موضوع الطبقات الاجتماعية . إذ قسم المجتمع إلى ثلاث طبقات، ويعتمد في تقسيمه للطبقات على المهنة فهناك طبقة الحكام ورجال الدين التي تحتل مركز الصدارة في المجتمع نظرا للأعباء القيادية والروحية التي تضطلع بها. وهناك الطبقة العسكرية التي تتكون من المقاتلين الذين يتولون مهمة الدفاع عن الدولة . وهناك طبقة التجار والفلاحين والصناع الذين تقع عليهم مهام البيع والشراء والزراعة التي يحتاجها المجتمع. أما الانتماء لهذه الطبقات فيتحدد بالوراثة أو بالانجاز. إذ يسمح النظام الطبقي بدرجة لا باس بها من الانتقال الاجتماعي، وهذا ما يؤكد عليه الإسلام عندما يحث الفرد على المثابرة والعمل لتحسين أحواله وأحوال مجتمعه[2].

لقد تحدث الغزالي عن الاتجاهات السلوكية عند الجماعات المختلفة في المجتمع . كما تحدث عن العلاقات الإنسانية بين الأعلى والأدنى ، فتكلم عن آداب العلاقة الاجتماعية بين الأبناء والآباء وبين الأحرار والعبيد ،وبين الرعية والسلطان[3].

---

[1] المصدر السابق، ص٤٦.

[2] المصدر السابق، ص٥٨-٥٩.

[3] المصدر السابق، ص٦٠.

الدراسة الثانية الموسومة "الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي" للباحث رباح مهدي[1]:

يتناول الباحث في هذه الدراسة فصلا متخصصا يحمل عنوان "رواد الفكر الاجتماعي عند العرب" ومن بين هؤلاء الرواد يبرز الإمام الغزالي . إذ يتناول الباحث أفكاره الاجتماعية بالدراسة والتحليل ، فالغزالي جاء بالكثير من الأفكار والتعاليم الاجتماعية التي لعبت دورا كبيرا في الدراسات الاجتماعية . فقد ابتدع منهجية أصيلة في تفسير الظواهر الاجتماعية والمشكلات التي شهدها المجتمع وحلل حقيقة الاجتماع الإنساني. إذ يرى الغزالي أن الإنسان لا يستطيع العيش لوحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره لتحقيق غايتين أولهما حاجته إلى النسل من اجل البقاء فلا يتم ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى، وثانيهما التعاون لأجل تامين مستلزمات العيش إذ ليس بمقدور الفرد تأمينها وحده ولهذا يحتاج إلى التعاون و التحصن بسور يحيط بالمنزل ، ولهذه الضرورة حدث الاجتماع البشري.

يعتقد الغزالي بان أهمية الاجتماع البشري تعود إلى وجود النفس العالمة التي تدفع الفرد إلى التعلم عن طريق العقل ، والنفس العاملة التي تحدد غرائزه الحيوانية. وان هذا الاجتماع يكون على أنواع متعددة فمنها الاجتماع الاقتصادي، والسياسي، والأسري، فالاقتصادي يدعو إلى تامين الحاجة الاقتصادية للمجتمع، والسياسي يتأصل في طبيعة العلاقة التي تربط الخلافة بالأفراد. ويؤمن الأسري حاجة الفرد إلى إشباع غرائزه البايولوجية عن طريق الزواج ثم الإنجاب وتكوين الأسرة[2].

كما تناول الغزالي موضوع الطبقات الاجتماعية موضحا صفاتها الخاصة والعامة . فهناك طبقة الحكام ورجال الدين التي تحتل موقع الصدارة في المجتمع نظرا للمهام القيادية والروحية المقدسة التي تضطلع بها. وهناك طبقة الجند الذين يتولون مهمة الدفاع

---

[1] مهدي، رباح احمد، الجذور التاريخية لتطوير الفكر الاجتماعي العربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، ١٩٩٦، ص١١٧.

[2] المصدر السابق، ص١١٩.

عن الدولة . واخيرا طبقة الفلاحين والتجار والصناع الذين تقع على عاتقهم مهام البيع والشراء والزراعة وصناعة المواد التي يحتاجها المجتمع. أما الانتماء إلى هذه الطبقات فيتحدد بواسطة الانجاز والوراثة ، ويسمح النظام الطبقي للفرد بالانتقال من طبقة لأخرى من خلال الجد والمثابرة والعمل[1].

كما درس الغزالي موضوع التنشئة الخلقية للحدث وآثارها في سلوكه ودرجة تكيفه مع المحيط الذي يعيش ويتفاعل معه. وفي معرض حديثه عن التنشئة الخلقية بين اثر التربية في السلوك ، وشرح أنواع السلوك، فهناك نوعين من السلوك : سلوك ايجابي وسلوك سلبي، إذ بين أسباب نشأة السلوك السلبي وطرق التخلص منه مؤكدا دور القيم الدينية في تحويل السلوك من منحرف أو سلبي إلى مقبول أو ايجابي. ويعود هذا التحول في السلوك إلى التربية القويمة التي تساهم في بناء المجتمع وتقدمه. كما تطرق إلى موضوع العلاقات الإنسانية في عدد من نظم المجتمع كالعلاقات بين الأعلى والأدنى. وموضوع الاتجاهات السلوكية للجماعات في المجتمع الكبير[2].

---

[1] المصدر السابق، ص١٢٠.

[2] المصدر السابق، ص١٢١.

الدراسات العربية:

الدراسة الثالثة الموسومة "مفهوم الإنسان في الإسلام في كتابات الإمام الغزالي" للدكتور علي عيسى عثمان[1].

في هذه الدراسة فصل متخصص في الكتاب هو الفصل الخامس يحمل عنوان "العالم والمجتمع البشري" يحاول فيه المؤلف توضيح الأفكار التي جاء بها الإمام الغزالي حول حقيقة المجتمع البشري والدور الذي يؤديه الفرد فيه. وهذا الموضوع ينطوي على العلية الاجتماعية ، أي لماذا كون الإنسان المجتمع ؟ ولماذا المجتمع؟ وما هي الدوافع الموضوعية والذاتية المسؤولة عن ظهور المجتمع؟

أن هذه التساؤلات طرحها الإمام الغزالي في كتابه الموسوم "المنقذ من الضلال". إذ انه أكد على نقطة أساسية كانت السبب في ظهور المجتمع البشري وهي أن الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب والمأوى والأمن وهو وحده لا يستطيع إشباع هذه الحاجات والمتطلبات ، لذا يدخل في علاقات تعاونية مع أبناء جنسه ، إذ يتعاون ويتكاتف معهم من اجل خلق الأشياء الأساسية التي يحتاجها والتي يحتاجونها، فيظهر ما يسمى بتقسيم العمل الذي هو نظام يؤدي فيه كل إنسان عملا متخصصا يختلف عن أعمال الآخرين ولكنه يكون مكملا لأعمالهم[2]. وتقسيم العمل الاجتماعي يستلزم تخصص كل إنسان بعمل يختلف عن أعمال الآخرين فيتعاون الجميع على أداء الأعمال المختلفة وهذا التعاون يؤدي إلى ظهور المجتمع البشري.

إذن يرى الغزالي بان المجتمع البشري يظهر كنتيجة لعدم قدرة الإنسان على العيش بمفرده ، والله سبحانه وتعالى هو الذي أراد هذه الأشياء أن تكون لكي تنبعث دوافع التعاون ودوافع الاجتماع. هذه الدوافع التي تجعل البشر لا يستطيعون العيش بصورة انفرادية بل بصورة تعاونية وجمعية، أي يجتمعون سوية من اجل التعاون على خلق

---

[1] **Othman, A.A. The Concept of Man in Islam in AlGhazali Writings, Cairo, 1960, p.165.**

[2] **Ibid, p. 166.**

مقومات الحياة والمجتمع كالمقومات المادية والاجتماعية والروحية . إذ أن التعاون بين بني الإنسان لا يكون حول الأمور المادية حسب بل يكون حول الأمور الاجتماعية، أي أمور الألفة والمحبة والانسجام وتكوين العلاقات الإنسانية على صعيد الإفراد والجماعات، وينطوي التعاون أيضا على قضايا روحية تجمع الخالق العظيم بالمخلوق. علما بان الله سبحانه وتعالى هو الذي جعل المجتمع البشري ضرورة لابد منها[١].

ولكن بعد ظهور المجتمع وتشعبه واستقراره تظهر مشكلات جديدة في العلاقات الانسانية وفي التعاون بين بني الانسان. علما بان المشكلات التي ترافق المجتمع البشري هي مشكلات تظهر في المراحل التحولية التي يشهدها المجتمع. إذ أن كل مرحلة تطورية يمر بها المجتمع تؤدي إلى ظهور مشكلات وحاجات ومطاليب تؤثر في عملية التحول الاجتماعي التي يشهدها المجتمع البشري[٢]. ويؤكد الغزالي على نقطة أخرى هي أن التعقد الذي يكون في نمو المجتمع البشري هو شيء لابد منه. وان الآداب، والفنون، والمهن، والمؤسسات تكون نتيجة للحاجات التي ترافق عملية التطور الاجتماعي التي يشهدها المجتمع البشري علما بان المجتمع لا يشهد مظاهر محددة من التعقد والتطور الاجتماعي. بل أن هذه العمليات التحولية التي تجسد تطور المجتمع إنما هي عمليات مستمرة[٣].

أن قيام المجتمع ينطوي على الاختلاف بين الأفراد. إذ أن الفوارق الفردية تؤدي إلى تخصص الإفراد في أعمال معينة دون الأعمال الأخرى، علما بان قيمة الأعمال التي يمارسها أفراد معينون تختلف عن قيمة الأعمال التي يمارسها أفراد آخرون ، وهذا التباين في الأعمال التي يمارسها أبناء المجتمع إنما يؤدي إلى تخصصهم في أعمال متباينة ، والتباين في الأعمال التي يمارسها الإفراد يمنحهم منازل اجتماعية متباينة وهذه المنازل تحدد السمعة ، والنفوذ، والقيمة الاجتماعية لهؤلاء. فهي تختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى[٤]. وهذا ما يؤدي إلى ظهور الطبقات الاجتماعية التي تكلم عنها الغزالي

---

[1] Ibid, p. 168.

[2] Ibid, p. 169.

[3] Ibid, p. 171.

[4] Ibid, p. 173.

بشيء من التفصيل. إذ قال بان هناك الطبقة العالمة، أي الطبقة التي تتخصص بالأعمال الفكرية والمهنية التي تحتاج إلى دراسة وتخصص علمي وتدريبي، وهذه الطبقة يمكن أن تكون محترمة ومقدرة لان أفرادها يحتلون الأعمال الحساسة في المجتمع. وهناك الطبقة العاملة التي تعمل بعضلاتها وأعمالها لا تحتاج إلى دراسة وتدريب وذكاء وموهبة و دراية في ممارسة المهنة بل تحتاج إلى تدريب بسيط لمزاولة العمل[1].إذن المجتمع عند الغزالي ينقسم إلى طبقتين كل طبقة تمارس أعمالها ، وأعمالها تختلف عن الأعمال التي تمارسها الطبقة الأخرى ، فالطبقة العالمة تمارس أعمالا تتعلق بالدين والتعلم والقضاء والقانون والوزارة والإدارة، ومثل هذه الأعمال تحتاج إلى دراسة وذكاء وخبرة وتجربة في أداء مثل هذه الأعمال[2]. بينما الطبقة العاملة تعمل بيدها أكثر مما تعمل بفكرها، والأعمال التي تزاولها هذه الطبقة هي أعمال البناء والنجارة والحدادة والزراعة وصناعة الأثاث وحياكة النسيج القطني والصوفي...الخ[3]. والأعمال التي تزاولها هذه الطبقة إنما تكون مكملة للأعمال التي تزاولها الطبقة العالمة. أما العوامل المسؤولة عن انقسام المجتمع الإنساني إلى هاتين الطبقتين فهي المهنة، فالمهنة أما تكون عقلية أو فكرية أو تكون يدوية اعتمادا على طبيعة العمل الذي يدخل في إطارها .

أن التناول العلمي الذي أبداه الغزالي في دراسته الموسومة العالم والمجتمع البشري إنما تركز على نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى هي العلية الاجتماعية أي أصل نشوء المجتمع البشري ولماذا المجتمع البشري وكيف تكون وما هو دور الإنسان في تكوينه. والنقطة الثانية التي تطرق إليها الغزالي في هذه الدراسة هي دراسته للطبقات الاجتماعية والتي يعتمد وجودها على نظام تقسيم العمل. فهناك الطبقة العالمة التي تمارس الأعمال الفكرية والعقلية التي تحتاج إلى دراسة طويلة وتدريب متقن. وبالرغم من الاختلافات الجوهرية بين الطبقتين المذكورتين فأن هناك درجة عالية من التكامل الاجتماعي والوظيفي بينهما إلى درجة أن أي طبقة منهما لا تستطيع الاستغناء عن الطبقة الأخرى مطلقا.

---

1 Ibid, p. 175.
2 Ibid, p. 178.
3 Ibid, p. 180.

الدراسة الرابعة الموسومة"حاجة الإنسان إلى الاجتماع وإنشاء البلاد في كتابات الإمام الغزالي" للأستاذ محمد جلال شرف[1]:

وفيه فصل متخصص تحت عنوان : "أبو حامد الغزالي ومكانة السياسة كعلم". من خلال هذه الدراسة يتناول المؤلف جملة من الجوانب الاجتماعية الهامة في فكر الإمام الغزالي كالاجتماع الإنساني والاتجاهات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية.

يرى الإمام الغزالي اضطرار الإنسان إلى الاجتماع مع غيره وذلك لسببين احدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما، والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس وتربية الولد.

فان الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة، والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت . ومن بعد لا يكفيه اجتماع مع الأهل والولد في المنزل، فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده، وهو يحتاج إلى الآلة، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز. وكذلك ينفرد بتحصيل الملبس فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده، وحدثت الحاجة إلى الاجتماع. ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة ، لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص، فافتقروا إلى أبنية محكمة، ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والمطر ، وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها. لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنزل ، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل ، ولهذه الضرورة حدث الاجتماع البشري، إذن الضرورة هي التي تدفع الفرد إلى الاجتماع مع غيره ، فالفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة ، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة ، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح، فيحتاج احدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه، وذلك بطريقة المعاوضة، إلا أن النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلاته ربما يحتاج في ذلك الوقت إلى آلة فلا يبيعه ، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه ، فتتعوق الأغراض ، فاضطروا إلى حانوت يجمع

[1] شرف، محمد جلال، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٦٨.

آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات، والى أبيات يجمع إليها ما يحمله الفلاحون ،فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات وبسبب تبادل الحاجات ظهر الاجتماع الإنساني[1].

أما فيما يتعلق بالاتجاهات الاجتماعية، فالملاحظ أن الإمام الغزالي قد تناولها بالدراسة من خلال تحدثه عن كيفية انشغال الخلق بالأعمال التي يحتاجون إليها من اجل القوت والكسوة ، ولكنهم نسوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا ،خيالات فاسدة .فانقسمت مذاهبهم ،واختلفت أرائهم على عدة أوجه .فهناك طائفة من المجتمع قد سيطر عليها الجهل والغفلة فلم تفلح عيون مُنتَسِبِيها إلى عاقبة الأمور ، شعارها العمل من اجل القوت ومن اجل العمل ،كالفلاحين والمحترفين . وهناك طائفة أخرى تعتقد بان السعادة تكمن في إشباع الشهوات، لذا دأب أبناء هذه الطائفة على الحصول على الملذات. وطائفة ثالثة تعتقد بان السعادة تكمن في كثرة المال واكتناز الذهب والفضة، فسهروا في الليل وتعبوا في النهار لأجل جمع المال ثم يتركون ما كسبوا لغيرهم ، والطائفة الرابعة تظن بان السعادة ينالها الإنسان عن طريق السمعة والمركز الاجتماعي أو المكانة الاجتماعية في المجتمع . وهناك طائفة خامسة تعتقد بان السعادة تتجسد في المناصب الوظيفية العالية التي يحتلها الإفراد في المجتمع. وهكذا فان الاتجاهات الاجتماعية عند الغزالي هي ميول أو اتجاهات عند أفراد المجتمع تتجه بطريقة شعورية أو لا شعورية نحو مهنة أو عمل معين[2].

أما فيما يخص العلاقات الاجتماعية ، فقد تطرق إليها الغزالي من خلال دراسة العلاقة بين الأعلى والأدنى ، أي العلاقة التي تربط الأسياد أو الأحرار بالعبيد ،والآباء بالأبناء ،و السلطان بالرعية . ففي آداب السلطان يقول الغزالي " لا يتصف السلطان بالتكبر والغضب بل لا بد أن يميل إلى العفو والتسامح لان ذلك يجعله شبيها بالأنبياء وان يكون واحدا من الرعية يشعر بمشاعرهم ويحس بآلامهم [3].

---

[1] المصدر السابق، ص٢٦٨-٢٧٢.

[2] المصدر السابق، ص٢٧٣-٢٧٥.

[3] المصدر السابق، ص٢٨٨-٢٩١.

٣- دراسات أجنبية:

الدراسة الخامسة الموسومة " الفكر الاجتماعي عند الإمام أبي حامد الغزالي" للبروفسور مارتن ديل [١].

تحتل هذه الدراسة الفصل الثاني عشر من كتاب طبيعة وأنواع النظرية الاجتماعية. يعد الإمام الغزالي من أهم المنظرين الاجتماعيين العرب الذين اثروا في الفكر الأوربي في مجالات مختلفة . علما بان فكره كان متأثرا بعلم الاجتماع الإسلامي.

إذ أن النظرية الاجتماعية عند الإمام الغزالي قد تأثرت بما جاء به الإسلام من أفكار و حقائق و معلومات تتعلق بطبيعة الفرد و طبيعة الجماعة و المجتمع . ذلك أن الفرد مرآة تعكس بيئته و محيطه، فيما يقع له من أحداث وما يحيط به من عوامل و قوى اجتماعية و موضوعية وذاتية تؤثر في فكره الاجتماعي وتؤثر في طبقته الاجتماعية[٢]. ومثل هذه المعلومات إنما توضح اهتمام الغزالي بعلم اجتماع المعرفة قبل اهتمام الأوربيين بهذا العلم منذ مئات السنين، إذ كان الغزالي سباقا في ميدان اجتماع المعرفة لأنه درس دراسة علمية دقيقة العلاقة بين المحيط والوسط الذي يعيش فيه الإنسان وبين فكره ونتاجه العلمي و الأدبي و الديني وهذا أن دل على شئ فإنما يدل على أن الغزالي يعتقد بتأثير الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان في فكره ،وقيمه، وعاداته وتقاليده ، ووعيه الاجتماعي . كما انه يؤثر في المكانة الاجتماعية التي يحتلها الإنسان في البناء الطبقي للمجتمع الذي يعيش فيه[٣].

إذ أن المحيط و الطبقة تؤثران في الوعي الاجتماعي للفرد تأثيرات واضحة .

ومن الإضافات الأخرى التي أكدها الغزالي في مؤلفه" تهافت الفلاسفة" تعذر تفسير الفكر الديني بأفكار فلسفية عقلانية بل تفسر بأفكار دينية ، علما بان الأفكار الدينية يمكن أن تؤثر في السلوك اليومي و التفصيلي للفرد وهذا يعني أن الإسلام بما ينطوي عليه من مبادئ ، وقيم ونصوص قرآنية ، وأحاديث نبوية يتفوق على الفكر الفلسفي الذي طرحه

---

[1] **Martindale, Don. The Nature and Types of Sociological Theory, Houghton, Miffin Co. Boston, 1986, p. 138.**

[2] **Ibid, p. 139.**

[3] **Ibid, p. 140.**

الفلاسفة العرب المسلمون أمثال " ابن رشد " و "الكندي " و "ابن سينا " و " الفارابي " وغيرهم[1]. وهذا يعني بان الدين لاسيما الإسلام يتفوق على الفلسفة ولا يتأثر فيها وعندما نقول أن الدين يؤثر في الفكر الفلسفي فان هذا يعني بان الدين ينظم شؤون الحياة العلمية و العقلانية . فضلا عن تزويده الفرد بالقيم و المقاييس الأخلاقية التي تحدد ممارسته السلوكية و علاقته الاجتماعية على نحو محدد وهادف.

ومن الإضافات الأخرى التي قدمها الغزالي لتطور الفكر الاجتماعي اعتقاده بالعلاقة المتفاعلة بين الأخلاق والسلوك . علما بان مصدر الأخلاق هو الدين، و الأخلاق تؤثر في السلوك و التفاعلات الاجتماعية اليومية والتفصيلية للفرد في المجتمع . ذلك أن الغزالي يعتقد بان الأخلاق تتجسد في القيم التي يتعلمها الفرد منذ الصغر عبر عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية. فالطفل يتعلم الكثير من القيم الأخلاقية الايجابية كالصدق والإخلاص في العمل، والتعاون، والإيثار، والتواضع، والصراحة، والشجاعة والثقة العالية بالنفس، ويتعلم أيضا بان هناك قيم منبوذة ينبغي تجنبها والتخلي عنها كالكذب، والنميمة، والنفاق، والتكبر، والغرور، والحقد على الآخرين، والعدوان، وضيق الفكر ...الخ. لكن التنشئة الأخلاقية للفرد هي التي تجعله يميز بين القيم الايجابية والسلبية فيتحلى بالقيم الايجابية و يبتعد عن القيم السلبية[2]. وهذا يرجع إلى التربية والدين والعادات والتقاليد التي يأخذها الفرد من مجتمعه. علما بان الغزالي يعتقد بان تقدم حضارة المجتمع المادية و الروحية تعتمد على تبنيه واحتضانه للقيم العليا و تخليه عن القيم الضارة و الهدامة .

والإضافة الأخيرة التي قدمها الغزالي في معظم مؤلفاته كـ"المنقذ من الضلال " و "أيها الولد" و "تهافت الفلاسفة " هي الفصل بين الحقائق و القيم . فالحقائق كما يرى الغزالي تهتم بما هو كائن ، و القيم تهتم بما ينبغي أن يكون ،و الفكر الاجتماعي كما يرى الغزالي ينبغي أن يفصل بين الحقائق و القيم، أي يتمسك بالحقائق كأدلة علمية واقعية تفسر طبيعة الظاهرة الطبيعية و الاجتماعية كما هي دون الدخول في القيم و الأحكام القيمية لا ن الدخول في عالم القيم و الاحكام القيمية عند سرد الحقائق و تفسيرها إنما يفسد الحقائق و يسيء إليها ولا يمكّن الباحث أو العالم من التضلع في الحقائق و التعمق بأطرها التفسيرية[3]. لذا ينبغي فصل الحقائق عن القيم والتقيد بالحقائق كمسلمات علمية و الابتعاد عن القيم في الدراسات الاجتماعية لأنها تضلل الحقائق و تفسد مادتها الأساسية .

---

1 Ibid, p. 139-140.

2 Ibid, p. 141.

3 Ibid, p. 142.

الدراسة السادسة الموسومة "المناهج والسببية والأخلاق عند الإمام الغزالي " للبروفسور أم. شريف[1].

أن هذه الدراسة من عنوانها تهتم بثلاث موضوعات جوهرية هي:

أولا: المنهج عند الغزالي

يعني الغزالي بالمنهج طريقة البحث التي يقتفيها الباحث في دراسته عند تناوله لاي موضوع يبحث فيه ويكتب حوله. والمنهج عند الغزالي هو الشك من اجل التوصل إلى اليقين، فأي معلومات أو حقائق يدرسها الباحث ينبغي أن لا تعد حقائق صحيحة وكاملة الصحة بل يجب أن يشكك أولا بصحتها ومصداقيتها. والشك لا يمكن إزالته أو حذفه إلا من خلال التوصل إلى الأدلة والبراهين والبيانات التي تشير إلى عدم صدقه. وعند التوصل إلى بيانات توضح بان الشك لا مكان له في الدراسة بعد جلب الأدلة والبراهين التي تنفي وجوده فان الباحث أو الدارس يبدأ ببرهان صحة الشيء المدروس، أي التوصل إلى معلومات يقينية بان الشيء المدروس صحيح ويمكن الاعتماد عليه في التوصل إلى الاستنتاج أو الاستنباط الصائب. وهكذا استطاع الغزالي أن يثبت الكثير من الحقائق الدينية والاجتماعية والتربوية من خلال التشكيك بها أولا ومن التشكيك يبدأ الباحث بجلب الأدلة على صحة الشيء المشكوك فيه ، والصحة تقود الباحث إلى اليقين بمصداقية وواقعية الشيء المبحوث[2]. وطريق كهذه استعملها "ديكارت" في أبحاثه ودراساته الفلسفية. إذ كان يبدأ دراسته للظاهرة بالتشكيك بصحتها ثم جلب الأدلة والبراهين للتأكد منها وبعد تأكده منها يبدأ اليقين عنده بصحة وواقعية الظاهرة المدروسة. علما بان ديكارت قد جاء بعدة قرون بعد الغزالي ، أي أن الغزالي قد سبقه في طريقة البحث التي اعتمدها وهي الشك من اجل اليقين.

وبالمنهج لا نعني طريقة الشك من اجل التوصل إلى اليقين ، تلك الطريقة التي استعملها الغزالي بمعظم دراساته بل نعني بها أيضا المناهج التي استعملها الغزالي في البحث. فقد استعمل الغزالي عدة طرق في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها ، ومن هذه الطرق طريقة الاستنتاج وطريقة الاستنباط ، وطريقة المقارنة. فطريقة الاستنتاج كما

---

1 **Sharif, M. History of Moslim Philosophy, Vol. 1, Kemton, Germany, 1963, p. 581.**

2 **Ibid, p. 586.**

استعملها الغزالي تبدأ من دراسة الأجزاء وتنتهي في استنتاج الكل الذي يعبر عن طبيعة الأجزاء المدروسة[١]. أما طريقة الاستنباط فتبدأ من دراسة الظاهرة الكلية وتنتهي بتحليل أجزائها، أي تبدأ من الكل وتنتهي بالجزء. لقد استخدم الغزالي الطريقتين الاستنتاجية والاستنباطية في دراسته للقيم والأخلاق. فالتربية الأخلاقية عند الولد يمكن أن تتحلل إلى أجزائها ومفرداتها الجزئية بواسطة طريقة الاستنباط[٢]. أما طريقة الاستنتاج فإنها تبدأ بدراسة السمات الأخلاقية المفردة عند الولد بغض النظر عن كونها ايجابية أو سلبية ومنها يستنتج الباحث أخلاقية الولد سواء كانت جيدة وملتزمة أو رديئة. واستخدام الغزالي المنهج المقارن في مقارنة الطبقات الاجتماعية التي درسها وهي الطبقة العالمة المشتقة من النفس العالمة والطبقة العاملة المشتقة من النفس العاملة أي قارن الطبقة العالمة بالنفس العالمة والطبقة العاملة بالنفس العاملة[٣].

ثانيا السببية:

يعد الإمام الغزالي من بين الفلاسفة العقلانيين الذين يربطون بين السبب والنتيجة أو بين الحادث والمحدث أو بين السبب والمسبب أو بين العلة والمعلول. فلكل حادثة سبب. فسقوط المطر هو نتيجة للتبخر ، والتصاعد، والتكاثف، وللجوع والعطش سبب، وللحرب سبب وللموت سبب ، ولكل سبب مسبب، أي محدث للشيء ، والله سبحانه وتعالى هو المحدث لكل شيء أي أن إرادة الله تعد من الأسباب الأساسية لوقوع الأشياء[٤]. ومع هذا فان الغزالي يعطي أسبابا لكثير من الظواهر والحوادث التي تقع في المجتمع وهذه الأسباب لها علاقة بطبيعة الأشياء التي تحدث في الكون والمجتمع. فمنها ما تكون أسبابا طبيعية ومنها ما تكون أسبابا اجتماعية، ومهما يكن من أمر فان للظاهرة أسبابا وآثارا والسبب يكون مربوطا بالأثر ربط العلة بالمعلول، فالعامل الاقتصادي قد يكون سببا للعامل التربوي أو السياسي أو العسكري. وهكذا تكون الظواهر مربوطة بعضها ببعض طالما أن الأسباب

[1] Ibid, p. 588.

[2] Ibid, p. 589.

[3] Ibid, p. 591.

[4] Ibid, p. 614.

مربوطة بالآثار والآثار مربوطة بالأسباب[1]. ويمكن دراسة الظواهر من تكرار أسبابها وأثارها . فتكرار الأسباب يقود إلى حدوث الظاهرة، وللظاهرة آثار، والآثار قد تكون متكررة اعتمادا على طبيعة تكرار الأسباب. وهكذا نلاحظ بان الغزالي يدرس السببية الاجتماعية دراسة علمية من حيث أن لكل سبب نتيجة، والنتيجة قد تنتهي بظاهرة جديدة بحيث تكون سببا لظاهرة أخرى. ومنهج السببية عند الغزالي جعله من الفلاسفة العقليين الذين لا يكتفون بوصف الظاهرة ، بل يذهبون إلى ابعد من ذلك ، إذ يوضحون أسبابها ونتائجها.

ثالثا: الأخلاق في فكر الغزالي

اعتمد الغزالي في دراسته لعلم الأخلاق على الدراسات الإغريقية عند أرسطو وأفلاطون. إذ كان متأثرا بدراسته للأخلاق بما جاء به فلاسفة الإغريق من معرفة تتعلق بالأخلاق. ولم يتأثر الغزالي في دراسته للأخلاق بالفلسفة الإغريقية حسب بل كان متأثرا بالأخلاق الإسلامية. إذ إن الأخلاق التي درسها الغزالي كانت معتمدة على النظام الأخلاقي في الإسلام[2]. وفي دراسته للأخلاق بين علاقة الأخلاق بالسلوك ودور القيم في الأخلاق ، واثر الأخلاق في السلوك ألقيمي الايجابي الذي يجسد الشخصية الايجابية عند المسلم والتي أراد أن يجسدها في شخصية الولد الذي اهتم في أصول تربيته وتقويم أخلاقه. إذ حدد السمات الايجابية للأخلاق وكيفية إستدخالها عند الولد عبر عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية والدينية[3].

ففي كتابه "أحياء علوم الدين" وضح الغزالي في الجزء الثالث من الكتاب ماهية القيم الايجابية التي يمكن أن تبني السلوك الملتزم عند الفرد وماهية القيم الضالة التي تنتج في ظهور الشخصية المتصدعة التي لا تلتزم بأمور الدنيا والدين لأنها لم تربَى على القيم الفاضلة والأخلاق الحميدة . ومن هذه القيم السلبية التي تمسخ شخصية الولد عدم

---

1 Ibid, p. 617.

2 Ibid, p. 624.

3 Ibid, p. 627.

احترام الكبار والتطاول عليهم، وبخس حقوقهم والاستهانة بوجودهم، مع التنصل عن ابسط القيم الأخلاقية التي ينادي بها الإسلام كقيم التدين، والصدق والمروءة، والتعاون، والتكافل... الخ[1]. علما بان الأخلاق تحتاج إلى المربي الذي يتولى عملية زرعها عند الولد، وهذا المربي قد يكون أبا أو معلما أو حكيما أو طبيبا أو رجل دين...الخ. والمربي الذي يتولى عملية تربية الولد وبلورة قيمه الأخلاقية يجب ألا يكون متساهلا مع الولد في عملية التربية ولا يكون متشددا وصارما في فرض أفكاره وقيمه التربوية لأنها تؤدي إلى نفور الولد منه. بل يجب اعتماد أسلوب يجمع بين اللين والشدة عند التعامل مع الولد في عملية التربية الدينية والأخلاقية[2].

---

[1] **Ibid, p. 629.**

[2] **Ibid, p. 630.**

الفصل الثالث

الإطار النظري والمنهجي

المبحث الأول: الإطار النظري

المبحث الثاني: الإطار المنهجي

المبحث الأول: الإطار النظري

نعتمد في الإطار المرجعي أو النظري لدراسة الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي على نظريته الاجتماعية الخاصة بحقيقة الاجتماع الإنساني ،وطبيعته و العوامل الموضوعية والذاتية المؤثرة فيه. ونعتمد أيضا في الإطار النظري الذي نستخدمه في دراسة الفكر الاجتماعي عند الغزالي على دراسته للإنسان من خلال دراسة النفس البشرية .لذا فدراسة حقيقة الاجتماع الإنساني و طبيعته مع دراسة النفس البشرية تعد بمثابة المحاور الأساسية للنظرية التي نعتمد عليها في فهم ما جاء بالأطروحة واستيعابه. أن تفسير الغزالي لحقيقة الاجتماع يدفعه إلى التركيز على نقطتين هما طبيعة الإنسان و القوى المحركة له ودراسة النظم والمؤسسات من ناحية أصولها ووظائفها وطريقة تحولها[١]. غير أن الغزالي في دراسته للنظم والمؤسسات يؤكد على دور القانون في ظهورها واستقرارها[٢]. علما بان القانون ينبثق من الجانب الروحي للمجتمع، هذا الجانب الذي يعمل على تنظيم وتهذيب سلوك الفرد ورسم الطريق القويم الذي يسير المجتمع على هداه .

في نظرية الغزالي لأصل نشوء المجتمع يعتقد بأننا لا نستطيع فهم الجماعة والمجتمع من دون فهمنا للفرد، طالما أن الفرد هو الوحدة الأساسية لبناء الجماعة والمجتمع[٣]. اذن يرى الغزالي بان الإنسان ينبغي دراسة طبيعته قبل دراسة الجماعة والمجتمع . ودراسة الإنسان تستلزم معرفة النفس البشرية . فالنفس البشرية تتكون من قسمين هما القسم العامل أو النفس العاملة والقسم العالم أو النفس العالمة. فالنفس العاملة هي أساس القوة العضلية عند الإنسان و أساس الصفات البايولوجية التي تميزه على سائر الكائنات كما أنها تحدد غرائزه الحيوانية ، وترسم معالم قوته بالنسبة للكائنات الأخرى[٤]. أما النفس العالمة فتقع في منطقة العقل، لذا فهي تحدد الذكاء عنده، وترسم صورة أخلاقه

---

[١] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٦١.

[٢] المصدر السابق، ص٦٣.

[3] Aisa, Adam, Al-khazzali Teachings – Beirut , 1974, p. 11.

[4] Ibid, p. 15.

وقيمه ومقاييسه ومثله وتوضح طبيعة ميوله و اتجاهاته ومصالحه وتفكيره وأهدافه. فضلا عن دور النفس العالمة في تحديد المعالم السلوكية والتفاعلية عنده، هذه المعالم التي ترتكز على قوة التفكير والإدراك والتصور [١].

ويعتقد الغزالي بان النفس العالمة أو القوة العالمة التي تتجسد في الأفكار، والآراء والقيم والمعتقدات ، والأخلاق،والفلسفة، والدين هي التي يجب أن تسيطر على النفس العاملة أو القوة العاملة عند الإنسان وتسيرها وفقا لتفكيرها وميولها واتجاهاتها[٢]. إذن النفس العالمة كما يعتقد الغزالي تأتي قبل النفس العاملة لان النفس الأولى تمس عالم الروح، بينما النفس الثانية تمس عالم الجسد والمادة.

وعند دراسة الغزالي في نظريته الاجتماعية لطبيعة النفس البشرية بقسميها الروحي والمادي ينتهي إلى فهمه للفرد، وفهمه للفرد إنما يساعده في فهم الجماعة والمجتمع طالما أن الفرد هو حجر الأساس لبناء الجماعة[٣]. وان الجماعة كما يرى الغزالي هي حجر الأساس لبناء المجتمع. ونظرية الغزالي الاجتماعية لا تفضل الفرد على الجماعة أو المجتمع ولا تفضل المجتمع والجماعة على الفرد وإنما تعتقد بان هناك درجة كبيرة من التكامل بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والمجتمع.

إذن الإمام الغزالي في نظريته الاجتماعية يعتقد بان هناك علاقة جدلية متفاعلة بين الفرد والجماعة والمجتمع. وفي نفس الوقت عند دراسته للنفس البشرية يعتقد بان الروح التي تمثل النفس العالمة تأتي قبل المادة التي تفسر النفس العاملة. وتفسيره للفرد والمجتمع بهذه الطريقة إنما يأتي من إيمانه بالإسلام. فان الإسلام لا يفضل الفرد على الجماعة ولا يفضل الجماعة على الفرد ، والإسلام كما أكد ذلك الغزالي في سياق دراسته الاجتماعية يقدم عالم الروح على عالم المادة ، و يعترف في الوقت نفسه بأهمية المادة في إغناء الروح ، وتنميتها ومساعدتها في إشباع حاجاتها الاجتماعية والروحية[٤].

---

1 Ibid, p. 16.

2 Tomlin, E. The study of Society by Moslim Thinkers, London, 1967, p. 24.

3 Ibid, p. 26.

4 Ibid, p. 26.

المبحث الثاني: الإطار المنهجي

يستعين الباحث في دراسته للفكر الاجتماعي عند الغزالي بأربعة مناهج أساسية هي : المنهج التاريخي ، والمنهج الاستقرائي ، والمنهج الاستنباطي، والمنهج المقارن. علما بان هذه المناهج قد درسناها بالتفصيل في الفصل السادس عند التحدث عن منهجية البحث عند الغزالي. ومناهج البحث عند الغزالي والتي حددناها هي المناهج نفسها التي اعتمدها الباحث في أطروحته لدراسة عناصر الفكر الاجتماعي عند الغزالي، والتي يمكن تناولها كالأتي:

١. <u>المنهج التاريخي:</u>

أن الغزالي يعتمد منهجية تاريخية في دراساته الاجتماعية. إذ اعتمد على المنهج التاريخي في دراسة موضوع تربية الطفل. فالطفل عند تنشئته الاجتماعية يمر بعدة مراحل تطورية هي مرحلة الطفولة المبكرة ، ومرحلة التعلم في المدرسة، ومرحلة الدخول في المجتمع. والتعلم منه المهارات والفنون والمعلومات. أن لكل من هذه المراحل التعليمية شروطها وقواعدها. وان العمر يراعى فيها ونوع المادة العلمية التي يتعلمها الطفل في كل مرحلة من مراحل التنشئة التي يمر بها.

ويستخدم الغزالي المنهج التاريخي في تصنيفه للمجتمعات . إذ يقول بان المجتمعات تتحول من مجتمعات عاملة تتمحور حول الأمور المادية والاقتصادية إلى مجتمعات عالمة تتمحور حول الأمور القيمية، والأخلاقية، والدينية، والعقلية، والفلسفية[١]. علما بان العامل الأساس الذي يدفع المجتمعات إلى التحول من مجتمعات عاملة إلى مجتمعات عالمة هو الدين ودرجة التقرب من الدين، أو الابتعاد منه[٢]. فكلما اقتربت المجتمعات من الدين كلما تحولت إلى مجتمعات عالمة، وكلما ابتعدت المجتمعات من الدين كلما تحولت إلى

---

[١] روجيه ، روين ، منطق البحث عند الغزالي ، ترجمة الياس حنا مرزوق ، القاهرة ، المطبعة الحديثة ، ١٩٦٧، ص١٢.

[٢] المصدر السابق، ص١٤.

مجتمعات عاملة. لكن بصورة عمة هناك تيار عام يشير إلى التحول التاريخي للمجتمعات من عاملة إلى عالمة.

٢. **المنهج الاستقرائي أو ألاستنتاجي:**

المنهج الاستقرائي أو ألاستنتاجي يبدأ بالأجزاء أو الفروع ويزاوج ويؤلف بينهما لكي يتوصل بالنهاية إلى الكل الذي يعبر عن الظاهرة والعملية المراد دراستها وتحليلها. فلو أخذنا الطبقات الاجتماعية عند الغزالي لشاهدنا بان الحكام، والمثقفين، ورجال الدين، والنبلاء، والأغنياء يكونون طبقة أو فئة معينة من الناس. وهناك فئة أخرى تتكون من المقاتلين ، والقادة في الجيش، وهذه فئة أخرى يمكن أن تكون الطبقة الاجتماعية وأخيرا هناك فئة الصناع والمزارعين التي تكون فئة أخرى في المجتمع، ومن مجموع هذه الفئات أو الطبقات ينظر الغزالي إلى موضوع الطبقات الاجتماعية. فالطبقات إذن هي جماعات من الناس تمارس إعمالا معينة. وممارسة هذه الأعمال من دون غيرها عند هؤلاء الناس يعتمد على طبيعة النفس البشرية التي تميزهم. ذلك أن النفس العالمة التي تسيطر على النفس البشرية تجعل البشر حكاما وعلماء وفقهاء وقادة. والنفس العاطفية التي تسيطر على البشر تجعل منهم مقاتلين وعسكريين يدافعون عن المجتمع. بينما النفس العاملة هي التي تحدد الإنسان أن يكون عاملا أو فلاحا أو منتجا. وهكذا ينظر الغزالي إلى الطبقات أو الفئات وما تمارسه من أعمال وما تتميز به من صفات لكي يتوصل بعد ذلك إلى الطبقات الاجتماعية[١].

٣. **المنهج الاستنباطي:**

الذي يفهمه الغزالي هو تحليل الظاهرة الكلية إلى ظواهر جزئية. فمثلا الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها الناس إنما تعتمد على مظاهر جزئية كالحرفة، والتحصيل العلمي، والدخل، والملكية، والمنطقة السكنية، والمظهر الخارجي للفرد[٢]. فالطبقة تحلل

---

[١] المصدر السابق، ص٢٠.

[2] Rime, C. Inductive Logic, London, 1975, p. 33.

إلى هذه العوامل الموضوعية. كما أنها تحلل إلى عوامل ذاتية كطبيعة الشخصية، أو الإدراك، أو الذاكرة، أو التعلم، أو الانتباه، أو المصالح، أو القيم، أو المواقف. فالعوامل الذاتية للانتماءات الطبقية كما يفهمها تتحلل إلى المعطيات النفسية كالإدراك، والشخصية ،والدافع والعاطفة ...الخ [1]. إذن الكل يتحلل إلى أجزاء عن طريق المنهج الاستنباطي . فالمنهج الاستنباطي حلل النفس البشرية إلى نفس عالمة ونفس عاملة ، وحلل الطبيعة الاجتماعية إلى طبقة قيادية وطبقة عسكرية وطبقة عمالية وفلاحية ، كما أن الغزالي استعمل الاستنتاج في تحليل المجتمع إلى جماعة أو جماعات سماها بالنظم الاجتماعية كالنظم السياسية ،والدينية ، والاقتصادية ،والأسرية . وحلل النظم إلى أفراد لهم نفوس بشرية يمكن تحليلها إلى نفس عالمة، ونفس عاطفية، ونفس عاملة.وهكذا يبدأ منهج الغزالي الاستنباطي من الكليات إلى الجزئيات ، ومن العموميات إلى الخصوصيات بعكس المنهج الاستقرائي الذي يبدأ بالجزئيات وينتهي بالكليات أو يبدأ بالخصوصيات وينتهي بالعموميات .

٤. <u>المنهج المقارن</u>

ستعمل الغزالي المنهج المقارن عندما يقارن مراحل التعليم التي يمر بها الولد أو الفتى ، فهو يمر من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة ، ومن مرحلة المراهقة إلى مرحلة النضج والاكتمال عندما يكون ولدا بالغا وناضجا يتحمل مسؤولية المجتمع الملقاة على عاتقه ، ويقارن الغزالي بين المجتمعات العاملة والمجتمعات العالمة بعد أن يعطي صفات وخصائص هذين النوعين من المجتمعات كل على حدة . إضافة إلى قيام الغزالي بمقارنة المجتمع العربي قبل الإسلام ، والمجتمع العربي بعد الإسلام وتوضيحه اثر الدين الإسلامي في تغيير السمات الأساسية للمجتمع العربي .أي مقارنة سمات المجتمع العربي قبل الإسلام وسماته بعد الإسلام .إضافة إلى مقارنته للمجتمع العربي الإسلامي في أوج قوته وعظمته خلال العصور الأموية والعباسية بالمجتمع العربي الإسلامي في نهاية العصر العباسي ، وفي العصر البويهي ،والصفوي ،والسلجوقي عندما ضعف المجتمع العربي وتردت أحواله وعاش فترة من الضياع والتخلف والظلام [2].

---

[1] Ibid, p. 41.

[2] عوض، محمد(د)، مناهج البحث عند الغزالي، القاهرة، ١٩٧٩، ص٥.

الفصل الرابع

السيرة العلمية للإمام الغزالي وإسهاماته العلمية

مقدمة تمهيدية

المبحث الأول: حياته ومكانته العلمية والبلدان التي طاف بها

المبحث الثاني:مؤلفاته

تمهيد:

الإمام أبو حامد الغزالي من الشخصيات التي استأثرت باهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين قديما وحديثا ، فكتب عنه الكثير من البحوث والدراسات ، فالبحث العلمي يكاد يستوفي ما لهذا المفكر من حقوق عليه . إذ كتب عنه المحدثون مؤلفات كثيرة ، ولقد نشرت مؤلفاته بالعشرات ، وترجمت إلى لغات الغرب والشرق .

ولد أبو حامد الغزالي في منتصف القرن الخامس الهجري ، أي سنة (٤٥٠هـ\ ١٠٥٨م) في مدينة طوس إحدى مدن خراسان ، والمتتبع لتاريخ حياته يجد انه مر بثلاث أطوار أساسية أولها : طور النشأة والتلمذة ، ويمتد هذا الطور من يوم مولده حتى عام (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) أي عندما أصبح أستاذا في المدرسة النظامية . والطور الثاني: طور الأستاذية الذي يمتد من (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) إلى (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) أي حينما دخل بغداد. والطور الثالث يمتد من نهاية عام(٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) إلى عام (٥٠٥هـ/ ١١١١م) وهو طور العزلة والزهد[١]. كما أن تاريخ حياته مر بثلاث فترات الأولى الفترة التي سبقت الشك، والثانية فترة الشك، والثالثة فترة الاهتداء والطمأنينة[٢]. يحاول هذا الفصل التعرف على الجوانب المهمة في حياة الإمام الغزالي كالمكانة العلمية ، والبلدان التي طاف بها، والكتب التي ألفها ، إذ أن التعمق في دراسة حياة هذا المفكر من ولادته إلى مماته، يساعد على فهم آرائه، وأفكاره، و طروحاته الاجتماعية .

أما فيما يتعلق بنتاجاته العلمية فيمكن القول انه خلف من ورائه كتبا كثيرة ، وهذه الكتب تنوعت في موضوعاتها وتنقلت بين الفقه والفلسفة ،والتصوف ،والأخلاق والسياسة ، والاجتماع وتنوعت في أسلوبها ، فتنقلت بين الوضوح والغموض وبين القرب والبعد، وبين الإظهار والإضمار .

لكن ما يهمنا في موضوع بحثنا من هذه الكتب لا يتعدى بأي حال من الأحوال الكتب التالية :"مقاصد الفلاسفة "، و"وتهافت الفلاسفة " و" إحياء علوم الدين" و"أيها

---

[١] النشار، مصطفى، الغزالي ونظرية المعرفة، مجلة عالم الفكر، مجلد ١٩، العدد٤، يناير، ١٩٨٩، ص١٥٨-١٦٠.

[٢] دنيا، سليمان (د)، الحقيقة في نظر الغزالي ،دار المعارف بمصر ، القاهرة ،ط٣ ،١٩٧١، ص٥٦.

الولد" و"المنقذ من الضلال " ومن بين ثنايا هذه الكتب يطرح الغزالي أفكاره وطروحاته الاجتماعية المهمة .

المبحث الأول: حياته ومكانته العلمية و البلدان التي طاف بها

أ- حياته

هو أبو حامد محمد بن محمد بن احمد[١]. و كنيته أبو حامد نسبة إلى ولده الوحيد حامد الذي مات و هو طفل صغير[٢]. و ينقسم الباحثون قديما و حديثا إلى فريقين ، فريق يرى أن لقبه الغزالي (بتشديد الزاي) نسبة إلى مهنه أبيه في غزل الصوف[٣]. و يبرهن أصحاب هذا الرأي على صحة ما يذهبون إليه بالاستناد إلى مهنة غزل الصوف و بيعه[٤] لان من عاده أهل خراسان إرجاع الألقاب إلى المهنة التي يزاولها الإنسان . فالغزالي هو الغزالي مثلما العطاري العطار و الخبازي الخباز[٥] . و يوصي السمعاني الرجوع إلى قواعد اللغة العربية، فيقرر أن "غازل الصوف يدعى غزالا لا غزاليا"[٦] .

أما الفريق الآخر فيرى بتخفيف الزاي ، لقبه يعود إلى مدينة صغيرة أو قرية تابعة لمدينة طوس اسمها غزالة[٧]. و يرجح أن نسبه إلى "غزالة " وهي قرية من قرى طوس .قال الغزالي : الناس يقولون لي الغزالي (بتشديد الزاي) و لست الغزالي ن وإنما أنا منسوب إلى قرية يقال لها غزالة[٨].

و الجدير بالذكر أن المناقشة الكبيرة التي تثار حول تشديد الزاي أو عدمه في لقب الغزالي قد اخذ من جهود الباحثين الكثير[٩].

---

[١] السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، دار المعرفة، بيروت،دون سنة طبع، ص١٠١.

[٢] دنيا، سليمان (د)، الحقيقة في نظر الغزالي ، مصدر سابق، ص٢٢.

[٣] الفيومي، محمد إبراهيم (د)، الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٦، ص٢٥.

[٤] الاعسم، عبد الأمير (د)، سيرة الغزالي، مجلة رسالة الإسلام، العدد ٤، السنة ١، ١٩٦٦، ص٣٨.

[٥] الحنبلي، العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤ ، دار الكتب العلمية، بيروت، دون سنة طبع، ص١١.

[٦] السمعاني، أبو سعيد، الأنساب، ج١٠، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند،ط١، ١٩٧٩، ص٣١.

[٧] أبو ريان، محمد علي (د)، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٤٧٦.

[٨] الاعسم، عبد الأمير (د)، الفيلسوف الغزالي، دار منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص٧-٨.

[٩] الاعسم، عبد الأمير (د)، سيرة الغزالي، مصدر سابق، ص٣٨.

أما فيما يتعلق بولادته و نشأته فان معظم المصادر العلمية تشير إلى أن تاريخ ميلاده كان في منتصف القرن الخامس الهجري، أي عام ٤٥٠ هـ، الموافق لعام ١٠٥٨م[١]، باستثناء بعض المصادر التي تذكر أن ولادته كانت سنة ٤٥١ هـ /١٠٥٩م)[٢]. أما نشأته فكانت في أسرة فقيرة لا تملك شيئا من الأموال معتمدة في ذلك على ما يكسبه الأب من جراء بيعه للصوف في طوس . ولقد كانت صفة الأب الزهد و التصوف لا يأكل إلا مما كسبت يداه في مهنته المشهورة (غزل الصوف). وكان في أوقات فراغه يطوف على الفقهاء يجالسهم ويستفيد منهم حتى إذا سمع كلامهم بكى و تضرع وسال الله أن يرزقه ابنا يجعله كهؤلاء فقيها واعظا[٣].غير أن الأقدار لم تمهله حتى أن يرى رجاءه قد تحقق، فقد توفى وما يزال ابنه صغيرا. لكن قبل و فاته أوصى به و بأخيه إلى صديق متصوف من أهل الخير للإنفاق عليهما مما خلفه لهما من مال . و لما انتهى ما خلفه لهما أبوهما من المال نصحهما الصوفي بالالتحاق بإحدى المدارس التي كانت تكفل للطالب بعض قوته[٤]. إذ كان نظام المدارس يكفل للطالب آنذاك القوت والتعلم. و الجدير بالذكر أن نظام الملك الوزير السلجوقي كان أول من قرر راتبا للطلاب[٥].

وسط هذا الجو الديني الصوفي الخالص نشأ الغزالي ،ولا شك أن لهذا الجو الدور الأول في تكوين شخصيته وتشكل ميولها و اتجاهاتها . كما يؤكد ذلك علماء النفس . إذ يرون أن تعلم الإنسان في مرحلة الطفولة يكون أكثر رسوخا من أية مرحلة أخرى من مراحل العمر[٦]. أو كما يؤكد ذلك الغزالي بقوله " فأول الأمور هي التي ينبغي أن تراعى ، فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان به إلى احد الجانبين"[٧].

---

[١] السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، مصدر سابق، ص١٠٢

[٢] نجار، رمزي، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار المعارف الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص٢٢٣.

[٣] السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، مصدر سابق، ص١٠٢.

[٤] البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص١٦.

[٥] رفاعي ، احمد فريد ، الغزالي ، المجلد الأول ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر ، القاهرة ، ١٩٣٦، ص٨٧.

[٦] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤، ص٢٠.

[٧] قاسم، محمود (د)، دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧، ص١٩٦.

أما أم الغزالي فقد ظنت علينا المصادر بأخبارها وان كنا نفهم منها أنها بقيت حتى شهدت شطرا من نبوغ ابنها وذيوع اسمه بين الناس[١].أما فيما يخص زواجه، فقد تزوج قبل بلوغه العشرين، وعاش له ثلاث بنات و قد كان له ولد مات في طفولته اسمه " حامد "[٢].

هذه هي حياة الإمام أبو حامد الغزالي بإيجاز رغم ما تبدو عليه من بساطة، إلا أنها مليئة بالتجارب و المغامرات و التأمل ولا يزال حتى اليوم أفضل من دافع عن دينه ومجتمعه . فقد كانت لديه رغبة قوية و طموحة لبلوغ الحق . وبالرغم من عوامل الفقر المادي و اليتم الأبوي إلا أنها لم تحد من طموحه و عزيمته .

ب- مكانته العلمية:

أن الإمام الغزالي من الشخصيات الفذة التي فسح لها الزمان مقعدا في صدر الوجود .ذلك انه نهل من كل ثقافة و روى من كل مشرب، حر في تفكيره و قد ساعده عدم تعصبه على أن يأخذ الحق أنى وجده و لو من فم كافر[٣]. إذ ترك تراثا علميا جعله من الخالدين كما قيل: مزيج من علوم شتى أنضجها البحث الدقيق، و صقلها التفكير العميق، و هو لهذا يتمتع بمقام مرموق بين علماء المشرق و المغرب. و يرى"دي بور " " انه أعجب شخصية في تاريخ الإسلام " [٤]. ويصفه الشيخ " المراغي " شيخ الجامع الأزهر بأنه " دائرة معارف عصره "[٥]. ولا يكاد يذكر حتى يتبادر إلى الذهن ذكر الفلاسفة " ديكارت"، و"هيوم " ،و"بيكون" ، و" كانت " ومن قبلهم " اوغسطين" بل وحتى فلاسفة الوضعية المعاصرين[٦].

ومن النادر أن نجد في تاريخ الفكر البشري إلا قليل ممن يماثل الغزالي في فهمه للمعرفة، و جلده على البحث ، ورغبته في الوصول إلى الحقيقة ، وقد كان طموحه إلى

---

[١] دنيا، سليمان (د)، الحقيقة في نظر الغزالي ، مصدر سابق، ص١٨.

[٢] المصدر السابق، ص٢٢.

[٣] المصدر السابق، المقدمة، ص٨.

[٤] شلبي، أبو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية و الفكر الإسلامي،مطبعة الاستقلال،بيروت، ط٣، ١٩٦٤، ص٣٤٦.

[٥] العثمان،عبد الكريم،سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه،دار الفكر،دمشق،دون سنه طبع، ص١١.

[٦] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٣٢.

معرفة الحقيقة دافعا له إلى تحصيل أكثر أنواع المعارف في عصره ،ويمكن تلمس هذه الحقيقة في سجله الخاص بحياته العقلية[١]. فهو شخصية موسوعية لها مكانتها الدينية الرفيعة عند كل المسلمين[٢].

و الدارس المتمعن يدرك أن الغزالي صاحب ذهن متوقد ، مبدع، وروح متألقة ، ونفس صافية مشرقة يحب الفضيلة لذاتها و يريدها أن تسود في الحياة ، يحرص على السمو بالإنسان روحيا ونفسيا وحسيا[٣].غير أن غزارة إنتاجه ومنهجيته الجديدة المتمثلة في ثورته الفكرية والدينية تركت آثار عظيمة في الأوساط الاجتماعية والعلمية والدينية، وخلفت له الكثير من الأتباع، وأوجدت له في ذات الوقت خصوما ومناوئين من مختلف المذاهب والاتجاهات قديما وحديثا[٤].

ج –البلدان التي طاف بها الغزالي

ولد الغزالي في قرية غزالة[٥]، ومن ثم انتقل منها إلى مدينة طوس التي عاش فيها وتلقى أول علومه وهو الفقه[٦]. ومدينة طوس تابعة لخراسان ، وهي تشتمل على بلدتين ، يقال لأحدهما الطابران وللأخرى نوقان ،وبها ما يزيد على إلف قرية[٧]، ومن هذه القرى قرية الغزالي . وفي مدينة طوس درس الفقه على الشيخ احمد الراذكاني ثم رحل إلى جرجان . ويبدو أن دراسته في جرجان قد اقتصرت على القراءة من دون الاهتمام بالحفظ[٨].

---

[١] العثمان،عبد الكريم،سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، مصدر سابق، ص١١.

[٢] النشار، مصطفى، الغزالي ونظرية المعرفة، مصدر سابق، ص١٥٧.

[٣] الشرباصي،احمد(د)،الغزالي، دار الجيل ، بيروت ،١٩٧٩، ص٥٣.

[٤] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٣٢.

[٥] قاسم، محمود (د)، دراسات في الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص١٤١.

[٦] بدوي، عبد الرحمن (د)، مؤلفات الغزالي، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢١.

[٧] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، مكتبة النهضة المصرية العامة، القاهرة،بلا تاريخ، ص٩٨.

[٨] أمين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٣، ص٨.

ثم رحل إلى جرجان ليتلقى العلم على أبي نصر الاسماعيلي[1]. وجرجان مدينة تقع بين طبرستان وخراسان ، وهي ثاني المدن التي عاش فيها مواصلا دراسته لتعلم الفقه وقد حدث أن بعض العيارين[•] قطعوا عليه الطريق واخذوا كتبه ، وقالوا له كيف عرفت علمها وقد أخذناها منك ،وكان لهذه الحادثة أثرها العميق في نفسه ، حتى انه اقبل على الاشتغال ثلاث سنين إلى أن حفظ جميع ما علقه لكي لا يتجرد من علمه[2].

سافر بعد ذلك إلى نيسابور ، ووصلها وهو مزود بالعلم[3]. وفيها اتصل بالأستاذ الكبير أبي المعالي الجويني[4]، وكان من أشهر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، وعرف بإمام الحرمين لأنه ظل أربع سنوات محترفا التعليم في مكة والمدينة وأسس له نظام الملك مدرسته العظيمة في نيسابور[5]. ودامت صحبته لهذا الأستاذ إلى أن توفي عام ٤٧٨ هـ الموافق لعام ١٠٨٥م، ثم خرج من نيسابور قاصدا الوزير نظام الملك الوزير السلجوقي في معسكره[*]. إذ عرف عن نظام الملك حبه للعلم والعلماء.

وكان مجلس هذا الوزير ملتقى أهل العلم ، فناظر كبارهم في ذلك المجلس ، واستطاع قهر الخصوم[6]. بيد أن المصادر التاريخية لم تخبرنا عن المدة الزمنية بين وفاة أستاذه الجويني عام (٤٧٨ هـ/١٠٨٥م) وقدومه إلى بغداد عام (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)[7].

---

[1] مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة، دون سنة طبع، ص٣٤.

• العياريون: جماعة ظهرت في بغداد منذ القرن الثاني الهجرة، وكانت حركتهم وليدة الظروف الاجتماعية والسياسية السيئة مستغلين انهيار الوضع السياسي. انظر: حسين امين، الغزالي، مصدر سابق، ص٥٩.

[2] الشرباصي،احمد(د)،الغزالي، مصدر سابق، ص٢٧.

[3] امين، حسين، الغزالي، مصدر سابق، ص٩.

[4] السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، مصدر سابق، ص١٠٣

[5] امين، حسين، الغزالي، مصدر سابق، ص٩.

* كلن المعسكر محط رجال السلاطين السلجوقيين، منسقا على احسن نسق، مفصلا بميادين وشوارع كأنه مدينة شادتها قوة السحر على سهول قاحلة، حوى مجموعة انيقة الالوان من الخيام والمساكن المختلفة، انظر: دنيا، سليمان (د)، الحقيقة في نظر الغزالي، مصدر سابق، ص٣٠.

[6] الاعسم، عبد الأمير (د)، الفيلسوف الغزالي، مصدر سابق، ص١٦.

[7] دنيا، سليمان (د)، الحقيقة في نظر الغزالي ،مصدر سابق، ص٣١.

فهل قضى هذه الفترة في عقد مجالس المناظرة والجدل ومطارحة الآراء تمهيدا لانتقال إلى ممارسة العمل الجديد ؟ . والتي هي حياة الأستاذية والتدريس في نظامية بغداد[١].

وصل بغداد في أيام المقتدي بأمر الله العباسي الذي كان متدينا فوجده الغزالي نصيرا له في مذهبه ، وكان قد هيأ له ظرفا ملائما لدعوته في نظامية بغداد[٢]. وقد دخل بغداد في سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) وقام بمهمة التدريس التي أوكلت إليه من قبل الوزير نظام الملك[٣]، وأثناء إقامته بها كان عالمها الأول من خلال ما قام به من نقد لأراء الفلسفة[*] والمعتزلة[**] والباطنية[***] . لكنه غادرها بعد مضي أربع سنوات من القدوم إليها وكان ذلك عام(٤٨٨هـ/١٠٩٥م). على اثر أزمة نفسية و روحية حادة. إذ اعتزل التدريس فجأة وهام على وجهه يمارس حياة الزهد والتقشف[٤] هذا الانقلاب المفاجئ للغزالي حير الباحثين ، فكثر الجدل حول هذه الحادثة وتنوعت ، وتناقضت التفسيرات التي حاولت تفسيرها ، فهو يقول في كتابه "المنقذ " " فتفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله"[٥]، وتؤكد بعض المصادر إن لزيارة أخيه احمد الذي لامه على ما هو عليه من مجد دنيوي اثر كبير في حياته[٦]. والى جانب الأسباب الدينية هناك أسباب سياسية تتمثل بحادث مقتل نظام الملك كونه من المناوئين للباطنية ، بعد إذ رأى نفسه قد

---

[١] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٢٤.

[٢] الاعسم، عبد الأمير (د)، الفيلسوف الغزالي، مصدر سابق، ص١٨.

[٣] السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، مصدر سابق، ص١٠٣.

* اراد الفلاسفة ان يفرضوا العقل فرضا تاما في كل شيء حتى ولو كان ذلك على حساب العقيدة. زقزوق، محمود حمدي (د)، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٣، ص٢٥.

** المعتزلة: هم رواد النزعة العقلية في الاسلام، فهم يمتازون بتعظيمهم للعقل تعظيما لا حدود له. محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ص٦٣١.

*** الباطنية: طائفة دينية لها مقاصد سياسية خفية لا تعترف للعقل باي دور في مجال المعرفة، وتريد ان تتلقى كل الحقائق من الامام المعصوم فقط، كما تعتقد بان للقرآن ظاهرا وباطنا. انظر: الغزالي، ابو حامد، فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤، ص١٠، وكذلك: الغزالي، ابو حامد، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص٦٨.

[٤] النشار، مصطفى، الغزالي ونظرية المعرفة، مصدر سابق، ص١٦٠.

[٥] العثمان،عبد الكريم،سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، مصدر سابق، ص١٨.

[٦] المصدر السابق، ص١٥٤.

أصبح مهددا والباطنية يترصدونه[١]، فاعتزل التدريس ، إلا إن اغلب الباحثين يرفض إن يكون اعتزاله راجعا لأسباب سياسية وإنما لأسباب دينية ونفسية وداخلية[٢]. ومهما يكن من أمرا فانه غادر بغداد متجها إلى دمشق.

انتقل الغزالي إلى مدينة دمشق بعد خروجه من بغداد سنة ٤٤٨هـ ، وأقام بها مدة من الزمن بالقرب من الجامع الأموي ، وبعد عزلته في الجامع الأموي عاد إلى طوس ليمضي هناك حقبة من الزمن ، ثم عاوده حنين الترحال ، فعاد ثانية إلى المسجد الأموي في دمشق، ومن دمشق توجه إلى بيت القدس[٣].

ولقد قضى الغزالي مدة لا شغل له فيها إلا العبادة ، كما هو في كتابه "المنقذ" "ادخل كل يوم الصخرة وأغلق بابها على نفسي"[٤]، وكان من مصادر هذه الخلوة تأليف كتاب "إحياء علوم الدين" و"الرسالة القدسية"[٥]، ومن هناك توجه لزيارة مقام سيدنا إبراهيم (عليه السلام)[٦].

وسافر الغزالي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في ذي الحجة وأواخر ذي القعدة من عام (٤٨٩هـ / ١٠٩٦م)[٧]. وعاد من الحج عام(٤٩٠هـ/ ١٠٩٧). ومر ببغداد ولم يقيم فيها طويلا، ونزل في رباط أبي سعيد النيسابوري المواجه للمدرسة النظامية[٨]. ثم غادرها إلى خراسان ودرس مدة في مدينة طوس. ولكنه ترك التدريس مؤثرا العزلة والعبادة، وقد بنى جوار بيته مدرسة لطلبة العلم، وبقي ملازما لبيته وموزعا أوقاته بين

---

[١] الاعسم، عبد الأمير (د)، الفيلسوف الغزالي، مصدر سابق، ص١٩-٢٠.

[٢] الفيومي، محمد إبراهيم (د)، الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، مصدر سابق، ص٣٨.

[٣] طلفاح،خير الله،عباقرة من العرب،ج١٩ ، دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٧٥، ص١٩٢-١٩٣.

[٤] الفيومي، محمد إبراهيم (د)، الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، مصدر سابق، ص٣٨.

[٥] جمعة، محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، مطبعة المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص٦٦.

[٦] كار ادفو، برنارد، الغزالي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، نابلس، ١٩٥٩، ص٥٠.

[٧] الشرباصي،احمد(د)،الغزالي، مصدر سابق، ص٤٢.

[٨] بدوي، عبد الرحمن (د)، مؤلفات الغزالي، مصدر سابق، ص٢٤.

العبادة والوعظ[1]، إلى أن وافاه الأجل في يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخرة سنة ٥٠٥ هـ الموافق ١٨ أيلول عام ١١١١م[2].

يذكر بعض المؤرخين أن الغزالي أثناء تجواله في بلاد الشام قصد مصر فدخل الإسكندرية وأقام فيها مدة، وكان يريد على ما ذكروا السفر إلى "يوسف بن تاشفين" في المغرب الأقصى ولكنه علم انه مات فرجع[3].

المبحث الثاني: مؤلفات الغزالي

يعد الإمام الغزالي من أغزر مفكري الإسلام مادة ومن أطولهم نفسا في التأليف، ومن أكثرهم إنتاجا وتنوعا[4]، حتى لقد قيل عنه انه "لو أحصيت كتبه التي صنفها ووزعت على عمره لخص كل يوم أربع كراريس"[5]. إذ قدر بعض المؤلفين كتبه بـ(٣٠٠) كتاب ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود، فبلغت كتبه المطبوعة أربعين كتابا، وهو لم يقتصر على فن واحد من فنون المعرفة بل له تصانيف في شتى الفنون، وإذا علمنا انه قد إلف في كل هذه الفنون ولم يعش أكثر من خمس وخمسين عاما قضاها بين طفولة وتلمذة وعبادة وأمراض وأسفار عرفنا أي رجل هو[6].

لقد ابتدأ التأليف وهو لا يزال طالبا للعلم على أستاذه الجويني ، وتذكر بعض المصادر وقوع نوع من الجفاء بين التلميذ والأستاذ سببه ابتداء الغزالي بالتدريس والتأليف في تلك المدة المبكرة من حياته[7]. وبما أن مؤلفاته والتمييز بين الصحيح منها والمنحول أصبحت قضية قائمة إلا أن اصدق تعبير يمكن أن يقال عنها ما أورده الدكتور "عبد الرحمن بدوي"، إذ يقول "لقد نسب إلى الغزالي كما نسب إلى أرسطو حشد هائل

---

[1] السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، مصدر سابق، ص١١١.

[2] المصدر السابق، ص١٠٥.

[3] العثمان،عبد الكريم،سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، مصدر سابق، ص٢٤.

[4] مرحبا، محمد عبد الرحمن (د)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٦١٢.

[5] أكاديمية المملكة المغربية، "حلقة وصل بين الشرق والغرب": أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون، السفر الثاني عشر، مطبوعات الأكاديمية، الرباط، ١٩٨٥، ص١٣١.

[6] مرحبا، محمد عبد الرحمن (د)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٦١٣.

[7] المصدر السابق.

من المؤلفات مما ألقى على الباحثين مئونة شاقة وهي التمييز بين الصحيح والمنحول"[1]. وبالرغم من أهمية كتبه العديدة لاسيما كتاب "تهافت الفلاسفة" الذي هاجم به الفلاسفة من اجل إعلاء شأن الدين الإسلامي إلا أن فقهاء أفريقيا والأندلس لم يكن يستريحون إلى كتبه لأنها تخالف بعض ما جروا عليه من مذهب السلف فاحرقوها، ولما علم بذلك وهو في بغداد حزن ودعا الله أن يحرق دولة بني تاشفين كما احرقوا كتبه[2]. ومع ذلك وكما تذكر بعض المصادر انه كان معجبا بـ(يوسف بن شافين) صاحب المغرب وكان ينوي زيارته . ولكن المنية عاجلت بن شافين، ولو تمت زيارته لتغير الحال[3].

لقد بز الغزالي اقرأنه في مجالات العلوم المختلفة وتصدى للرد على الكثير منهم، فألف التأليف المتعددة حتى وصفه احد الباحثين "بأمير الكتاب"[4]. فكتب مؤلفات للعامة الذين لم ينالوا حظا من الثقافة، وعالج فيها موضوعات دينية وأخلاقية. وكتب للخاصة الذين يملكون القدرة على التفكير[5].

نحاول في هذا البحث أن نركز اهتمامنا على بعض كتبه لان استيفائها كلها سيبعدنا عن مجال هذا البحث الذي نحن بصدده. فضلا عن أن ذلك ليس من مهمتنا هنا ولهذا فإننا نذكر المؤلفات التي لها علاقة وثيقة بموضوع دراستنا. وهي "مقاصد الفلاسفة"، و"تهافت الفلاسفة"، و"إحياء علوم الدين"، و"أيها الولد"، و"المنقذ من الضلال". علما أن كتبه المهمة كانت بعد سنة (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)، ثم استمر في التأليف إلى آخر سنة من حياته[6]. لذا آثرنا أن نبدأ بأول كتاب له:

---

[1] البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، مصدر سابق، ص٢٣.

[2] الحوفي، احمد محمد (د)، معالم شخصية الغزالي، مجلة الوعي العربي، السنة الاولى، العدد التاسع، ابريل، ١٩٧٧، ص٣١.

[3] صحراوي، بشير، العلاقات الثقافية والأدبية بين المغرب و المشرق والأندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب، بغداد، لغة عربية، ١٩٨٣، ص٧٥.

[4] العثمان،عبد الكريم،سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، مصدر سابق، ص٣٤.

[5] زقزوق، محمود حمدي (د)، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، ص٣٦.

[6] فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص٤٨٧.

١- مقاصد الفلاسفة (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)

لما سئل الغزالي كتابا في الرد على الفلاسفة قال: "ليس بالإمكان أن يرد الإنسان على مذهب قبل عرضه"[١]. وقد عرض في هذا الكتاب آراء الفلاسفة اليونان ومن تبعهم من فلاسفة العرب ، وحلل مبادئهم استعدادا لهدمها[٢]. فكان عرضه هنا عرضا محايدا لم يقحم عليه رأيا خاصا له . وقد تبع هذا الكتاب كتابا آخر ينقد فيه تعاليم الفلاسفة اسماه "تهافت الفلاسفة". وقد ظل وفيا للعهد الذي قطعه على نفسه وهو القيام بدور الناقد فقط[٣].

٢- تهافت[*] الفلاسفة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

رد الغزالي في هذا الكتاب على أقوال الفلاسفة وانقض تعاليمهم وأبطل حججهم واظهر ما فيها من تناقض ومخالفة للعقل والدين. ويعد هذا الكتاب حدثا فكريا فاصلا بين عهدين من عهود الفلاسفة في المشرق. إذ لم يستطع الفلاسفة بعهده أن يحتفظوا بالتقدير الذي كانوا يتمتعون به من قبل[٤]. والذي حمله على الرد على الفلاسفة انه رأى شبان زمانه الذين رزقوا حظا قليلا من الذكاء يستهينون بأمور الدين ، ويحتجون لذلك بان الفلاسفة العظام كـ(أفلاطون وأرسطو) ما كانوا يقومون بمثل هذه العبادات، وان كثيرين من غير المسلمين ناجحون في حياتهم الدنيا وهم لا يتقدمون بمثل هذه العبادات أيضا وبان هذه العبادات تليق بالجماهير الجاهلة ، وهم ارفع من هؤلاء درجة[٥].

أراد الغزالي أن يبين في هذا الكتاب أن المرموقين من الفلاسفة كانوا يؤمنون بالله واليوم الأخر، وان الفيلسوف المرموق قد يصيب في آرائه الرياضية والطبيعية ، ثم يكون

---

[١] المصدر السابق.

[٢] مرحبا، محمد عبد الرحمن (د)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٦١٣.

[٣] زقزوق، محمود حمدي (د)، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مصدر سابق، ص٣٦.

* التهافت: تناقض الفلاسفة في ادلتهم، وقصورهم عن اقامة الادلة المقنعة على صحة ما يزعمون من آراء. للمزيد من التفصيل راجع مناقشة جامعة لكلمة تهافت عند الباحثين المختلفين، (ت.ج. دي بور: تاريخ الفلاسفة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٢، ١٩٨٤، ص٣٣٣.).

[٤] مرحبا، محمد عبد الرحمن (د)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٦١٤.

[٥] فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، مصدر سابق، ص٤٨٨.

مخطئا في آرائه الدينية، ويرد ما يروى عن كبار الفلاسفة مما يخالف الدين إلى التبديل والتحريف اللذين وقعا في نقل كتب هؤلاء الفلاسفة من اليونانية إلى العربية[١].

أن الغزالي ينقض براهين الفلاسفة ببراهين مثلها، وبمقدمات ونتائج مستمدة من الرياضيات والطبيعيات. لكنه يأتي في أكثر الأحيان بأدلة شرعية ، وأدلته قد تكون عقلية أو نقلية مستمدة من القرآن الكريم والسنة[٢]، ولقد إلف كتابه (تهافت الفلاسفة) عام (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) وهو يدرس في المدرسة النظامية ببغداد، للرد على الفلاسفة[٣]، وألف ابن رشد "تهافت التهافت"بعد مائة عام تقريبا للرد على كتاب تهافت الفلاسفة . علما أن هذين الكتابين متلازمان لا يذكر احدهما دون أن يذكر الآخر، فالأول هجوم على الفلاسفة، والثاني دفاع عنهم[٤].

٣- إحياء علوم الدين:

يعد "كتاب إحياء علوم الدين" من أعظم كتب الغزالي في الأخلاق والتصوف، ألفه في أخريات حياته حين جنح إلى اعتزال الناس، ثم قرأه في بغداد ودمشق ، وقد شرح فيه طرق النجاة للمسلمين ببيان حقيقة العقائد وتفصيل المعاملات والعبادات، وقد بلغ من شهرته أن كثيرا من أجزائه فصل على حده واتخذ كتبا مستقلة، وهو إلى ذلك فريد في تبويبه ويحوي جميع العلوم الشرعية والاجتماعية التي يحتاج إليها كل مسلم ، فهو بذلك موسوعة ضخمة لعلوم الدنيا والآخرة[٥].

أن هذا الكتاب هو فقه وأخلاق ممزوجين بالتصوف، إلا أن فيه عددا كبيرا من الأحاديث لا يعرفها رواة الحديث، منها ما هو صحيح ومنها غير ذلك. كما أن فيه آراء عبقرية إلى جانب استطرادات ليست كذلك. ويبدوا أن تأليفه قد امتد زمنا طويلا قبل أن

---

[١] المصدر السابق.

[٢] المصدر السابق، ص٤٨٩.

[٣] غالب، مصطفى (د)، الغزالي، في سبيل موسوعة فلسفية، دار مكتب الهلال، بيروت، ١٩٨٣، ص١٠٧.

[٤] الموسوي، موسى، من الكندي إلى ابن رشد، دون مكان طبع، ١٩٧٢، ص١٦٧.

[٥] مرحبا، محمد عبد الرحمن (د)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٦١٤.

يشعر بمرضه. فالفصول العبقرية تعود إلى الفترات التي كان فيها في اعتدال وصحة والاستطرادات التي هي غير ذلك كانت نتاج الأزمات المرضية التي كانت تمر به[١].

وقد قيل عن هذا الكتاب انه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عنها[٢]. وقد ذكر الدكتور "عبد الحليم محمود"أن ثلاثة من كتب الغزالي تعد الأهم في نظره على الإطلاق "المنقذ" و"التهافت" و"الإحياء"، وانه لو لم يؤلف غيرها لبقي هو الغزالي المفكر الكبير، الفيلسوف بطابعه وسماته الشخصية[٣]. ولو بدت فكرة وضع مجموعة لأهم كتب الإسلام لكان الإحياء أول كتاب يدرج فيها بعد القرآن[٤].

لقد أمضى في تأليفه نحو عشر سنوات، وهو مقسم إلى أربعة أجزاء : الجزء الأول منه سماه ربع العبادات، وهو بحث في العبادات والشعائر الدينية، وهذا الجزء مقسم إلى عشرة فصول ، والجزء الثاني موضوعه ربع العادات وما يتعلق بها من آداب واجتماع ودين[٥]. وفي الجزء الثالث المسمى ربع المهلكات يتطرق إلى تهذيب الأخلاق، وذم البخل، والجاه، والكبر، وفي الجزء الأخير المسمى ربع المنجيات يتحدث عن المحبة والشوق والأنس والصدق والإخلاص[٦].

الجدير بالذكر أن لهذا الكتاب أهمية خاصة في موضوع بحثنا لاسيما الربع الثاني والثالث لأنه يتناول جوانب اجتماعية مهمة كآداب النكاح والكسب، والمعاش، والألفة، والإخوة، والصحبة، والمعيشة، والأخلاق.

---

[١] فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، مصدر سابق، ص٤٩٠.

[٢] أكاديمية المملكة المغربية، "حلقة وصل بين الشرق والغرب"، مصدر سابق، ص١٣١.

[٣] البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، مصدر سابق، ص٢٣.

[٤] كار ادفو، برنارد، الغزالي، ترجمة عادل زعيتر، مصدر سابق، ص٥٤.

[٥] الموسوي، موسى، من الكندي إلى ابن رشد، مصدر سابق، ص١٦٨.

[٦] بدوي، عبد الرحمن (د)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، وكالة المطبوعات المصرية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص٣١١.

٤- أيها الولد (٥٠١هـ/١١٠٨م)

أن واحدا من الطلبة المتقدمين لازم الغزالي ثم اشتغل بالتحصيل على نفسه حتى جمع دقائق العلوم ثم انه كتب إلى الغزالي يسأله عن العلم النافع في الآخرة حتى يتمسك به ويترك ما سواه ، فكتب إليه هذه الرسالة يخاطبه فيها بقوله أيها الولد مرة بعد مرة ، ويفتح الغزالي الرسالة بقوله" أن النصح يؤخذ من معدن النبوة فان كان قد بلغك منه شيء فاي حاجة لك في نصحي وان لم يبلغك فماذا حصلت في تلك السنين الماضية "[١]. فالكتاب هو احد رسائله المهمة ويظهر انه كتب بالفارسية والعربية [٢]. ويصنف ضمن كتب الأخلاق[٣].

٥- المنقذ من الضلال (٥٠٢هـ /١١٠٩)

كتاب وضعه الغزالي في أواخر حياته يشير فيه إلى كتبه الأخرى كـ"التهافت"،و"المقاصد"،و"القسطاس". وكان قد عرف طبيعة الفرق الدينية والفلسفية وفك قيود التقليد، فذكر أطوار حياته في هذا الكتاب بل جعله حكاية حاله[٤].

لقد تناول الغزالي في هذا الكتاب الأحوال التي تقلب فيها أثناء مرضه قبل أربعة عشر سنة. فالكتاب ليس يوميات، بل ذكريات، على انه قد أجاد وصف مرضه في هذا الكتاب الصغير، ودون خلاصة آرائه، وتعرض للشك الفلسفي، وجاء بأحسن تعليل للمعرفة الحسية، والمعرفة العقلية، والمعرفة الحدسية.

ويبدو انه بدا هذا الكتاب في فترة من فترات الصحة، ثم دهمته أزمة قبل أن يتمه[٥].

أما الداعي إلى تأليف هذا الكتاب فقد أوضحه الغزالي في مقدمة الكتاب، زعم أن احد الناس سأله حكاية حاله.فيقول "سألتني أيها الأخ في الدين ، أن أبث إليك غاية العلوم و أسرارها وغائلة المذاهب و أغوارها واحكي لك ما قاسيته من استخلاص الحق من بين

---

[١] فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، مصدر سابق، ص٤٩٠.

[٢] بدوي، عبد الرحمن (د)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، مصدر سابق، ص٢١٤.

[٣] نجار، رمزي، الفلسفة العربية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص٢٢٥.

[٤] الموسوي، موسى، من الكندي إلى ابن رشد، مصدر سابق، ص١٦٢.

[٥] فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، مصدر سابق، ص٤٩٠-٤٩١.

اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق ، وما استفدته من علم الكلام وما عرفته من أهل التعليم[*] القاصرين على التقليد وما دريته من التفلسف ".فدرس الباطنية التي تعتمد على تأويل النص والظاهرية التي تتمسك بالمدلول الحرفي كما درس الفلسفة وعلم الكلام، و آراء الزنادقة والصوفية[١].

لقد تغلب الشك على نفس الغزالي و فقد ثقته بالمقاييس المألوفة فصارت نفسه مريضة لا تعي شيئا ، ودامت هذه الحال شهرين . غير أن الصحة و الاعتدال عادتا إلى نفسه و أصبحت الضروريات العقلية مقبولة لديه على أمر ويقين، لكن لم يحدث ذلك بنظم دليل و ترتيب كلام على حد تعبيره بل بنور قذفه الله في الصدر و ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف[٢].

أن المنقذ من الكتب التي يندر ما يماثلها في ثقافتنا الشرقية. إذ أن كبار المفكرين المعاصرين لم يتجهوا إلى سبيل تدرجهم الفكري ، ولم يسبق الغزالي فيما نعلم هذا النهج سوى "الحارث بن أسد المحاسبي " في مقدمة كتابه " الوصايا " فقد قضى فيه طرفا من حيرته وشكه وربما كانت مقدمة كتاب "الوصايا" من العوامل التي دفعت الغزالي إلى تأليف كتابه "المنقذ" [٣]. كما أن أهمية هذا الكتاب دفعت الدكتور " عبد الرحمن بدوي " إلى إعداد كتابه الكبير (مؤلفات الغزالي)[٤].

تذكر بعض المصادر أن الغزالي لم يؤلف غير "تسعة و ستين "كتابا ، و في الكتاب التاسع و الستين و بعد آخر ورقة فيه سقط القلم من يد ذلك العلم العظيم ، والذي كان السعي لاكتشاف جوهر الحقيقة و جوهر الدين وعلومه هو محور وجوده ، ونقطة ارتكاز حياته ، ففي الثامن عشر من شهر كانون الأول سنة (١١١١م) سقطت الريشة من يده ،

---

* اهل التعليم: طائفة دينية لقبت بالتعليمية لان مبدأ مذهبهم ابطال الرأي وابطال تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعليم من الامام المعصوم. الغزالي، ابو حامد، فضائح الباطنية، مصدر سابق، ص١٧.

[١] الموسوي، موسى، من الكندي إلى ابن رشد، مصدر سابق، ص١٦٢.

[٢] المصدر السابق، ص١٦٤.

[٣] المصدر السابق، ص١٦٦.

[٤] بدوي، عبد الرحمن (د)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، مصدر سابق، ص٢١٥.

وكف قلبه عن الخفقان ، وتعطل عقله عن التفكير ، مات و الحبر يصبغ أصابعه ، وهو لا يزال يتطلع إلى المزيد من الكتابة و الاكتشاف[1].

لقد ذكرنا في هذا المبحث أهم كتب الغزالي بيد انه عالج زيادة على ذلك مسائل فكرية في كثير من كتبه الأخرى ، ولكن المقام هنا يضيق في الحديث عنها ، فهذا المبحث يريد بوجه خاص عرض فكره الاجتماعي و لا يريد أن يعطي عرضا شاملا لكل أفكاره الفلسفية . وفي الفصول الآتية سنسلط الضوء على منهجه و مبدئه الفلسفي ، وسنعرض آرائه و طروحاته الاجتماعية.

[1] طلفاح،خير الله،عباقرة من العرب،ج١٩ ، مصدر سابق، ص١٩٤ مصدر سابق، ص١٦٢.

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة في فكر الغزالي ونتاجه العلمي

مقدمة تمهيدية

المبحث الأول: العوامل الاجتماعية، ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي.

المبحث الثاني: العوامل السياسية، ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي.

المبحث الثالث: العوامل الفكرية، ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي.

المبحث الرابع: التراث العلمي والمعرفي اليوناني وأثره في فكره الاجتماعي.

المبحث الخامس: الإسلام وأثره في فكره الاجتماعي.

تمهيد:

تـأثرت شخصـية الإمـام الغزالـي بـالمجتمع العربـي الإسـلامي فـي القـرن الخـامس الهجري، ممـا هيأ الجو المناسب لنضجها و اتزانهـا . إذ عـاش فـي عصر يتسم بـالانحلال السياسي والاجتماعي وبالمؤامرات السياسية وغير السياسية، وصراع السلاطين والحكام والانقسامات المذهبية في المجتمع العربي، فتـأثرت الثقافـة العربيـة الإسلامية بهذا المنـاخ الفاسد فأصابها من التفكك والتمزق الشيء الكثير.فلمـا كـان المفكر نتـاج بيئتـه، تلـك البيئـة التي تجعله يتشكل بما تحدده له سلفا من أساليب التفكير، فان عزله عن بيئتـه يعنـي إبعاده عن جادة الصواب. فضلا عن ذلك هناك استعداداته الداخليـة من ميول ونزعـات التـي تـؤثر هي الأخرى على تفكيره .

لقد تنوعت التجارب التي مر بها الغزالي ابتداءً من رحلتـه الأولـى من بلدتـه الأصلية إلى نهاية هذه الرحلـة ، من منزلـه الفقير في طوس إلـى قصور السلاطين و الأمـراء في بغداد، إلى مصاحبة المتصوفة وملازمة المسجد، من الحرمان إلى الرفاه إلـى حيـاة الزهد ، وكانت هذه الرحلات مثمرة لأنها كشفت ما تصبو إليه روحه المتعطشة إلى اليقين .

أن الغزالـي استقى الكثير من أفكـاره من تـأثره بـالظروف الاجتماعيـة و السياسية و الفكرية التي عاصرها وبالفلسفة اليونانيـة وبـالفكر الإسلامي ، ويلـوح انـه كـان أكثر تـأثر بالإسلام . فهو يعتقد أن الإصلاح الاجتمـاعي لا يتم إلا بـالعودة إلـى جوهر الإسلام وروحـه وما ينطوي عليـه من آداب وقيم كفيلـة بصلاح المجتمع و انتشاله من التخبط و الضلال، فمـا صـلاح الحيـاة الاجتماعيـة الا بإصـلاح النـاس ليسلكوا الطريـق المستقيم. فهـو يطبـق تعاليم الإسلام الجوهرية على الأحداث و المشاكل التي وقعت في عصره وما نجم عنـها من تفكك اجتماعي وفوضى. وهكذا نراه يتفاعل مع حياة مجتمعه ويصور دروس الحياة التـي تفرضـها تجربـة العصـر.ولكنه يضـيف إليهـا تجربـة الدولـة الإسـلامية بأسـمى دلالاتهـا ومعانيها.

نحـاول فـي هـذا الفصـل أن نسـلط الضـوء علـى العوامـل الاجتماعيـة والسياسـية و الفكرية. فضلا عن اثر التراث اليوناني والإسلامي في فكره الاجتماعي.

المبحث الأول: العوامل الاجتماعية ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي

يتسم المشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري ، بتركيب اجتماعي غير متجانس . إذ كان المسلمون ينقسمون إلى مذاهب وشيع مختلفة وفي حالات متعددة كان يحدث بين أصحاب المذاهب خلافات تصل إلى حد الصراعات الدامية[١]. هذه الخلافات والصراعات بين هذه المذاهب تعود إلى زيادة السكان وتعقد الحياة الاجتماعية بسبب وجود الاتجاهات والآراء والمصالح المتضاربة[٢]. ويبدو أن السلاجقة الأتراك قد أسهموا في زيادة المشاكل التي يعاني منها المجتمع وذلك بسبب من طبيعتهم البدوية التي صبغتهم بالصبغة العسكرية[٣]. غير إننا لا نكرر في الوقت نفسه ما قاموا به من خدمات اجتماعية وثقافية وصحية للمجتمع الذي حكموه[٤].

نجمت العوامل الاجتماعية السابقة الذكر عن عدم الاستقرار السياسي وسيطرة القبائل البدوية وأفرزت ظواهر اجتماعية تمثلت بظهور أدعياء الدين ورواج الفساد ، وتجويز الظلم والعدوان[٥]، وتفشي المجون الاستهتار بالخلقيات كشرب الخمر وعشق الغلمان. وقد نجم عن عشق الغلمان بروز فئة من فئات المجتمع هي فئة الرقيق[٦]. فضلا عن وجود النظام الإقطاعي الذي يعد الأساس الذي تقوم عليه الملكية، فالمملكة ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه[٧]. أي أن هناك أثرياء متسلطين يتمثلون بالحكام والقادة، وهناك الكادحون المحرومون من أي نفوذ أو سلطة ، وهذا الصراع الطبقي الذي قاد إلى الفوضى والاضطراب في الحياة الاجتماعية قد افرز ظواهر اجتماعية أخرى كثيرة كجماعة العيّارين (اللصوص) التي تضم بين صفوفها مختلف الأجناس[٨]، فضلا عن مجالس

---

[١] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٢٠.

[٢] مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج١، ذات السلاسل، الكويت،١٩٨٨، ص١٢٦.

[٣] أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٥، ص١٢٦.

[٤] رابس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري ، مطبعة الإرشاد ،بغداد ،١٩٦٨، ص١٣.

[٥] حلمي، احمد كامل، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار الميمون العلمية، الكويت، ١٩٧٥، ص١٩٦.

[٦] المصدر السابق، ص١٩٩.

[٧] المصدر السابق، ص٢٠١.

[٨] إدريس، محمد (د)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٤٣.

الطرب والغناء والموسيقى[١]، التي كانت وقفا على سلاطين السلاجقة ومن شاكلهم من رجال الدولة، بينما حرم منها أغلبية الناس، وظاهرة تخلف وانخفاض مكانة المرأة. إذ كانت تتبرقع وتقضي حياتها على هامش الحوادث المهمة[٢]. وظاهرة تعدد الزوجات التي تعد من الظواهر الاجتماعية المألوفة في المجتمع[٣].

أما تأثير العوامل الاجتماعية في فكر الغزالي فيمكن تناولها كما عبر عنها في كتبه ومؤلفاته العديدة، فهو يتحدث مثلا عن العياريين (اللصوص) الذين كان يتعاظم شرهم لدرجة التحكم بالناس. إذ لا يجرؤ احد على مخالفة طلباتهم[٤] حتى الغزالي نفسه لم يسلم من أذاهم وشرهم أثناء رحلاته العديدة، ولا شك أن بروز هذه الظاهرة كان نتيجة للنظام الطبقي الموجود في المجتمع، ويبدو أن هؤلاء العيّارين قد دخلوا في صراع مع الطبقة الغنية عبروا عنه بالسلب والنهب والتمرد على قوانين المجتمع والدولة.

الجدير بالذكر أن لكل العوامل الاجتماعية السابقة الذكر اثر في خلق ظروف اجتماعية صعبة تمثلت بالفقر والحرمان الذي عانت منه الطبقات الاجتماعية الواطئة. وبما أن الغزالي كان ينتمي إلى هذه الطبقات عندما كان صغيرا لذا فتحصيله للعلم في بداية حياته كان من اجل المال وليس طلب العلم[٥]. والملاحظ أن وجود هذا التفاوت الطبقي وتمكنه في المجتمع لاسيما بعد أن أصبح الغزالي أستاذا لنظامية بغداد دفعته إلى المناداة والمطالبة بحسن التعامل، وعدم الظلم والغش، والاحتكار وترويج الزيف من الدراهم، فهو شك في ظواهر الحياة الاجتماعية السابقة الذكر، وأداه شكه إلى تنكرها،ولم ينته شكه إلا بعد أن درسها وتحرى انطباعاتها[٦]، وبعد أن تفهمها وجه إليها الانتقاد. كما انتقد المنحرفين ولا سيما الإقطاعيين ، والتجار ، والسراة ، والمتجلببين بجلباب الدين ، فهو كمصلح اجتماعي يهمه من الدين الجوهر لا القشور ، فالدين بكل طقوسه إنما هو خير

---

[١] المصدر السابق، ص٢٤٤.

[٢] رابس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، مصدر سابق، ص١١٢.

[٣] حسنين، عبد المنعم (د)، دولة السلاجقة، مكتبة الانجلو-المصرية، القاهرة،١٩٧٥، ص١٦٦.

[٤] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٢٢.

[٥] المصدر السابق، ص٥٣ المصدر السابق، ص١٥٤..

[٦] الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٧٤.

ولأجل الخير وبهذه المداليل المادية –العملية –الواقعية للأعمال الإنسانية ينطلق من الإطار الفكري إلى الإطار التطبيقي في التعامل مع المجتمع[1]. فهو يريد أن يعيد إليه ثقته بقيمه الروحية والاجتماعية وان يعطى لهذه القيم ثباتا وترسخا لتؤدى دورها في بناء الشخصية وتعميق العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ،فعرض العقيدة عرضا خاليا من البدع التي ادخلها الاعداء في الدين [2]. ويرى أن إصلاح الظروف الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية يرتكز بشكل أساس على إصلاح الأخلاق، فمن هذه الناحية انتهى إلى ضرورة الاعتراف بأهمية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية المستندة إلى تعاليم وقيم الإسلام. ويلحظ انه يولى التنشئة اهتماما كبيرا في مؤلفاته العديدة لما لها من اثر في إعادة البناء والتوازن للمجتمع. ولولا هذه الأهمية لما ظهر الأنبياء والمصلحون والمربون والأساتذة، والناس متى تنبهوا من غفلتهم عن طريق المصلحين والمربين تركوا ما ألفوا من ضار، واعتنقوا ما اكرهوا من صالح. وسيتناول الباحث هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الثامن الموسوم "التنشئة الاجتماعية والأخلاقية في فكر الغزالي".

---

١. [1] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره ، مجلة المورد ، المجلد ٩ ، العدد ٤ ، ١٩٨١، ص٣٦٤.

[2] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٣.

المبحث الثاني: العوامل السياسية، ماهيتها وتأثيرها على فكره الاجتماعي

تميز عصر الغزالي بضعف سيطرة الخليفة العباسي في بغداد، فكان لا يملك من السلطة إلا اسمها، وكانت دولة الإسلام قد تمزقت في الشرق والغرب، ثم داهم الخطر الصليبي العالم الإسلامي وهو على مثل هذه الحالة من التفكك والانحلال[١]. ولا يمكن لأحد أن ينكر أن نفوذ السلاجقة كان من القوة ، إذ أدى إلى تلاشي هيبة الخلافة[٢] حتى أن الخليفة لا يملك إلا ذكر اسمه في الخطبة على المنابر والى جانبه السلطان السلجوقي المسيطر على الجيش والسياسة[٣]. وهكذا غدت الخلافة رمزا تقليديا كالسيف بيد الخطيب وليس له من صفة السيف إلا الرسم[٤]. ويظهر من ذلك أن هناك سلطتين احدهما عسكرية – سياسية تتمثل بسلطة السلطان السلجوقي، والأخرى سلطة دينية – تقليدية تتمثل بسلطة الخليفة العباسي. كما شهد هذا العصر ظهور معسكرات مناوئة للسلاجقة "كالغزنويين"، و"القره خطائيين"، و"الخوارزمشاهيين"، و"ملوك الغور"، أو "ملوك الجبال"، و"الغز"[*]، و"الخلافة العباسية"، و"الإسماعيلية" التي من أهم مبادئها أن العقل البشري وحده يقصر عن الوصول إلى معرفة الله معرفة حقة، وأخيرا "الصليبيون" الذين كان جل همهم انتزاع الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين[٥].

لكن سرعان ما قيض الله للإسلام شخصية البطل "صلاح الدين الأيوبي" الذي كان بمثابة الصخرة التي تحطمت عليها آمال الصليبيين[٦]. هذه ابرز المعسكرات المتصارعة فيما بينها رغبة في الرفعة والتوسع حينا والمواصلة والبقاء حينا أخر، أو المناوئة

---

[١] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص١١-١٢.

[٢] حلمي، احمد كامل، السلاجقة في التاريخ والحضارة، مصدر سابق، ص١٥٨.

[٣] الموسوي، موسى، من الكندي إلى ابن رشد، مصدر سابق، ص١٥٣.

[٤] الفيومي، محمد إبراهيم (د)، الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، مصدر سابق، ص١٠١.

* تعود هذه المعسكرات إلى قبائل تركية مغولية كانت دائمة التنقل لا يقر لها قرار، وقد ادى بها الانتقال أبان حكم السلاجقة إلى الوصول إلى شمال شرقي ايران. حلمي، احمد كامل، السلاجقة في التاريخ والحضارة، مصدر سابق، ص١٠٦.

[٥] مصدر سابق، ص٩٩-١٥٨.

[٦] مصدر سابق، ص٦٠-٦١.

للسلاجقة أملا في إضعافهم وكسر شوكتهم. كما كان لحملة الأفكار المختلفة من المعتزلة يستندون إلى العقل المجرد، وإسماعيلية تحمل لواء المعارضة للحكم، ومذاهب أخرى، الأثر في تأجيج الفوضى والاضطراب السياسي والاجتماعي [1]. وفي خظم هذه الصراعات السياسية ظهر الغزالي . إذ عانى الكثير نتيجة اصطدامه بهذه التيارات السياسية المتناقضة مع روح المبادئ العربية الإسلامية، وتعاليمها المنظمة للحياة الاجتماعية. فهو ضمير عصره وفكره الثاقب . إذ رفض الدعوات السياسية التي تتحدى سلطان العرب والمسلمين بعد أن أوضح نياتها واهدافها اللاانسانية ، واعد في كتابه "تهافت الفلاسفة" مبادئ وقيم الأمة العربية بمثابة السبيل الوحيد إلى إزالة الفوضى والانقسام التي يعاني منها المجتمع العربي الإسلامي[2]. أي انه عرض العقيدة الإسلامية عرضا واضحا خاليا من البدع التي ادخلها الاعداء في الدين[3].

أن العوامل السياسية السابقة الذكر أثرت في فكر الغزالي الاجتماعي تأثيرا كبيرا . فهو لم يكتب ما كتب وهو جالس في برج عاجي وإنما أتيحت له تجربة نادرة . إذ كان الفقيه ،ورجل السياسة ، والمستشار القانوني في حاشية الملوك السلاجقة و وزرائهم لاسيما الوزير نظام الملك . فكتاب "المستظهري" ألفه في بغداد برغبة الخليفة "المستظهر بالله " للرد على الباطنية . والغريب انه ينصح المسلم التقي بالابتعاد عن بلاط الحكام وفي الوقت نفسه كان في حاشية السلاطين السلاجقة . يبدو أن ذلك أمر طبيعي لمفكر يؤيد فكرة السلطة التي يعيش في ظلها لاسيما إذا ما علمنا ما لها من إمكانيات تمكنها من قمع البغاة والطغاة ومجاهدة الكفر والعتاة[4]. ويؤكد الغزالي أن الحاكم أن ساعدته الشوكة وصعب خلعه كان في الاستبدال به فتنة[5]. لذا وجبت الطاعة له فرؤيته آنذاك واقعية . ذلك انه يرى أن هناك ثمة ارتباط كبير بين ثبات السلطة وتماسك المجتمع. إذ أن السلطة هي المسؤولة عن كيان المجتمع من التصدع والتفكك ، فهو لا

---

[1] أمين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا، مصدر سابق، ص١٤.

[2] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٢.

[3] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٠.

[4] شرف، محمد جلال، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام، مصدر سابق، ص٢٨٣.

[5] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٧٢.

يتصور وجود مجتمع متماسك من دون وجود سلطة قوية، وان التمرد لاسيما في حالة فشله يؤدي إلى الاضطراب والفوضى الاجتماعية .

يبدو أن نبوغ الغزالي المبكر وحبه للعلم لاسيما عند دخوله بغداد هيأت له أن يتبوء مركزا اجتماعيا مرموقا ، بيد انه وقع في متاعب كبيرة اضطرته إلى الخروج من بغداد، وهذه السنوات الأربعة التي قضاها أستاذا في نظاميته جعلته غير مستقر ،أما سنوات الاعتزال فقد جعلته أكثر هدوءا بسبب ابتعاده عن السياسة ، لذا راح يدعو إلى دولة دينية إسلامية قوية ، وان يقترب نظام حكمها من نظام حكم الخلفاء الراشدين[1].

[1] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٨٢.

المبحث الثالث: العوامل الفكرية، ماهيتها وأثرها على فكره الاجتماعي

كان للحياة الثقافية في عصر الغزالي اثر كبير في فكره الاجتماعي، وان أعظم مؤثرين ثقافيين أثرا في تكوينه الفكري هما: انتشار المدارس النظامية المزودة بالمكتبات العامة، ووجود التيارات الفكرية المتناقضة التي كان يموج بها العالم الإسلامي[١]. فالمدارس النظامية هي أول المؤسسات العلمية بمعناها الصحيح، فقد هيأت لطلابها أسباب العيش[٢]، وإنشاءها جاء بسبب سياسي هو نشر مذهب الدولة الحاكمة ومن ثم التقريب بين وجهات النظر المختلفة لأصحاب المذاهب والفرق[٣]. لذا أقام الوزير نظام الملك على رأس كل مدرسة إماما للتدريس والوعظ[٤]، وقد نجم عن ذلك وقوع بعض العلماء تحت تأثير الأمراء والسلاطين[٥]، ومن أشهرهم الغزالي الذي اشتهر بالتدريس بالنظامية[٦]، فهو لم يكن ذا رغبة بالتدريس بقدر ما كان منطلقا لوضع حد للفلسفة والجدل الذي كان سائدا بين مفكري بغداد ومثقفيها[٧]. كما كان لهذه المدارس جانبا اجتماعيا مهما كونها نشرت العلم والمعرفة بين أفراد المجتمع[٨]. أي أن التعليم أصبح مجانيا ولعل هذا يفسر لنا احتجاج ارستقراطية العلم وقتذاك على إنشاءها لأنهم يرفضون انتشار العلم بين الناس[٩].

أما فيما يتعلق بالتيارات الفكرية فإنها هي الأخرى تركت آثارا عميقة في تفكير الغزالي وفي انطلاقه من قيود الجمود والتعصب[١٠]. فالفقه الذي كان سائدا في ذلك الوقت يتسم بالتقليد لأنه عبارة عن أحكام من إمام واعتبار أقواله كأنها من الشارع[١١]. أما

---

[١] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان، مصدر سابق، ص٢٩-٣٠.

[٢] حسنين، عبد المنعم (د)، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٢، ١٩٧١، ص١٨٦

[٣] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان، مصدر سابق، ص٣١.

[٤] المصدر السابق، ص٣٠.

[٥] أمين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا، مصدر سابق، ص١٧.

[٦] حسنين، عبد المنعم (د)، سلاجقة إيران والعراق، مصدر سابق، ص١٨٩.

[٧] رابس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، مصدر سابق، ص١٤٧.

[٨] حسنين، عبد المنعم (د)، سلاجقة إيران والعراق، مصدر سابق، ص١٧٢.

[٩] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٥٦.

[١٠] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان، مصدر سابق، ص٣١.

[١١] المصدر السابق، ص٣٢.

المعتزلة فقد بالغوا في استخدام العقل وحاولوا أن يضيفوا إلى المعاني الإسلامية جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار فلسفية[١]. بينما الإسماعيلية فإنها تؤمن بالإمامة التي من خلالها يتم الوصول إلى معرفة الله[٢]. وكان البويهيون ينتصرون للمعتزلة ضد الاشاعرة. بينما السلاجقة فينتصرون للاشاعرة ضد المعتزلة[٣]. وقد استطاع الغزالي أن يلم بجميع هذه التيارات الفكرية لامتلاكه ثقافات عديدة، فهو قد تثقف في أصول الفقه وألف فيه واطلع على مذهب الاعتزال ورد عليه، وتثقف في الفلسفة وألف للرد عليها، ثم قرأ تعاليم الإسماعيلية أو الباطنية ورد عليها. أما المذهب الأشعري فقد وسعه وزاد عليه من ناحيتين، من ناحية موضوعاته ومن ناحية معالجته للبراهين معالجة فلسفية[٤]. وهكذا فان الآراء التي أخذها من الفقه، والمعتزلة، والتصوف لم يأخذها على علتها، بل مزجها وغير بعضها لكي تتناغم مع الأفكار التي جاء بها فيما بعد[٥]. وعندما اخرج كتابه "إحياء علوم الدين" ظهرت فيه نزعة الفقه، والتصوف، والفلسفة مجتمعة ممزوجة بطريقة علمية[٦].

أن المجتمع الذي عاش فيه الغزالي تميز بانتشار ألوان متعددة من الأنماط الثقافية التي صبغت بنزعة التحرر. كما تميز بمحاربة الآراء الفكرية المتصارعة فتأثر بروح عصره في تفنيدها[٧]. ولقد عانى منها اشد المعاناة وحاول أن يقيس هذه الآراء بمقياس صحيح لكي يميز الحق من الباطل، وكان هذا المقياس هو الدين الإسلامي[٨]. وبالرغم من ذلك فان الأستاذ "محمد اركون" يتهم الغزالي بأنه كان من بين العوامل المسؤولة عن الجمود الفكري الذي حل بالمجتمع. إذ لم يفعل الغزالي كما يرى اركون إلا أن نظر للعملية

---

[١] أمين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا، مصدر سابق، ص١٤

[٢] حسنين، عبد المنعم (د)، السلاجقة، مصدر سابق، ص٦٠.

[٣] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان، مصدر سابق، ص٣٤.

[٤] أمين، احمد (د)، ظهر الإسلام، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، دون سنة طبع، ص٨٥.

[٥] الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٧٤.

[٦] أمين، احمد (د)، ظهر الإسلام، ج٤، مصدر سابق، ص٨٤

[٧] الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٧٤.

[٨] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٩.

بكل ذكاء بتكليف من السلجوقيين[١]. والحقيقة كما يؤكد اركون أن العوامل المسؤولة عن الجمود تعود إلى بناء المجتمع المتجمد. ذلك أن هذا الجمود يقرره بناء المجتمع بأسره، فإذا ما تجمد البناء تجمد الفكر فيه وتراجع، وإذ ما ازدهر ازدهر الفكر وتألق. وعلى هذا الأساس فان الجمود لا يقرره شخص واحد بل يقرره بناء المجتمع[٢]. إلى جانب ذلك يرى الباحث وبخلاف ما يرى الأستاذ "اركون" أن الغزالي لم يكن عاملا من عوامل الجمود الفكري بل كان عمالا من عوامل التقدم والنهوض الفكري ويدل على ذلك رفضه للقيم الاجتماعية السلبية كالجهل والتكاسل والتخلف والتواكل وإيمانه بأهمية العلم لاسيما إذا كان مقرونا بالعمل وإيمانه بحقيقة مفادها أن المجتمع يرقى ويتقدم من خلال التزامه بتعاليم الإسلام التي هي مبادئ عقلانية وعلمية بنظره[٣]. والمجتمع بنظر الغزالي لا يتخلص من الجمود الفكري إلا عن طريق تمسكه بالإسلام . فالإسلام هو مصدر العقل والعلم وأساس القيم الفاضلة[٤]، و نتيجة لإيمانه بهذه الأفكار لقي في حياته من العنت و النقد المرير شيئا كثيرا ، وقد اتهمه خصومه بالزندقة من جراء الآراء التي جاء بها . شأنه في ذلك شأن الكثير من المجددين الذين يواجهون معاصريهم بما لم يألفوه[٥]. وهكذا شعر الغزالي بالألم تجاه الجمود الذي كان مسيطرا على أذهان معاصريه، هذا الشعور الذي جعله يترك التدريس في النظامية ويؤثر الزهد. ويعترف الأستاذ "سلامة موسى" بنزاهته لأنه ترك منصبه في النظامية[٦].

نستنتج من ذلك أن الغزالي لم يكن سببا للتدهور الاجتماعي أو حتى عاملا من عوامله بل كان يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي ما استطاع الى ذلك سبيلا، ومما يدل على ذلك تأثره بالإسلام الذي يدعو إلى التقدم ويحارب الجمود.

---

[١] اركون، محمد، حول التراث والأصولية والتفاوت التاريخي، مجلة دراسات عربية، العدد ٦٠٥ ، السنة الرابعة والثلاثون، ١٩٩٨، ص٣٧.

[٢] المصدر السابق.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٣.

[٤] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٩.

[٥] الوردي، علي (د)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢، ص٥٢.

[٦] موسى، سلامة، حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٦١، ص١٧٣.

المبحث الرابع: التراث العلمي والمعرفي اليوناني في فكره الاجتماعي

لقد تأثر الفكر الاجتماعي للفلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية، وحاول الفلاسفة المسلمون، ومن بينهم الغزالي التوفيق بين المبادئ الفلسفية والمبادئ الإسلامية مما كان له اثر في توضيح معالم النظم الإسلامية وتحديدها[١]. فالغزالي تأثر في كتابه "تهافت الفلاسفة" بفيلسوف يوناني محدث هو "بيرقلس الافلوطوني"[٢]. كما تأثر في كتابه "مشكاة الأنوار" بكتاب "تساعات أفلاطون" لاسيما نظرية النور التي عرضها في "المشكاة" خصوصا في الفصل الأول منها وهو "أن النور هو الله ولغيره مجاز محض لا حقيقة له". لكن الغزالي جعل لرسالته الفكرية في هذا المنهج مصطلحات ذات دلالات ومعاني إسلامية مبتعدا في ذلك عن المصطلحات الفلسفية[٣]. إذ ربط بين الفلسفة الافلوطونية والعقائد الإسلامية واستخرج من هذا الربط أراء في ثوب إسلامي جديد، كل ذلك من اجل أن يعطي للفلسفة حق المواطن الكامل داخل الثقافة الإسلامية[٤].

أن الغزالي هو المازج الحقيقي للمنطق الأرسطي بعلوم المسلمين بسبب تلك المقدمة المنطقية التي ذكر فيها في أول كتاب "المستصفي"، إذ قال فيها "أن من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه"[٥]. ولهذا السبب يعد القرن الخامس الهجري من تاريخ الفكر الإسلامي فاصلا بين عهدين، عهد لم يلجأ المسلمون إلى مزج علومهم بالمنطق والفلسفة اليونانية. وعهد بدأ فيه المسلمون عملية المزج خاصة في نطاق المنطق[٦]. ويؤكد الغزالي أن المنطق لا ينبغي أن يختلف المسلمون فيه عن اليونانيين إلا في الاصطلاحات، ولكي يتخلص المسلمون من الخطأ في الاستدلال في شتى علومهم وجب عليهم أن يستخدموا المنطق الأرسطي[٧]. إلى جانب تأثره بنظرية الشك عند اليونان التي تؤكد بان العقل لا

---

[١] العمر، معن خليل(د)،تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٨٦.

[٢] بدوي، عبد الرحمن (د)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، مصدر سابق، ص١٩١.

[٣] المصدر السابق، ص١٩٨.

[٤] المصدر السابق، ص٢٠٦.

[٥] النشار، علي سامي (د)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٨، ص٧٣.

[٦] المصدر السابق، ص١٣٢.

[٧] المصدر السابق، ص١٣٦.

يمكن أن ينفذ إلى طبائع الأشياء ولا إلى حقائق الأمور المادية والميتافيزيقية(*)، بل يتناول السلوك البشري. وقد استفاد الغزالي من هذه النظرية واستطاع أن يوسعها قليلا. ويطبقها على الواقع الاجتماعي. إذ قاده شكه إلى رفض هذا الواقع ، فشك في العادات والتقاليد والقيم(١). واستفاد من الفيلسوف "ابن سينا" المتأثر بالفلسفة اليونانية عن وظائف النفس. كما استفاد أيضا من الفيلسوف "أرسطو" والفيلسوف "أفلاطون" في إطلاق التسميات الثلاث على النفس البشرية "العقلية، والغضبية، والشهوانية". إذ أن نظرية أفلاطون في هبوط النفس من عالم أعلى إلى عالم الحس فيها شبه مع نظرية الغزالي في النفس العاقلة وعلاقتها بالنفس العاملة(٢). فالغزالي قد تأثر بالفلسفة اليونانية وخاصة بالفيلسوف أرسطو الذي قسم النفس البشرية إلى نفس عالمة ونفس عاملة(٣). فالنفس العالمة تقع في منطق العقل، لذا فهي تحدد الذكاء والتفكير ، أما النفس العاملة فهي أساس القوة العضلية عند الإنسان وأساس الصفات البايولوجية التي تميزه عن بقية الحيوانات(٤). كما ظهر تأثير أفلاطون في فكر الغزالي الاجتماعي حينما تناول الغزالي موضوع الطبقات الاجتماعية، فالطبقة العليا تقابل القسم العقلي من النفس البشرية ، والطبقة الوسطى تقابل القسم العاطفي، والطبقة السفلى تقابل القسم الغريزي من النفس(٥).

أما فيما يتعلق بالأخلاق فقد دونها الغزالي على الروح الإسلامي. إذ انه ملأ الفراغ الذي كان في أخلاق اليونان(٦). فأرسطو في عصره البدائي وفي ظل آلهة أرضية أدى وظيفة في دنيا الأخلاق. ولكن عندما جاء الغزالي اجتهد وابتكر مستعينا بالدين

---

* علم ما وراء الطبيعة.

١ بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص٣٠٣.

٢ المصدر السابق، ص٦٥١.

٣ رفاعي ، احمد فريد ، الغزالي ، مصدر سابق، ص٤٥.

٤ الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٨.

٥ رفاعي ، احمد فريد ، الغزالي ، مصدر سابق، ص٤٧.

٦ بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص٢٢٥.

الإسلامي[1]. وسوف نوضح اهتمام الغزالي بالأخلاق في الفصل الثامن الموسوم "التنشئة الاجتماعية والأخلاقية في فكر الغزالي".

ومما تجدر الإشارة إليه أن عملية نقل التراث اليوناني من أفلاطون عن طريق الفلاسفة العرب ومن بينهم الغزالي كان يتصف بالسرية .ذلك أن هؤلاء الفلاسفة كانوا يرون أن العامة غير قادرين عل استيعاب الحقائق العليا، أو كما عبر عنها الغزالي بالمعنى الباطن للشريعة، لان الشريعة تحرم المناقشة العلنية لهذه الموضوعات[2].

[1] المصدر السابق، ص٨١.

[2] توبي، أ هـ ن، فجر العلوم الحديث، ج١، ترجمة د. احمد صبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٧، ص١٠٨.

المبحث الخامس: الإسلام وأثره في فكره الاجتماعي

أن اثر الإسلام **في فكر الغزالي برز بشكل واضح حينما رأى الفوضى والفساد الذي استشرى داءه في كيان المجتمع .إذ لاحظ بان انغماس بعض أفراد المجتمع في الشهوات التي من أبرزها حب المال ، والجاه ، والكبر يعود إلى ابتعادهم عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى . وبعده مصلحا اجتماعيا يظهر عندما تتهدد القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية ، ويصبح التساهل في الدين هو الأمر المألوف وحينما تزيد حدة الخلافات في الآراء ، وتكثر الأقوال المتناقضة والمتعارضة ، ويزداد الشك وتتعدد الأحزاب والفرق الدينية ، ويضيع الشعور بالأمان والاطمئنان العقلي والروحي اللذان يكفلهما الدين وما ينشأ عنه من نظم اجتماعية [١].**

ويبدو أن نزعة الغزالي الدينية ومحاربته للفساد الاجتماعي ترجع إلى نشأته الأولى ، إذ تربى في كنف أب ثوري النزعة ، متطهر ، اذ أوصى هذا الأب صديقا بولديه "أبو حامد" و "احمد" لتربيتهما على تعاليم الإسلام [٢]. كما ان اكتسابه لعلوم الفقه في المدن التي طاف بها كان له اكبر الأثر في دعوته الإصلاحية فيما بعد ،فهو لا يريد للمجتمع الإسلامي التفكك والاضطراب والفوضى ، بل يريد له الخير والصلاح .

وتبرز نزعة الغزالي الدينية في حرصه الشديد على المجتمع من بعض الأفكار الهدامة التي تحملها الفلسفة، فعندما يفصل الفلسفة عن الدين لا لأنه لا يؤمن بارتباط الديانة الإسلامية بقانون العقل كما هو الحال بالنسبة للديانة المسيحية .ولكن الإيمان الذي يرتبط بالعقل يعد عاملا من عوامل الاستقرار النفسي الذي يحول دون وقوع ظواهر اجتماعية كالانتحار مثلا ، وهذا ما تطرق إليه عالم الاجتماع الفرنسي (أميل دوركهايم) في كتابه الانتحار بالقول " أن الانتحار يتناسب تناسبا عكسيا مع درجة التكامل في المؤسسة الدينية والأسرية والسياسية" [٣].

---

[١] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٩.

[٢] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره ، مصدر سابق، ص٢٣.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٤٥..

أن تأثير الإسلام في فكر الغزالي الاجتماعي يتحدد في أن هذا الدين يؤثر الملاحظة التجريبية لتحصيل العلم اليقين، وتلك من أهم الطرق العلمية التي يدعو إليها العلم الحديث. إذ دعا الإسلام إلى النظر في النفس البشرية لاستجلاء إسرارها وصولا إلى العلل والقوانين التي تفسرها [١]. فتأثره بالإسلام جعله يستنبط الكثير من الأفكار المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية والسلوك الاجتماعي، والأخلاق، والطبقات، واصل نشوء المجتمع. وبالرغم من نزعته الصوفية إلا أن جوهر فكره ينسجم والواقع الاجتماعي، فهو دعا الى الإصلاح وحارب الفساد والانحراف. فالعزلة التي آثرها انتهت إلى تدخل اجتماعي كما أن الفكر انتهى إلى فعل[٢]. أي انه ربط بين الجانب النظري والعملي في تناوله للظواهر الاجتماعية. فهو لم يعتنق التصوف فحسب، بل مزجه بتعاليم الإسلام واستخلص من هذا المزيج دينا صوفيا، فعمق من روحانية الإسلام في العقائد والعبادات، بعد أن كاد يصبح هيكلا خاليا من الروح[٣]. ولعل الدكتور احمد أمين في حديثه عن الروحانية لم يكن بعيدا عن رأي الغزالي هذا. إذ يقول "فلا بد في الأمة من العالم والفنان والسياسي والإداري والحربي والصوفي ، وفساد الشرق لم ينشا من التصوف ، ولكن من دعوى التصوف حينا ومن عدم استكمال بقية الأدوات حينا" [٤]. إذن الدعوة إلى التصوف بمعزل عن الفقه أو بمعزل عن الحياة الاجتماعية برمتها يقود إلى الجمود والتخلف. وهذا ما تنبه إليه الغزالي في دعوته الشمولية المتعلقة بنواحي المعرفة المختلفة.

أن روح الإسلام عند الغزالي لا يعني التواكل على حساب ترك الكسب والاستسلام للمهلكات ولا يعني الدعاء والرضا بالقضاء والقدر بل بطلب العلم والجد والمثابرة لان التقدم الاجتماعي لا يتحقق إلا بالعلم والعمل والإيمان بالله سبحانه وتعالى [٥]. فالإسلام الذي تأثر به الغزالي هو نظام دين ودنيا فلم يترك نظاما من النظم الاجتماعية إلا وتناوله. فالإسلام على سبيل المثال تطرق إلى النظام الأسري، والنظام التربوي، والنظام السياسي،

---

[١] إسماعيل، زكي محمد، نحو علم الاجتماع الإسلامي، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، ١٩٨١، ص٩٨.

[٢] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره ، مصدر سابق، ص٣٦٠.

[٣] بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص١٤٨.

[٤] أمين، احمد (د)، فيض الخاطر، ج٧، مكتبة النهضة، ط٢، ١٩٥٣، ص٤٦.

[٥] بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص١٤٤.

والنظام الاقتصادي. فكل نظام من هذه الأنظمة يتألف من أنظمة فرعية. ولقد حدد الإسلام الحقوق والواجبات كما حدد الأدوار التي تقوم بها هذه النظم تجاه بعضها البعض[١].

أن تأثر الغزالي بالإسلام جعله يطرح أفكارا اجتماعية أصلية تتعلق بالتنشئة الاجتماعية والأخلاقية ، والاجتماع الإنساني والطبقات الاجتماعية ، والانتقال الاجتماعي ، ويقدم إضافات علمية سبق فيها بعض علماء الاجتماع الأوربيين ، لذا يمكن عده من رواد علم الاجتماع البارزين حتى أن ابن خلدون تأثر بالكثير من أفكاره . ومثلما تأثر الغزالي بالاسلام تأثر رواد علم الاجتماع الغربيين بتراثهم الديني الذي زخرت به الكتب المقدسة والأساطير التي عكست صورة النظم الاجتماعية لدى البشرية الأولى على أساس أنها منطلق لبداية الحياة الاجتماعية للإنسان [٢].

---

[١] إسماعيل، زكي محمد، نحو علم الاجتماع الإسلامي، مصدر سابق، ص٩٨.

[٢] النوري، قيس (د) والحسني، عبد المنعم (د)، النظريات الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص١١٧.

الفصل السادس

منهجية البحث عند الغزالي

تمهيد

المبحث الأول : المنهج التاريخي

المبحث الثاني :المنهج الاستقرائي

المبحث الثالث : المنهج الاستنباطي

المبحث الرابع : المنهج المقارن

تمهيد

أن المنهج العلمي في أي علم هو طريقة يصل بها الإنسان إلى اكتشاف الحقيقة لأية ظاهرة من الظواهر السائدة في الطبيعة، لذا يعد الاهتمام بالبحث العلمي من السمات الأساسية لتقدم الأمم[١] لأنه يتميز بموضوعيته وتحرره من التأثير الشخصي. ولا شك أن البحث العلمي الذي يجري على أساليب علمية يعد أساسا لكل تطور واع وأساسا لكل تنمية اجتماعية هادفة[٢].

أن اهتمامات المفكرين الاجتماعيين العرب بقضايا المنهج وأصول البحث الاجتماعي سبقت اهتماماتهم بقضايا التنظير والوصف والتحليل لطبيعة الإنسان ومكوناته وطبيعة النظم والمؤسسات الاجتماعية التي يتفاعل معها ، وطبيعة الظواهر والعمليات الاجتماعية التي كان يحس بها والتي أثرت بطريقة أو بأخرى على نمط حياته العامة والخاصة[٣].

والغزالي بعده من أوائل المفكرين الاجتماعيين العرب الذين اهتموا بالمنهج العلمي في الدراسة والبحث، استخدم أربعة مناهج اجتماعية هي المنهج المقارن ، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج التاريخي، فعند دراسته لأثر التربية في تغير السلوك استخدم المنهج الاستقرائي. في حين تناول المنهج المقارن في تصنيف العلوم وفي دراسته لطرق المكسب والعيش المتبعة في مجتمعات متباينة، وهناك العديد من المقارنات يوردها الغزالي في ثنايا كتبه المهمة. أما استخدامه للمنهج التاريخي فقد مكنه من انتقاد الأخبار والأحداث التاريخية، فهو يشكك في صحة الروايات والأحداث، فاستخدامه لهذا المنهج جعله سباقا "لابن خلدون" الذي جاء بعده. لكن ابن خلدون استطاع أن يوسع هذا المنهج ويطوره، كما استخدم الغزالي هذا المنهج في موضوع التنشئة الاجتماعية والأخلاقية. وأخيرا استخدم الغزالي المنهج الاستنباطي في حديثه عن النفس البشرية فهو يؤكد أن فهم المجتمع لا يتم إلا من خلال فهم الفرد الذي يعد أساس

---

[١] كرم، انطونيوس، العرب أمام تحديات التكنولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢، ص٨.

[٢] الشيباني، عمر محمد (د)،مناهج البحث الاجتماعي،مجمع الفاتح للجامعات،ليبيا،ط٢، ١٩٨٩، ص٥٧.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، الجذور التاريخية لمنهج العلوم الاجتماعية عند العرب، مجلة المورد، مصدر سابق، ص٧٣.

المجتمع، لذا يتعين دراسة النفس البشرية والتي بدورها تنقسم إلى قسمين أساسيين هما النفس العالمة والنفس العاملة، ومن هذين القسمين يمكن تفسير حقيقة الاجتماع البشري.

المبحث الأول: المنهج التاريخي (Historical Method)

يقصد بالمنهج التاريخي دراسة الأحداث الماضية خلال فترات زمنية معينة. إذ تنتظم المعلومات وتفسر حسب الترتيب الزمني، وقد يقوم الباحث الذي يستخدم هذا المنهج بسرد الأحداث في تتابع زمني، أو كشف إحداث وأشياء متصلة بحقب سابقة وإقامة الترابط بينها ترابطا عقلانيا[١]. فضلا عن دراسة نتائج الحادثة على مسيرة المجتمع التحولية وعلاقتها بالأهداف العليا التي يريد المجتمع بلوغها خلال مدة زمنية محددة[٢]. وذلك إن هذا المنهج يقوم على مبدأ انه يصعب فهم حاضر الشيء دون فهم ماضيه لان الحاضر هو نتاج الماضي فكل حدث هو نتيجة لما قبله، وهو بنفس الوقت سبب لما سيأتي بعده[٣].

إن الغرض من استخدام هذا المنهج في علم الاجتماع هو من اجل التوصل إلى المبادئ والقوانين العامة للظواهر الاجتماعية، وعن هذا الطريق يمكن الربط بين الحاضر والماضي[٤]. ففائدة هذا المنهج لا تنحصر في فهم إحداث الماضي، بل تتعداه إلى تفسير الإحداث والمشكلات الجارية وفي توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل[٥].

لقد ميز أبو الحسن الماوردي معنيين للتاريخ: الأول تاريخ وعظي والثاني تاريخ واقعي، والواقعي له وحده يكون التعاقب الزمني للإحداث، إما ابن خلدون فينصح المؤرخ إن يحيط بالقواعد السياسية لمجتمع الدراسة عند دراسة الحدث التاريخي، والقوانين

---

[١] السالم، فيصل (د)، وفرح، توفيق(د)، قاموس التحليل الاجتماعي، دار المثلث، بيروت، ١٩٨٠، ص٩٢.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، الجذور التاريخية لمنهج العلوم الاجتماعية عند العرب، مصدر سابق، ص٧٥.

[٣] العسل، إبراهيم(د)، الأسس النظرية و الأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص١١٧.

[٤] حسن ، عبد الباسط (د)، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة الانجلو-المصرية، القاهرة، ط٣ن ١٩٧١، ص٤٠٥.

[٥] الشيباني، عمر محمد (د)،مناهج البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص٨٢.

الاجتماعية التي تتحكم في سلوك إفراد مجتمع الدراسة ومقارنة حاضر المجتمع بماضيه[1].

فالمنهج التاريخي في رأيه لا ينزع إلى النقل والسرد والخلط وإنما يقوم على ملاحظة أسباب الوقائع والأحوال، فهو يعتمد على طرق فنية في التحقيق والتنقيح[2]. وان تطبيق هذا المنهج في دراسة المجتمع يخلص البحوث التاريخية من الخرافات، والإخبار الكاذبة والخرافات والأكاذيب من جهة أخرى[3]. يكاد الغزالي يسبق رأي ابن خلدون هذا في ضرورة تخليص التاريخ من الخرافات والأباطيل. ففي حديثه عن الإمامة في كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" يقول "إن النظر في الإمامة ليس من المهمات، ثم أنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها اسلم من الخائض"[4]. وفي موضع أخر من الكتاب نفسه يقول "اعلم إن للناس في الصحابة والخلفاء إسراف في إطراف فمن مبالغ في الثناء حتى يدعي العصمة للائمة، ومنهم متهجم على الطعن يطلق اللسان بذم الصحابة فلا تكون من الطرفين، واسلك طريق الاقتصاد في الاعتقاد". ويلحظ انه يرفض النقل إذا لم يكن دقيقا وموثوقا، فهو يقول "فأكثر ما ينقل مخترع بالتعصب في حقهم ولا أصل له وما ثبت له فالتأويل متطرق إليه ولم يجر ما لا يتسع العقل لتجويز الخطأ والسهو"[5]. كما وينصح الباحث بضرورة الالتزام بالموضوعية، وذلك من اجل التوصل إلى الحقيقة، فهو يقول على سبيل المثال "اعلم انك في هذا المقام بين إن تسيء الظن بمسلم وتطعن عليه وتكون كاذبا أو تحسن الظن به وتكف لسانك عن الطعن وأنت مخطئ أيضا"[6]. وبناءً على ما سبق ذكره فقد توصل الغزالي إلى نتيجة هامة مفادها إن التاريخ بحاجة إلى تمحيص وتدقيق، وهنا يرتفع بأفكاره الاجتماعية، ومن المؤكد انه تأثر هنا بمبادئ الإسلام

---

[1] العمر، معن خليل(د)،نحو علم اجتماع عربي،دار الحرية للطباعة،بغداد، ١٩٨٤، ص١٤١-١٤٣.

[2] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٧٤.

[3] عبد المولى، محمود، ابن خلدون وعلوم المنهج، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧١، ص٧٧.

[4] الغزالي، أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٩٠، ص١٤٧.

[5] المصدر السابق، ص١٥٢.

[6] المصدر السابق، ص١٥٣.

النابعة من القرآن الكريم والحديث النبوي(*) اللذين استشهد بهما في كتبه المهمة كـ"إحياء علوم الدين"، فكثير من الآيات القرآنية والأحاديث تؤكد استخدام العقل والتأكد من صحة الإحداث التاريخية قبل الحكم عليها. وتحت هذا التأثير كان منهج الغزالي في التاريخ. لكن الباحث يرى إن ابن خلدون حاول توسيع رأي الغزالي ليجعله منهجا علميا في دراسة الظواهر الاجتماعية، وبهذا نرى إن الغزالي وضع اللبنة الأولى التي بني عليها ابن خلدون رؤيته الاجتماعية في هذا المنهج فيما بعد.

يقتفي الغزالي منهجية تاريخية في تناوله لتربية الطفل فيقر باستمرارية التعليم بكل قنواته، مثل قناة التعليم الأولى: الأسرة. وقناة التعليم الثانية: المدرسة، ثم قناة التعليم الثالثة: المجتمع، ولكل من هذه القنوات التعليمية شروطها وقواعدها مراعيا فيها عمر المتعلم ونوع المادة العلمية التي ينبغي تعليمها له في كل قناة. وذلك بتقديم بعض فروع المعرفة العلمية على بعضها وتأخير الأخرى حسب عمر المتعلم وقدراته العقلية مراعيا الفروق الفردية والعوامل البيئية والوراثية. علما بان هناك ثمة تعاون بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، أي إن الفرد عندما يدخل المكتب (المدرسة) لا تتخلى عنه الأسرة والمجتمع[١]، كما إن الفرد عند مروره بهذه القنوات الثلاث: الأسرة والمدرسة والمجتمع[٢]، واجتيازه لها إنما يعد بمثابة مراحل تاريخية يمر بها خلال تاريخ حياته.

---

* ينص القرآن الكريم في سورة الكهف على عدم التخمين والاستفتاء فيقول سبحانه وتعالى "فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا، ولا تستفت فيهم منهم احدا" الكهف، الاية (٢٢)، كما يقول سبحانه وتعالى "يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة ..." الحجرات الاية [٦]. والجدير بالذكر ان الغزالي من اشد علماء العرب تأثرا بجوهر الدين الاسلامي ، فنظام الدنيا عنده قائم على نظام الدين، لذا نجد ان نزعته الدينية قد امتزجت بالواقع الاجتماعي وافرزت فكرا اجتماعيا اصيلا.

[١] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٢١٣.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٧.

المبحث الثانى: المنهج الاستقرائى(Inductive Method)

هناك عدة تعاريف علمية لمفهوم الاستقراء أهمها التعريف الذي يقول بأنه عملية استنتاج الكل من الأجزاء أي فهم المفردات الجزئية للظاهرة ، أو العملية الاجتماعية والسياسية، ومن ثم يستنتج الظاهرة أو العملية بشكلها الكلي الشمولي [١]. في حين يعرف الإمام الغزالي الاستقراء في كتابه "مقاصد الفلسفة" بقوله "إما الاستقراء فهو إن تحكم من جزيئات كثيرة على الكلي الذي يشمل تلك الجزئيات[٢].

وشبيه ذلك ما يؤكد في كتابه "محك النظر" بالقول "إما الاستقراء فهو عبارة عن تصفح امور جزئية ليحكم بها على أمر يشتمل تلك الجزئيات"[٣]. وكذلك ما يذهب إليه في "معيار العلم"الذي ينص فيه على إن "الاستقراء هو إن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معني كلي حتى اذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به"[٤].

ويقرر الغزالي في كتابه "محك النظر" إن "الاستقراء اذا لم يكن عاما مستوعبا لم يفد، وان استوعب دخلت فيه النتيجة المطلوبة ولا يصح ذلك إلا في الظنيات لأنه مهما وجد الأكثر على نمط واحد غلب على الظن إن الآخر كذلك[٥]. أو كما يؤكد في "مقاصد الفلاسفة" إن "الاستقراء يؤدي إلى اليقين إن أمكن استقراء جميع الجزئيات حتى لا يشذ واحد . ولكن إذا احتمل إن يشذ واحد فلم يفد اليقين "[٦].

وبناء على ما تقدم فان الغزالي يؤمن بإمكانية الوصول إلى اليقين عن طريق الاستقراء إن أمكن حصر جميع الجزئيات ، ولكن احتمال شذوذ جزئية واحدة يجعل الموقف يتغير إلى القول إن الاستقراء يؤدي الى الظن لان الاستقراء الكامل غير ممكن

---

[1] Frolov, I. Dictionary of Philosophy, Progress Publishers, Moscow, 1984, p. 194.

[٢] الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦١، ص٨٩.

[٣] الغزالي، أبو حامد، محك النظر، تحقيق محمد بدر الدين النفساني، دار النهضة، بيروت، ١٩٦٦، ص٧٢.

[٤] الغزالي، أبو حامد، معيار العلم، المطبعة العربية بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٢٧، ص١٠٢.

[٥] الغزالي، أبو حامد، محك النظر، مصدر سابق، ص٧٣.

[٦] الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، مصدر سابق، ص٩٠.

فهو فرضية فحسب ولا تتحقق لاستحالة الإحاطة بالجزئيات كلها واستيفائها وهذا ما درج عليه علماء اليوم ، ومن هنا القول بالاحتمالية ، وان المعرفة العلمية متجددة و قابلة للنقد وإعادة التفسير ولهذا فهي معرفة تقدمية[١].

فالغزالي يؤكد في كتابه "معيار العلم" "إن الاستقراء يكتفي به في الفقهيات في أول النظر"[٢]. كما نص في كتابه "مقاصد الفلاسفة" "إن الاعتماد على الاستقراء يصلح في الفقهيات لا في اليقينيات وفي الفقهيات كلما كان الاستقراء اشد استقصاء واقرب إلى الاستيفاء كان أكثر تأكيدا في تغليب الظن [٣]. ويقرر في "محك النظر" انه يصلح للظنيات دون القطعيات [٤].

ومما تجدر الإشارة إليه إن الغزالي لم يجد في الاستقراء طريقا إلى العلم اليقيني التام لان الاستقراء التام غير ممكن والناقص يؤدي إلى الظن ، والظن غير مقبول بالعقليات ، لذلك يقال لمن يعتمد الاستقراء في العقليات إن الاستقراء الذي اعتمده ناقص ولا يقال ذلك للفقيه لجواز الظن في الفقه [٥] . إذن الاستقراء التام يفيد العلم والناقص يفيد الظن .

ويقتفي الغزالي المنهج الاستقرائي في دراسته لموضوع التربية والسلوك ، فيقول إن السلوك هو نتيجة التربية الأسرية ، والأخلاقية ، والدينية التي يتلقاها من المجتمع .

فهو يربط بين التربية القويمة ونهوض المجتمع وتقدمه من جهة والتربية الفاسدة وجمود المجتمع وتخلفه من جهة أخرى. إذ يرى بان التربية أساس السلوك، وان السلوك يمكن تغييره عن طريق التربية [٦].

---

[١] الكبيسي، محمد محمود رحيم، نظرية العلم عند الغزالي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، آداب فلسفة، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص١٤٦.

[٢] الغزالي، أبو حامد، معيار العلم، مصدر سابق، ص١٠٢.

[٣] الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، مصدر سابق، ص٩٠.

[٤] الغزالي، أبو حامد، محك النظر، مصدر سابق، ص٧٢.

[٥] الكبيسي، محمد محمود رحيم، نظرية العلم عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٤٧-١٤٨..

[٦] الحسن، إحسان محمد (د)، الجذور التاريخية لمنهج العلوم الاجتماعية عند العرب، مصدر سابق، ص٧٤-٧٥.

ويتبع الغزالي هذا المنهج في دراسته للطبقات الاجتماعية ، إذ يرى بان المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات : طبقة الحكام و رجال الدين ، وطبقة الجند ،وطبقة الصناع والعمال و الفلاحين ، و لكل من هذه الطبقات إعمال معينة وممارسة هذه الإعمال من دون غيرها إنما يعتمد على طبيعة النفس البشرية بأقسامها الثلاثة العاقلة التي تقابل الحكام و رجال الدين ، والعاطفية التي تقابل الجند ،والعاملة أو الغريزية التي تقابل الصناع والتجار والفلاحين .

المبحث الثالث : المنهج الاستنباطي (Deductive Method)

الاستنباط هو عملية تفسير من العام إلى الخاص ، أي التوصل إلى النتائج من الفرضيات القابلة للتطبيق ويمكن استخدام الاستنباط لتفسير حادثة عن طريق إثبات إن النتائج التي تفضي إليها هذه الحادثة هي نتائج منطقية لفرضيات قابلة للتطبيق . تبدأ عملية الاستنتاج بفرضية وتطبق الفرضية على الحادثة التي يراد تفسيرها ، فان كان هناك علاقة منطقية بين الفرضية والنتيجة ، فان هذه الأخيرة قد تأتي بفهم للحادثة وتضيف إلى النظرية التي استخدمتها كنقطة بداية [١].

و يعرف الاستنباط بأنه المنهج الذي يبحث في تحليل الكل أو الظاهرة الكلية إلى أجزائها و عناصرها الأساسية [٢]. معنى ذلك إن تبدأ البحث بالاعتماد على كليات عقلية عامة، ثم تستنبط منها النتائج الجزئية الخاصة ، وهو بذلك يختلف على منهج العلوم الحديثة ، فقد قامت هذه العلوم على أساس الانتقال من الجزئيات إلى الكليات ، وهو ما يسمى بالمنهج الاستقرائي ، بينما المنطق الأرسطي استنباطي ينتقل من الكليات إلى الجزئيات [٣].

يعتقد الغزالي بان المنطق يصح استعماله في العلوم التي تحتوي على كليات عامة متفق على صحتها من قبل الناظرين فيها . إذ يستطيعون بواسطة المنطق إن يستخرجوا الجزئيات من تلك الكليات . وهنا يقول الغزالي " وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف به كلهم فأنهم إذا لم يتفقوا بالميزان لم يكن رفع الخلاف بالوزن " بيد انه يخالف الفلاسفة و المناطقة القدامى في إن البرهان المنطقي عاجز عن إن يصل بالإنسان إلى اليقين في القضايا الالهية[٤]. فهو يؤمن باهمية العقل و الحس في الاستنتاج[٥]. و بتأثير

---

[١] السالم، فيصل (د)، وفرح، توفيق(د)، قاموس التحليل الاجتماعي، مصدر سابق، ص٥٥.

[2] Frolov, I. Dictionary of Philosophy, Op. Cit. , p. 98.

[٣] الوردي، علي (د)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، مصدر سابق، ص٥٣.

[٤] الوردي، علي (د)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ، مصدر سابق، ص٥٣.

[٥] الجندي، أنعام، الفلسفة عند العرب، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، دون سنة طبع، ص٩٥.

الغزالي أصبح المنطق من العلوم الشرعية التي يجب أن يعرفها كل فقيه[1]. إذ أن المنطق مفيد للفقهاء لأنهم يستطيعون به استنباط الإحكام الشرعية من مصادرها الدينية [2].

و يقتفي الغزالي منهجا استنباطيا في تقسيمه لمراتب اليقين ، فهو يقسمها إلى ثلاث مراتب : مرتبة إيمان العامة ، ومرتبة العلماء ثم مرتبة العارفين، إذ أن معرفة العلماء تتم بالاستنباط ، فأصحاب المرتبة الأولى سمعوا أن فلانا بالدار وصدقوا، والمرتبة الثانية سمعوا أن فلانا يتكلم في الدار فاستنبطوا انه بالداخل ، وأصحاب المرتبة الثالثة دخلوا الدار ورأوا الرجل بأعينهم [3].

يرى الدكتور علي الوردي أن الغزالي كان يريد للأمور الاجتماعية أن تكون كالعلوم الطبيعية خاضعة لمنطق أرسطو . أما ابن خلدون فكان يريد للأمور الاجتماعية أن تكون مستمدة من المحسوس ولاصقة به، فالحس اصدق في فهم الأمور الاجتماعية[4]. في حين يرى الباحث أن المعرفة الحسية عند الغزالي غير منفصلة عن الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد. فالغزالي اعتمد على الحواس في معرفة الظواهر ،أي أن تفكيره كان واقعيا إلى ابعد حد. كما انه استفاد من المنطق الذي استطاع من خلاله كشف حقائق اجتماعية كثيرة، ويستعين الباحث في تعزيز رأيه بمجموعة من الآراء التي ذكرها الغزالي. فالغزالي يقول " أن قوة الحس تدرك عالم المحسوسات " وتتضح أهمية الحس عنده لاسيما (الملاحظة) بعدها وسيلة من وسائل البحث في مواضيع كثيرة من مؤلفاته، ومن أمثلة ذلك قوله " فان وقع لك الشك في شخص معين انه نبي أم لا فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، أما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع" . كما يستخدم الملاحظة مع الاشتراك في النشاط (الملاحظة بالمشاركة) وهي عنده أعلى مراتب الملاحظة لأنها ملاحظة فاعلة على الطبيعة تتمكن من مشاهدة السلوك على حقيقته، ومن أمثلة ذلك ملاحظته لأهل الطوائف المذهبية المختلفة وانتقادهم[5]. فكان دقيق الملاحظة لسلوك

---

[1] النشار، علي سامي (د)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، مصدر سابق، ص١٣٢.

[2] الوردي، علي (د)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، مصدر سابق، ص٢٠٧.

[3] احمد، سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٢٧.

[4] الوردي، علي (د)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، المصدر السابق، ص٦٦.

[5] بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص٤٣٧-٤٣٩..

الناس و خاصة ملاحظته للمنحرفين من الأفراد[1]. من هنا كان يتبين أن الغزالي كان يثق بالمعرفة التي تأتي عن طريق الحواس ، و هذا يخالف ما ذهب إليه الدكتور علي الوردي في أن الغزالي مزج العلوم الاجتماعية الطبيعية و أخضعها لمنطق أرسطو .

استخدم الغزالي هذا المنهج في تحليل مصادر النفس البشرية ، و دوافعها إلى عناصرها الأولية المتمثلة بالنفس العالمة المسؤولة عم الجانب المعرفي والإدراكي لدى الفرد ، أي حاجته إلى اكتساب العلم و المعرفة والقيم والأخلاق ... الخ والنفس العاملة المسؤولة عن الجانب البايولوجي لدى الفرد أي حاجته إلى الأكل و الشرب و المأوى ...الخ . علما بان النفس العالمة هي التي تسيطر على النفس العاملة لأنها تمس عالم الروح ، بينما النفس العاملة تمس عالم المادة ، فأقسام النفس البشرية العالمة والعاملة هي التي تؤلف المصادر الأساسية للاجتماع البشري. وهكذا فان المنهج الاستنباطي يستنبط الجزء المتمثل بالاجتماع البشري من الكل المتمثل بالنفس البشرية.

[1] العثمان،عبد الكريم،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص،مكتبة وهبة،القاهرة، ط١، ١٩٦٣، ص٢٧.

المبحث الرابع: المنهج المقارن (Comparative Method)

المنهج المقارن هو الوسيلة التي تجمع من خلالها المعلومات في إطار مقارنتها بالظواهر والعمليات الاجتماعية والسياسية في مجتمعات ودول مختلفة خلال فترة زمنية واحدة، أو تقارن هذه الظواهر في مجتمع واحد عبر حقب زمنية مختلفة[١]. فمنهاج المقارنة أمر لابد منه في عملية التفسير المنهجي، وقد دعا ابن خلدون العلماء والباحثين إلى أن يأخذوا بالحسبان المستويات النسبية للمجتمعات المختلفة. ذلك أن ظروف الحياة تختلف كما أن المجتمع نفسه في حالة تذبذب. فأسلوب المقارنة نظره فكرية تساعد المرء على التغلب على النزعات الطبيعية من خلال منظار يرتفع فوق الحدود القومية والاجتماعية[٢]. ويعود لهذا المنهج الفظل في جمع المعلومات الوصفية حول الظاهرة المزمع دراستها واستخراج القوانين الكونية الاجتماعية منها التي تفسر طبيعة الظاهرة وتحدد طبيعة السلوك السائد في المجتمع ونوعية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات [٣].

أن المنهج المقارن الذي اعتمده المفكرون الاجتماعيون العرب يتوخى مقارنة المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع ومقارنة النظم والتراكيب الاجتماعية في مجتمعات ودول ومناطق جغرافية متباينة [٤]. إذ كان يمثل محورا أساسيا في أعمال هؤلاء المفكرين عن طريق مقارنة ظواهر وعادات مجتمعاتهم خلال فترات تاريخية متباينة تمخض عنها استنباط قوانين شمولية على جانب كبير من الدقة والموضوعية تحكم طبيعة الظواهر [٥].

---

[1] Madge, M, Tools of Social Sciences, Longman, London, 1968, p. 21.

[٢] السالم، فيصل (د)، وفرح، توفيق(د)، قاموس التحليل الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤٢-٤٣.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع السياسي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص٢٠.

[٤] الحسن، إحسان محمد (د)، الجذور التاريخية لمنهج العلوم الاجتماعية عند العرب ، مصدر سابق، ص٧٥.

[٥] الجوهري، عبد الهادي (د)، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٢٥.

إلا أن ما يؤخذ على الكتاب العرب القدامى أنهم اقتصروا على مقارنة التشابهات فقط دون إظهار التباينات ، ولم يقارنوا أحداثهم الاجتماعية التي عاشوها مع أحداث مجتمعاتهم القديمة أو مجتمعات أخرى بل كانت مقارناتهم كلية أو جزئية [١].

قارن الغزالي في دراسته الاجتماعية طبقات المجتمع المختلفة . إذ أوضح صفاتها الخاصة والعامة مركزا على العوامل الأساسية المسؤولة عن وجودها وتحولها من طور إلى طور آخر. كما عالج الفوارق الأساسية الموجودة بينها ومن جانب أخر تناول موضوع النفس البشرية . إذ قال أن النفس البشرية تنقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة ، وقارن بينهما وأوضح خصائص كل منها [٢]. فالغزالي يرى أن الإنسان ينقسم إلى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وبقية الأجزاء المحسوسة ، والى باطن غير محسوس كالروح والعقل[٣].علما بان النفس العاملة تمس عالم المادة . أما النفس العالمة فتمس عالم الروح ، و لأهمية الروح عند الغزالي فانه يقارنها بالشمس ، فنور العالم وضياءه يظهر بتلك الشمس ، كذلك روح الإنسان بها تنمو أجزاء بدنه وجعلت الشمس وسط العالم ، كذلك جعلت الروح وسط الجسم ، ونفس الإنسان تشابه القمر من حيث أن القمر يستمد ضياءه من الشمس ، والنفس تستمد ضياءها من الروح [٤]. كما قارن الإنسان من حيث علمه بالملائكة ، ومن حيث اللذات البدنية بالبهائم . فالإنسان خلق على درجة تقع بين البهائم والملائكة فهو من حيث غذائه وتناسله كالنبات ، ومن حيث إحساسه وحركته كالحيوان ، ومن حيث صورته وقامته كالنقش على الحائط [٥].

ومن مقارنات الغزالي المتشابهة انه شبه الإنسان بالعالم ، فإذا حللت أجزائها وجدتها مشابهة للعالم ، فالعالم ينقسم إلى محسوس كعالم الملك (الدنيا) وباطن كعالم الملكوت (الآخرة) . كذلك قارن بين أدمغة بعض الناس وبقائها على الضلالات بالكاغد

---

[١] العمر، معن خليل(د)،نحو علم اجتماع عربي ، مصدر سابق، ص١٤٤.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٤٨.

[٣] الغزالي، أبو حامد، احياء علوم الدين،ج٥ ، مصدر سابق، ص٤٨.

[٤] المصدر السابق، ص٣٢.

[٥] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط١، ١٩٦٤، ص٢٠٩-٢١١.

الرخو الذي يغوص الحبر في عمقه ، فان أردت محوه لزمك إفساد الكاغد . وما دام الكاغد موجودا كان السواد فيه موجودا ، فهؤلاء أيضا ما دامت أدمغتهم موجودة كانت هذه الضلالات موجودة فيها لا يقدر البشر على إزالتها ومحوها [1] . كما أجرى الغزالي مقارنة بين النفس البشرية والهيئة الحاكمة في المدينة. فالنفس البشرية تتكون من القلب ، والقوة الغريزية والحواس والدماغ . وتتكون الهيئة الحاكمة في المدينة من الملك ، والوالي ، والجواسيس والنقباء . والعلاقة بين مكونات النفس البشرية تشبه علاقة مكونات الهيئة الحاكمة في المدينة . فعلى سبيل المثال أن الوالي يستلم أوامره من الملك ويسلم أوامره للجواسيس والنقباء التابعين له، ونفس الشيء في النفس البشرية فان القوة الغريزية تستلم أوامرها وتعليماتها من القلب وترسلها إلى الحواس والدماغ . ويلحظ في هذا النوع من المقارنة المتشابهة إنها دقيقة في وصفها وصائبة في مقارنتها ورائعة في خيالها [2].

[1] الغزالي، أبو حامد، محك النظر، مصدر سابق، ص٨٥.

[2] لعمر، معن خليل(د)،إسهامات العرب في الفكر الاجتماعي،مجلة آفاق عربية،السنة الثامنة،العدد٨ ،١٩٨٣، ص١٠١.

الفصل السابع

طبيعة الاجتماع الإنساني عند الإمام الغزالي

تمهيد

المبحث الأول : الإنسان حيوان اجتماعي .

المبحث الثاني : زيادة الكثافة السكانية وتعقد التفاعلات بين البشر .

المبحث الثالث : النظم الاجتماعية واثر القانون فيها .

تمهيد :

في هذا الفصل الموسوم "طبيعة الاجتماع الإنساني ودوافعه عند الغزالي" ثلاثة مباحث مهمة ، تناول المبحث الأول رؤية الغزالي إلى طبيعة الإنسان بوصفه حيوانا اجتماعيا . فالإنسان يولد في مجتمع ينشأ بالضرورة نتيجة لعجزه عن توفير العيش لنفسه وعجزه عن اكتساب عادات وتقاليد وقيم المجتمع فيما لو عاش بمعزل عن الجماعة والمجتمع . فوجود الحاجات الغريزية للفرد التي تقابل النفس العاملة مع وجود الحاجات العقلية التي تقابل النفس العالمة دفعته إلى التضامن مع المجتمع ، ومن ثم تحوله من كونه كائنا بيولوجيا إلى كائن اجتماعي .

أما المبحث الثاني فقد تصدى إلى موضوع زيادة السكان وماهية العوامل والأسباب المؤدية إلى هذه الزيادة ، واثر هذه الزيادة في تعقد وتشابك التفاعلات بين البشر ، علما بان تعقد التفاعلات كما يرى الغزالي يقود إلى ظهور المشكلات والخصومات الاجتماعية بين البشر مما يولد الحاجة لتكوين هيئة مخولة لحل هذه الخصومات .

أما المبحث الأخير فقد تناول أهمية النظم الاجتماعية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي . كما تناول طبيعة الدوافع المسؤولة عن تكوين هذه النظم . ذلك أن كل من هذه الأنظمة جاء استجابة لحاجات أساسية قد تكون بيولوجية ، أو دينية ، أو تربوية ،أو اقتصادية ، ولا بد أن يكون هناك تناسق وتكامل بين هذه النظم لان اختفاء هذا التناسق والتكامل يفضي لا محال إلى الاضطراب والتفكك الاجتماعي علما بان هناك قوانين خاصة لكل نظام لإزالة المظالم والخصومات التي قد تظهر وقت التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.

المبحث الأول : الإنسان حيوان اجتماعي

يعتقد الإمام الغزالي بان الإنسان بالطبيعة هو حيوان اجتماعي [١]. بمعنى انه لا يستطيع العيش من دون وجود الآخرين، فهو يعتمد على الآخرين والآخرين يعتمدون عليه. وان اجتماعيته تأتي له من مصدرين أساسيين هما الغرائز الكامنة في النفس العاملة، والتعلم واكتساب الخبر والتجارب الموجودة في النفس العالمة[٢]. فالإنسان بفطرته لديه صفة الفعالية لما يمتلكه من دوافع فطرية تجعله يندفع نحو البيئة الاجتماعية التي يعيش في كنفها، هذه الدوافع هي ما يطلق عليها الغزالي اسم الشهوات والغرائز الكامنة في النفس العاملة. بيد أن هذه الدوافع لا يمكن ضبطها وتهذيبها إلا من خلال التنشئة الاجتماعية والأخلاقية التي يطلق عليها الغزالي اسم "التأدب"، ذلك أن هذه التنشئة تكمن في النفس العالمة. وهكذا فان للنفس العالمة أثرا بالغا في ضبط الدوافع والسيطرة عليها[٣].

ويرى الغزالي أن الإنسان ينزع على نحو طبيعي لنظيره الإنسان، وتعدد احتياجاته تدفعه إلى التعاون مع بني جنسه من البشر لتحقيق هذا الهدف، فقد خلقه الله سبحانه وتعالى بحيث لا يعيش بمفرده، بل يضطر إلى الاجتماع مع الآخرين وذلك لسببين هما الحاجة إلى التناسل وبقاء الجنس ولا يمكن ذلك إلا باجتماع الذكر بالأنثى، ومن ثم التعاون على توفير أسباب الطعام، والملبس، والمسكن وأسباب المعيشة كافة[٤]. فحاجته إلى إشباع رغباته الجنسية دفعته إلى الزواج والإنجاب وتكوين الأسرة. وحاجته إلى الغذاء دفعته إلى تكوين التضامن الاقتصادي وإدخال نظام تقسيم العمل، وحاجته إلى الأمن دفعته إلى التضامن أيضا. ذلك أن الإنسان يخاف من أخيه الإنسان، وهذا الخوف حمله على التعاون من اجل الدفاع عن نفسه لهذا يقول الغزالي "وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في ارض مكشوفة كالصحراء لجعل الإنسان عرضة للظروف الجوية كما يجعلهم

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، مصدر سابق، ص٦٣.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٤٨.

[٣] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٧٨.

[٤] الحديثي، سعد خميس، الفلسفة السياسية عند الغزالي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤، ص١٠٥.

نهباً للسراق واللصوص فتظهر الحاجة إلى أبنية محكمة لكل عائلة"[1]. وعلى هذا الأساس لا يتصور الغزالي وجود مجتمع بدون وجود نظم اجتماعية. فوجودها أمر ضروري طالما أن لهذا الوجود مهمة هو تحقيق حالة الانسجام والأمن الاجتماعي[2]. وهكذا يكون الغزالي قد تناول الآراء الاجتماعية نفسها عن أصل نشوء المجتمع التي أكدها ابن خلدون فيما بعد.

أن الغزالي يعد الحاجة إلى الطعام من الحاجات البايولوجية المهمة عند الإنسان لأنه يؤمن بقاءه الفردي ثم أن هذه الحاجة أساس حب التملك وتحقيق الذات، إلا إنها أساسا للمهلكات والمعاصي حينما تتحكم في الفكر والسلوك[3]. كما يعد الحاجة إلى الجنس من الحاجات المهمة أيضا لأنها أساس بقاء النسل ودوام الوجود واستمرار المجتمع، ولئن كانت هذه الحاجات شديدة الأهمية بالنسبة للمجتمع إلا انه لا يجعلها تتحكم بواقع المجتمع كما فعل ذلك بعض علماء الاجتماع والنفس أمثال عالم الاجتماع"كارل ماركس" صاحب النظرية المادية، وعالم النفس "سيجموند فرويد" صاحب نظرية التحليل النفسي. فالغزالي يحاول دائما أن يمنع تحكم هذه الحاجات في سلوك الإنسان والخروج بها عن حدود العقل والشرع الإسلامي[4]، لان هذه الحاجات وجدت لضمان بقاءه وسلامته، وهو عاجز عن توفيرها وحده لذا يضطر إلى الاجتماع مع غيره. غير أن بقاء المجتمع يعود في الحقيقة إلى انشغال معظم الناس في طلب كل ما يستهوي شهواتهم ورغباتهم واتجاهاتهم، ولا شك في أن بقاءه غاية إلهية تضمن تحقيقها هذه النواحي في الطبيعة البشرية[5].

يعتقد الإمام الغزالي أن تنوع الموارد الاقتصادية عامل محفز على تنوع النشاط الاجتماعي، كما أن تنوعها يفضي إلى حاجة بعض الجماعات إلى الموارد التي تمتلكها

---

[1] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٢٥-٢٢٦.

[2] الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٨٣.

[3] العثمان،عبد الكريم،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مصدر سابق، ص٧٤. مصدر سابق، ص١٨٥.

[4] المصدر السابق، ص١٨٦-١٨٨.

[5] Othman, Ali Issa. The Concept of Man in Islam in the Writings of Al-Ghazali, Op. Cit., pp. 167-169.

جماعات أخرى وبهذا تصبح الموارد الاقتصادية سبيلا للتفاعل بين المجتمعات المختلفة، كما تصبح سبيلا لتقسيم العمل لأنها تحفز النشاط التجاري لدى الجماعات التي تفتقر إلى هذا المورد، بينما تحفز النشاط الصناعي لدى الجماعات التي تمتلك هذا المورد. ولا شك أن الغزالي بوصفه مفكرا إسلاميا يحاول أن يربط هذا التنوع في مستويات تقسيم العمل ودوافع التصنيع بعلة كبيرة هي الله سبحانه وتعالى، أي أن الله هو الذي انشأ هذه الموارد، وهو الذي هيأ دوافع استثمارها تجاريا وتصنيعيا[١]. فالغزالي ينطلق من فكرة مفادها أن النشاط الاقتصادي الواحد كفيل بان يجمع اكبر قدر ممكن من ممارسيه، أي انه قادر على خلق تجمع بشري ما يتحكم فيه مبدأ الانخراط في نشاط اقتصادي واحد من جهة والتنافس في إطار هذا النشاط من جهة ثانية[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاعتماد المتبادل في الأعمال سواء كان بين الأفراد أم بين الجماعات هو ما يطلق عليه عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركهايم" نظام تقسيم العمل. بينما يعد الغزالي هذا التقسيم حاجة البعض إلى البعض فهو يقول "فالبعض يحتاج إلى البعض"[٣]. أو يعده تخصصا في العمل. إذ يقول "ولو خصص واحد بمهنة من غير اختصاص كان ظلما"[٤]. وهكذا يجد الغزالي أن التساند والتضامن قائم بين الناس على أساس التخصص في العمل[٥]، التخصص الذي يعود إلى اختلاف المهن لدى الناس نتيجة اختلاف قابلياتهم وإمكانياتهم العقلية والذكائية. فالغزالي يرى أن اختلاف المهن لدى الناس هو السبب في بقاء المجتمع واستمراره فهو يقول "ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد... ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش"[٦]. أن رأي الغزالي هذا يسبق رأي عالم الاجتماع الأمريكي "بيترم سوروكن" اذ يعتقد الغزالي بان الله سبحانه وتعالى منح الأفراد قدرات وقابليات مختلفة،

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، مصدر سابق، ص١١٨.

[٢] المصدر السابق، ص١١٨-١١٩.

[٣] المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٧.

[٤] المصدر السابق، ج٤، ص١٤.

[٥] المصدر السابق، ص١١٩.

[٦] المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٧.

بل جعل بينهم اختلافات وهذه الاختلافات تفرض عليهم العمل في مختلف المهن التي يحتاجها المجتمع، فإذا كان الجميع أذكياء فالمجتمع سوف يحرم من العمال والفلاحين والصناع وبالتالي تتوقف مسيرة المجتمع[1]. أما تقسيم العمل عند الغزالي وما ينطوي عليه من تباين بين الأفراد فانه يعمل على تدعيم التعاون المتبادل بين الأفراد، ورأي الغزالي هنا يسبق رأي عالم الاجتماع "دوركهايم" في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي[2].

جملة القول أن الاجتماع البشري في فكر الغزالي ما هو إلا نتيجة لوجود النفس العاملة المتمثلة بالقسم البيولوجي عند الإنسان الذي يحدد غرائزه الحيوانية الخاصة بالمأكل والمأوى والتناسل والأمن، ولو اقتصر على إشباع حاجاته البايولوجية لتحول إلى حيوان كسائر الحيوانات. إلا أن الله وهبه كما يعتقد الغزالي بعدا أخر تجسد بالنفس العالمة المتمثلة بكل ما هو مكتسب من البيئة الاجتماعية عن طريق التنشئة والتعليم. ذلك أن التنشئة الاجتماعية لا تتم إلا في المجتمع. إذ أنها تعمل على إدماج الفرد من خلال تسهيل عملية تفاعله مع أفراد المجتمع في الحياة الاجتماعية. وهكذا فان ارتباط النفس العالمة بالنفس العاملة أو كما يطلق عليها الدكتور "طه حسين" التفاهم والغريزة معا[3] هي التي تحدد معالم الاجتماع البشري وترسم مساراته، بل أنها تحدد كون الإنسان حيوانا اجتماعياً.

---

[1] الحسن، إحسان محمد (د)، محاضرات في مادة التنظيم الاجتماعي ألقيت على طلبة الدكتوراه للعام الدراسي ١٩٩٧-١٩٩٨

[2] النوري، قيس (د) والحسني، عبد المنعم (د)، النظريات الاجتماعية، مصدر سابق، ص١٠٥.

[3] حسين، طه (د)، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، المجلد الثامن، علم الاجتماع، دار الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٧٥، ص٧١-٧٢.

المبحث الثاني: زيادة الكثافة السكانية وتعقد التفاعلات بين البشر

يعد الإمام الغزالي من ابرز علماء المسلمين الذين فكروا في مشكلة تضخم السكان، فهو يرى أن حتمية الاجتماع البشري تظهر عندما تزداد الكثافة السكانية وتصبح اتصالات وتفاعلات البشر أكثر تشعبا وتعقدا، فعندما تتشابك العلاقات الإنسانية وتتعقد بزيادة حجم السكان تظهر المشكلات والخصومات[١]، هذه المشكلات التي تطرق إليها في سياق حديثه عن مراحل تطور المجتمع، فكل مرحلة من هذه المراحل تولد المزيد من المشاكل والحاجات.

ومن المفيد أن نذكر هنا أهمية العوامل الأساسية المؤثرة في ارتفاع الكثافة السكانية في عصر الغزالي لاسيما إذا ما علمنا انه ظهر في نهاية الخلافة العباسية، أي في أواخر القرن الحادي عشر ومستهل القرن الثاني عشر بعد الميلاد. فمن أهم العوامل المؤثرة في زيادة السكان الزيادة الطبيعية للسكان الناجمة عن ارتفاع الخصوبة السكانية وانخفاض معدل الوفيات نتيجة تحسن الحالة الصحية[٢]. ذلك أن تطور الخدمات الصحية قد أسهم في رفع معدلات توقع الحياة لأفراد ذلك المجتمع. كما أن تحسن الأوضاع المعاشية والاقتصادية كان سببا مهما في تطور الأوضاع الصحية، فضلا عن ذلك شهد ذلك العصر تقدما في العلوم والمعارف الطبية، كما شهد تطورا في الخدمات الاجتماعية والإدارية[٣].

كما أن تحسن الأوضاع الاقتصادية والمعاشية كان هو الآخر سببا في ارتفاع الكثافة السكانية لان عادات استهلاك المواد الغذائية من قبل الأفراد قد أدى إلى زيادة الطلب على مختلف المواد الغذائية الضرورية للجسم[٤]. ويؤكد ذلك الغزالي الذي يرى أن العمل الصناعي هو وسيلة استغلال الناس للموارد الطبيعية من اجل الإنتاج. إذ أن العمل في مدينة كبغداد يحول المواد الخام التي تنتجها الأرض إلى أدوات وسلع يمكن أن تسد الحاجة البشرية المتزايدة، فضلا عن ذلك فالعمل لا يؤدي وظيفته إلا بوجود الأموال

---

[١] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٠.

[٢] مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، مصدر سابق، ص٣١.

[٣] المصدر السابق، ص٦٤٤-٦٤٨.

[٤] فهد، بدري محمد(د)، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣، ص٣٠٤-٣١٠.

اللازمة لدفع أجور العمال، ويقصد بالأموال النقود التي تعد وسيلة لتبادل الأشياء و تحديد قيمتها المالية [١].

كما أن من العوامل المؤثرة في تضخم السكان هي انخفاض معدلات الوفيات الذي يرجع إلى ثلاث عوامل هي أولا: تطور الحالة الصحية للسكان [٢]، وثانيا : تطور الحالة الثقافية من خلال ظهور المدارس النظامية التي ساعدت السكان على تعلم القراءة والكتابة وساعدتهم على محاربة العادات الصحية الضارة مثل تناول الخمور و محاربة السحر و الشعوذة [٣]. وثالثا : تحسن الحالة الاقتصادية التي مكنت الإنسان من اقتناء الحاجيات ، والسكن المريح الذي أدى إلى قلة الوفيات بين الناس ، ولا شك أن تحسن الظروف الاجتماعية قاد إلى ارتفاع حالات توقع الحياة "Life Expectancy".

أما العامل الثالث المسؤول عن زيادة حجم السكان فهو الهجرة من الأمصار إلى المدن الكبيرة كمدينة بغداد، ودمشق،ومكة المكرمة ، والقدس و غيرها وان سبب هذه الهجرة يعود إلى تحسن الظروف المعيشية والصحية والعلمية في المدن لاسيما مدينة بغداد بعدها عاصمة الدولة العربية و الإسلامية آنذاك [٤]. وهكذا كانت هذه المدن تشكل مناطق جذب للسكان من الأمصار و المدن الصغيرة ، ولهذا نرى أن قاعدة المجتمع العربي قد اتسعت . إذ دخلت في إطاره العديد من الأقليات و أصبح الرابط بينهما هو الإسلام ، ولهذا يعتقد الغزالي أن من غير الممكن إيجاد إقليم جغرافي واحد تتوفر فيه الشروط اللازمة لنمو جميع المنتجات الغذائية ، لهذا أكد الله سبحانه الناس من جميع الأمم على احتياج بعضهم البعض [٥]. كما ترجع الكثافة السكانية إلى زيادة الولادات ذلك أن الإسلام يشجع على الإنجاب الذي يعده سبباً من أسباب إعلاء شأن الدين الإسلامي، وان

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، مصدر سابق، ص٩١-٩٥.

[٢] ديورانت ، وول، قصة الحضارة ، ج٢، مجلد ٤ ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والنشر ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، دون سنة طبع، ص١٩٠-١٩١

[٣] مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، مصدر سابق، ص٧٠٨.

[٤] المصدر السابق، ص٣٨.

[5] Othman, Ali Issa. The Concept of Man in Islam, in the Writings of Al-Ghazali, Op. Cit., pp. 192.

منع الحمل مخالفة لأمر هذا الدين[١]. كما أن زيادة السكان تعود أيضا إلى الزواج بأكثر من واحدة[٢].

أن اجتماع هذه العوامل معا يؤدي إلى ازدياد الكثافة السكانية وعندما تزداد الكثافة السكانية تظهر المشاكل الاجتماعية الكثيرة التي تتجسد في الصراعات بين الأفراد على العمل وعلى المواد الغذائية وعلى السكن وعلى المناصب أيضا.كما أن كثرة العناصر السكانية الموجودة في المدن تزيد من حدة الصراع الاجتماعي بين الناس نظرا لزيادة الاحتكاك والتفاعل فيما بينهم[٣].

يعتقد الإمام الغزالي أن زيادة السكان المستمرة تسبب زيادة الطلب على السلع والخدمات، ومن ثم ارتفاع أسعارها. ولما كانت الإمكانات الاقتصادية عند الناس محدودة والأسعار عالية فان هذا يؤدي إلى عدم قدرة السكان على إشباع حاجاته الأساسية من السلع والخدمات مما يلزم بعض أفراده من ذوي النفوس الضعيفة إلى اعتماد السرقة والجرائم الأخرى كوسيلة للحصول على الأموال التي بها يستطيعون تحسين مستواهم المعاشي وعند استفحال الجرائم في المجتمع فان هذا يقود إلى الصراع بين الأفراد والجماعات[٤].

يرى الإمام الغزالي أن المجتمع يتحول من بسيط إلى معقد نتيجة للتكاثر السكاني. والتكاثر السكاني يقود إلى زيادة الطلب على السلع والخدمات مما يدفع الأفراد إلى بناء مؤسسات جديدة مع حاجات السكان المتزايدة. وهنا يحدث التوازن بين حجم السكان والمؤسسات التي أوجدها الأفراد لمقابلة متطلبات وحاجات السكان. وهذه الحالة إنما تساعد على نهوض المجتمع وتقدمه[٥].

---

[١] شلبي،احمد(د)،موسوعة النظم والحضارة الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٢، ١٩٧٣، ص٩٠.

[٢] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٢، مصدر سابق، ص٤٨.

[3] Kelsall, R.K. Population. Longman, London, 1966, p.47.

[4] Becker, H. and N. Barnes. Social Thought From Lore to Science , Vol . [(1)] new York, p. 97.

[5] Ibid, p. 103.

ويعالج الإمام الغزالي موضوع الصراع الاجتماعي معالجة علمية في سياق دراسته للمجتمع والبناء الاجتماعي. إذ يعتقد بان الصراع يرجع إلى زيادة الاحتكاك والتفاعل الذي يقع بين البشر وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت الكثافة السكانية عالية وكانت العلاقات الاجتماعية بين الناس معقدة وشائكة، فالاحتكاك المتكرر بين البشر نتيجة ارتفاع كثافتهم السكانية، وتعقد أمور حياتهم يؤدي إلى ظهور الصراع والاقتتال فيما بينهم. الصراع الذي يرجع إلى أسباب كثيرة منها تقاطع الإرادات بين البشر ووجود المصالح المتناقضة واستفحال الطمع والجشع على العديد من الناس، مع الابتعاد عن مبادئ الدين وعدم مخافة الله سبحانه وتعالى[1]. جميع هذه المعطيات الاجتماعية والنفسية برأي الإمام الغزالي تؤدي إلى الصراع بين الأفراد، الصراع الذي يقود إلى التحول والتبدل الاجتماعي.

ولم يتناول الغزالي بالبحث والتحليل موضوع الصراع فقط وإنما تناول أيضا في كتاباته وبخاصة في كتاب "إحياء علوم الدين" العديد من الظواهر الاجتماعية السلبية التي ظهرت إلى السطح كنتيجة حتمية لضعف وتفكك الدولة العباسية وضعف الوازع الديني والأخلاقي عند الأفراد بعد تدخل العناصر السكانية الغريبة كالفرس، والأتراك، واليهود في شؤون الدولة العباسية للنيل من مكانة الدولة والحط من قيمة العرب المسلمين. ولعل من أهم الظواهر الاجتماعية السلبية التي تناولها الغزالي بالبحث والتحليل الطلاق والتفكك الأسري والجريمة والنفاق الاجتماعي والانتهازية والذيلية والتملق والتزلف للكبار والمسؤولين[2]. ومثل هذه الأمراض الاجتماعية التي ظهرت في أواخر العصر العباسي قد لعبت الدور الفاعل في تفاقم مشكلة الصراع الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي مما اثر ذلك سلبا في تماسك الأفراد والجماعات، وبالتالي انهيار سلطان الدولة والخلافة. لذا فالظواهر الاجتماعية السلبية التي شهدتها الخلافة العباسية في أواخر أيامها كما يعتقد الغزالي كانت مؤشرا للتخاذل والضعف والتحلل الذي دب في جسم الدولة مما عكس ذلك سلبا في وحدة وتماسك الأفراد والجماعات.

---

[1] Beckett ,F. M. Moslem Thinkers in the middle Ages . The Crescent Publishing House, New York , 1957, p. 55.

[2] Ibid. , p. 76.

المبحث الثالث: النظم الاجتماعية واثر القانون فيها

عندما يدرس الإمام الغزالي أصل ونشوء المجتمع والحياة الاجتماعية يؤكد على حقيقة أساسية هي أن المجتمع يتكون من مجموعة نظم، أو ما يسميها علماء الاجتماع المعاصرون بالمؤسسات. وهذه النظم أوجدها الإنسان لكي تخدم أغراضه وتلبي طموحاته وتشبع حاجاته. وإنها في الوقت نفسه تحمي مجتمعه من التداعي والانهيار الذي قد يصيبه فيما إذا كان لا يمتلك نظما قويمة وفاعلة تقود إلى رفاهية الإنسان واستقراره وتنميته جسميا وروحيا[١]. وفي دراسة الاجتماع البشري قام الغزالي بتصنيف نظم المجتمع إلى صنوف متعددة وفقا للأغراض والحاجات التي يبتغيها المجتمع. فقد أشار إلى النظم البشرية، والنظم الاقتصادية، والدينية، والتربوية في سياق دراسته للمجتمع والحياة الاجتماعية[٢].

أن الأنظمة الاجتماعية التي تكلم عنها الإمام الغزالي جاءت من اجل خدمة الإنسان. إذن هي نظم غرضية، أي نظم تسعى لتحقيق أغراض وأهداف محددة، لكنها لا تستطيع أن تحقق هذه الأغراض التي يريدها الإنسان ما لم تتسم بثلاث مواصفات أساسية:

أ- النظم الاجتماعية التي درسها الإمام الغزالي يمكن أن تكون هادفة وفاعلة إذا تبنت نظاما قيميا محددا يرسم حركة النظام وصيرورته[٣].

ب- أن النظام الذي أوجده الإنسان كما يرى الغزالي كان بوحي من الدين الإسلامي، أي انه يستند إلى مبادئ الفلسفة الإسلامية وأخلاق الدين الإسلامي.

ج- أن النظم الاجتماعية التي حاول الغزالي وصفها وتحليلها هي نظم نسبية وليست مطلقة. أي أنها قابلة للنمو والتحول والتطور وفقا للظروف والمعطيات التي تمر بها[٤].

---

[1] Fawler, N.S. Society and Law in Islam, Longman, London,1963, p. 22

[2] Ibid. , p. 43.

[3] Ibid. , p. 66.

[4] Ibid. , p. 71.

لكن النظم الاجتماعية التي كانت في ذهن الإمام الغزالي هي نظم محددة بالقانون، والقانون يكون عادة صادرا من الله سبحانه وتعالى، لان مشيئة الله هي التي دفعت الإنسان ومعه المجتمع إلى تكوين النظام الاجتماعي، هذا النظام الذي تكون نشاطاته ومساراته وواجباته وحقوقه محددة بالقانون، لذا فهي نظم قانونية ذات مضامين ودلالات اقتصادية، وسياسية، وتربوية،ودينية، علما أن القانون هو الذي جعل النظم الاجتماعية التي تحدث عنها الإمام الغزالي نظما مفروضة على الأفراد وان الأفراد ملزمون بالانصياع إلى قيمها وأفكارها وممارساتها الخاصة والعامة[1].

بعد هذا التمهيد عن طبيعة النظم الاجتماعية التي تناولها الغزالي بالبحث والتحليل وتحدث عن اثر القانون في تحديد طبيعة فعالياتها ومساراتها وتوجهاتها المبدئية والتطبيقية أو العلمية نستطيع أن نعالج عددا من هذه النظم التي كان الغزالي ميالا نحو معالجتها والاهتمام بها كنظم تلبي حاجات وطموحات الأفراد والجماعات على حد سواء.

أن النظم التي يمكن أن ندرسها في هذا السياق هي كما يلي:

١. النظام الأسري
٢. النظام الديني
٣. النظام التربوي

وهنا نحن نحلل ونلقي الأضواء الساطعة على طبيعة وأهمية هذه النظم الاجتماعية ودور القانون في ترتيب إجراءاتها والسيطرة على فعالياتها.

[1] Ibid. , p. 87.

النظام الأسري:

يتجسد النظام الأسري في حاجة الإنسان إلى إشباع غرائزه البايولوجية،هذه الحاجة التي تقوده إلى الزواج ثم الإنجاب، وتكوين الأسرة. إذ تكمن الأسرة في رغبة الإنسان بإشباع حاجاته الفطرية ونوازعه الاجتماعية، فالرجل لا يستطيع الاستغناء عن المرأة، والمرأة لا تستطيع الاستغناء عن الرجل، ومثل هذه الحاجة تدفعهما إلى الزواج وتكوين الأسرة التي تعد الخلية الأساسية في قلب الأمة، علما بان نظامي الزواج والأسرة إنما يستندان إلى القوانين التي تنظم العلاقة بين الزوج وزوجته، وبين الأب وابنه، وإذا ما حدث نزاع بين أطرافها فان القانون الأسري يتكفل بحل النزاع وفق شرائع الدين وعادات وتقاليد المجتمع[١]. ويعتقد الغزالي أن للفرد ميولا اجتماعية تتمثل بالحاجة إلى الأسرة والمجتمع والأصدقاء والعشيرة[٢]. لذا تعد الأسرة من بين النظم الاجتماعية المهمة التي يتوقف عليها النظام الاجتماعي القائم، لما لها من وظائف متعددة تتمثل بإشباع الغرائز الجنسية[٣]. وتقسيم العمل بين الجنسين[٤]، وإنجاب الأطفال[٥]، والقيام بعملية التنشئة الاجتماعية[٦].

لقد عد الإمام الغزالي الأسرة من النظم الاجتماعية المهمة لان الأفراد كافة في المجتمع ينتمون إلى اسر. والأسرة هي أول النظم الاجتماعية التي تعلم الأبناء القواعد السلوكية والأخلاقية والمبادئ الدينية والعديد من المهارات التي يحتاجها الابن في حياته اليومية والتفصيلية، فضلا عن دورها في تسليح الابن بالكفاءات والمهارات العلمية والتقنية بجانب ما تقدمه المدرسة من معلومات وخبرات لا يمكن الاستغناء عنها بأية صورة من الصور. أن الأسرة تعد من أولى المؤسسات أو الجماعات التي تعلم الابن

---

[١] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥١.

[٢] عودة، محمود(د) وإبراهيم، كمال(د)، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار العلم، الكويت، ١٩٨٤، ص٢١.

[٣] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٢، مصدر سابق، ص٢٤.

[٤] المصدر السابق، ص٣١.

[٥] المصدر السابق، ص٢٤.

[٦] الغزالي، أبو حامد، الأدب في الدين، مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص٧٩.

المبادئ الدينية وتدفعه إلى ضرورة الالتزام بها والتقيد بنصوصها، وأنها امضى وامتن واكثر جدية وكفاءة في تعليمه المهارات الدينية والأخلاقية من المؤسسات الدينية كالمسجد أو المدرسة (المكتب) أو المعتكف الديني. إذ أن الابن يتأثر بها أكثر مما يتأثر بأية مؤسسة أخرى في المجتمع.

٢- النظام الديني:

يؤدي النظام الديني دورا كبيرا في المجتمع لما له من وظائف مهمة على مستوى الفرد والجماعة، فهو الذي يعطي للفرد الشعور والإحساس بالأمن والاستقرار كما يحدد هويته وانتمائه، فالدين حصن من الأخلاق وانه المصدر الأساس لأمن الجماعة[١]. وينقسم بعض علماء الاجتماع الأوربيون إلى فريقين في النظر إلى الدين، فريق يرتفع فيه حتى يجعل منه أساسا لا غنى له في الحفاظ على كيان المجتمع، أمثال "دوركهايم" الذي عده مصدر كل ما نعرف من ثقافة عليا، و"ماكس فيبر" الذي اعتبر العامل الديني هو المحرك الأساس للأنشطة الاقتصادية في المجتمع[٢]. أما الفريق الثاني فيسفل حتى لا يرى فيه إلا مؤشرا يفضي إلى الوقوف ضد تقدم المجتمعات وتطورها وبالتالي فما هو إلا عامل مشجع للتعصب وعدم التسامح، ويمثل هذا الفريق "كارل ماركس" الذي لا يرى فيه سوى معرفة زائفة بالواقع والتاريخ، و"توماس هوبز" الذي لم يشتق فكرة السلطة المطلقة من الحق الإلهي مثلما فعل "هيجل"، والانكى من ذلك انه جعلها إله من صنع البشر[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن رأي الغزالي في الدين يسبق رأي الفريق الأول لان الغزالي عد الدين الإسلامي الوازع الذي يوفر القاعدة الوجدانية التي تعيد الأمن وتؤكد الهوية للفرد وتمنحه إمكانات التوازن وتجعل منه فردا قادرا على الشعور بأبعاده اجتماعيا وإنسانيا. كما أن له علاقة بالسلوك الاجتماعي، إذ أن تركيزه على الحرام والحلال والخير

---

[١] الخشاب، مصطفى (د)، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، الدار القومية للطباعة، بيروت، ١٩٦٥، ص٣٤٧.

[٢] العمر، معن خليل(د)، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص١٢٠-١٢٣.

[٣] الظاهر، احمد جمال(د)، دراسات في الفلسفة السياسية، مكتبة عمان، ط١، ١٩٨٨، ص٢٥٤.

والشر والثواب والعقاب يدخل في صلب الحياة الاجتماعية[1]. فهو يساعد الفرد على التكيف لأحوال الحياة وما فيها من معاناة ومشكلات، بل يمكن أن تكون له وظائف أكثر أهمية تتجسد في الحفاظ على المجتمع وتماسكه، فهو يظهر معايير وقواعد المجتمع كجزء من نظام أخلاقي اكبر مرتبط بإرادة الله سبحانه وتعالى، لذا يعد وسيلة قوية من وسائل الضبط الاجتماعي الذي ينبع من المبادئ الروحية ويساعدهم على احترام المعايير الأخلاقية و الاجتماعية ، فضلا عن ذلك فهو الحارس الذي يعمل جنبا إلى جنب مع الدولة للحفاظ على الوضع القائم حينما يوطد المعايير و النظم الاجتماعية ، هذا بالإضافة إلى وظائفه الأخرى المتمثلة بالمجالات التربوية و النفسية ،والاجتماعية ،والروحية [2]. ولقد شعر الغزالي بأثر التغيرات التي طرأت على الحياة الاجتماعية و الفكرية في عصره ، وما لهذه التغيرات المتمثلة بالانقسامات المذهبية من آثار سلبية قادت إلى ضعف الوازع لدى الأفراد ، وأدت أيضا إلى الابتعاد عن الدين الإسلامي الأمر الذي عرض سلوكهم إلى الانفلات وعدم الالتزام بالتعاليم الدينية [3].

ولا يكتف الإمام الغزالي بتحديد الدور المركزي و المهم للدين في المجتمع ، بل يذهب إلى ابعد من ذلك ، إذ يحدد وظائفه الاجتماعية التي من أهمها وظيفة زرع القيم و الأخلاق الفاضلة والقويمة عند الفرد، لان الدين مصدرا أساسيا من مصادر القيم الاجتماعية الإيجابية ، فهو الذي يمنح الفرد القيم النافعة التي يمكن أن تبني المجتمع وتطور بناءه الاجتماعي نحو الأحسن و الأفضل ، والوظيفة الاجتماعية الأخرى له كما يراها الغزالي تقوية معنويات الفرد وقت الأزمات و الشدائد . إذ يستطيع الفرد في الازمة أو الكارثة أو الفاجعة أن يتغلب عليها و يتجاوز آثارها السلبية بينما عدم الاهتداء به يؤدي إلى ضعف المعنويات وعدم القدرة على مواجهة الصعاب و الشدائد و التحديات و بالتالي سقوط الفرد صريعا في خضم التناقضات بين الواقع المادي الفاسد للفرد و الواقع الروحي و الأخلاقي الذي ينبغي أن يتشبث به ليكون قادرا على التمييز في مجال العمل

---

[1] الفوال، صلاح مصطفى (د)، المقدمة لعم الاجتماع العربي الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٢٣.

[2] الغزالي، أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، مصدر سابق، ص١٤٨-١٤٩.

[3] الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الظلال، تحقيق جميل إبراهيم حبيب، دار القادسية، بغداد، ١٩٨٣، ص٥٤.

الذي يزاوله . وهناك وظيفة اجتماعية أخرى للدين يحددها الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" وهي انه يصقل شخصية الفرد و يقوّم عناصرها الأساسية و يجعلها فاعلة في أداء المهام أو المسؤوليات الأساسية المطلوبة منها .

واخيراً يؤدي الدين وظيفة اجتماعية أخرى وهي أن يجعل المؤمنين متساوين متضامنين ومتماسكين في الضراء والسراء ذلك أن تماسكهم يرجع إلى اعتقادهم بنفس المبادئ والقيم والتقاليد والتعاليم الدينية التي يؤمنون بها ، وهذا يؤدي إلى تقاربهم بعضهم من بعض وانسجامهم ، وتحابهم وإخلاص واحدهم للاخر وعدم النكاية به والتآمر عليه والانتقاص من قيمته . وهنا يكون الدين مصدرا من مصادر الوحدة والتضامن والتماسك يشد الأفراد بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص .

٤- النظام التربوي :

يعد النظام التربوي من الأنظمة الهامة التي أولاها الإمام الغزالي الاهتمام الزائد، ذلك لارتباط هذا النظام بأنظمة المجتمع الأخرى ارتباطا هادفا وفاعلا. فالنظام التربوي عنده يشمل كل جوانب العملية التربوية والتعليمية من حيث قنواته التعليمية ومناهجه وطرقه وأساليبه المختلفة. بيد أن هذا النظام لم يكن محددا وواضحا كما هو الحال في الوقت الحاضر لكونه ممتزجا مع نظم أخرى كالدين والسياسة ، ومع ذلك فان آراء الغزالي في مجال التربية سبقت آراء علماء الاجتماع التربوي المعاصرين [١].

يرى الإمام الغزالي أن هناك نظم تربوية متخصصة كالأسرة والمدرسة ، وهناك نظما تربوية غير متخصصة كالمجلس والجامع بل وفي جميع مفاصل الحياة الاجتماعية، فإذا كانت الأسرة والمدرسة تعنيان بالصغار، فان نظم المجتمع الأخرى تهتم بتعليم الكبار وتربيهم اجتماعيا وأخلاقيا ومهنيا، وإذا استطاعت الأسرة وحدها أن تكون أساس العلاقات الاجتماعية البسيطة للفرد فإنها لا تستطيع أن تكون أداة صالحة لإعداده إذ لم يكن هناك ثمة تساند وتعاون من النظم الأخرى وفي طليعتها المدرسة [٢].

---

[١] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٢١٢.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٢.

وهكذا نرى بان التربية عنده تؤكد تأثير المحيط الاجتماعي على شخصية الفرد، أي قدرة هذا المحيط على تحويل هذه الشخصية من طبيعتها الفردية إلى طبيعتها الاجتماعية، فيتحول الكائن الطبيعي حينئذ إلى كائن اجتماعي .

يعتقد الإمام الغزالي بان المربي يلعب الدور الكبير في عملية التنشئة الخلقية،فهو الذي يمرر الأخلاق والمثل والمقاييس إلى الجيل الناشئ ويحاول زرعها في نفوس أفراده وفي عملية التنشئة الخلقية التي يتبناها المربي يتم التركيز على أداء مهمتين أولهما :الموازنة بين أساليب اللين والشدة ، وثانيهما : استعمال المربي لأساليب العقاب والثواب عند المتعلم ، ومثل هذه المبادئ التربوية والأخلاقية يقرها علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي في الوقت الحاضر [1].

يلحظ الإمام الغزالي أن قيام الآباء بمهمة التنشئة من الواجبات الدينية التي فرضها الله سبحانه على الآباء ، وهذا الواجب لا يختلف عن غيره من الواجبات الدينية من حيث أن من ينفذ هذا الواجب على وجه الأكمل ينال ثواب الله [2] . وهنا يوضح أصول التنشئة الأخلاقية التي يتبناها الأب حيال ولده . يبدأ الأب بتربية ولده من المهد ، إذ يراقب سلوكه وحركاته وسكناته فإذا ظهر على الطفل الحياء والهدوء واحترام الآخرين كان ذلك بشارة تدل على رفعه الأخلاق واعتدالها . أما ظهر عليه بوادر التمرد والجسارة والصلافة كان ذلك دليلا على فساد الأخلاق وسقوطها وانحدارها إلى مستوى وضيع لا يليق بتوجهات المجتمع ومنطلقاته الأخلاقية ومسيرته التربوية [3].

ويتوصل الإمام الغزالي إلى حقيقة مفادها أن التربية أساس السلوك ، وان السلوك يمكن تغيره عن طريق التربية ، تلك العملية التي يقوم بها الأب والمعلم أو رجل الدين ، وبهذا ينفي الغزالي اثر الوراثة وعواملها ولعل ذلك راجع من نزوعه إلى التأثر بتعاليم الدين ومن اهتمامه بالتنشئة التي يعطيها الوالدان للطفل ، وهي دلالة على

---

[1] المصدر السابق، ص٥٢-٥٣.

[2] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سايق، ص٢٢٣.

[3] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٢.

الاهتمام بالناحية الاجتماعية التي تؤكد أنها تفوق دور الوراثة ، فهو يهتم بالأخلاق ولا يعدها خلقا مثاليا وإنما هي أخلاق يرضى عليها المجتمع [1].

أن الآراء التي نادى بها الغزالي تميزت بالصبغة الدينية ، غير أنها لم تبتعد عن واقع الحياة الاجتماعية ، كما أنها لم تبتعد عن التفكير المنطقي المنظم الذي اقتفاه [2]، ولهذا يمكن عده في طليعة المربين الذين وضعوا فلسفه تربوية مرتكزة على أسس واضحة ، وقد ساعدته التجربة انه استمد أفكاره وكتاباته من صميم الحياة ومن نواحي المعرفة التي حصل عليها وسنتناول هذا الموضوع في الفصل الثامن الموسوم (التنشئة الاجتماعية والأخلاقية في فكر الغزالي) .

---

[1] الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٧٦.

[2] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٧١، ص١٤٤.

الفصل الثامن

التنشئة الاجتماعية والأخلاقية في فكر الإمام الغزالي

تمهيد

المبحث الأول: القيم والسلوك الاجتماعي

المبحث الثاني: أثر القيم في تكوين السلوك

المبحث الثالث: أساليب التنشئة الاجتماعية والأخلاقية

المبحث الرابع: قنوات ومفردات التنشئة الاجتماعية والأخلاقية

تمهيد

أن التنشئة الاجتماعية والأخلاقية في فكر الغزالي من المهام التي تضطلع بها مؤسسات اجتماعية متخصصة كالأسرة والمدرسة والمجتمع الكبير. فالتنشئة كما يراها الغزالي هي تلك العملية التي من شأنها غرس المبادئ والقيم الاجتماعية الايجابية منها والأخلاقية التي تؤثر تأثيرا جيدا وفاعلا في سلوك الأفراد اليومي وعلاقتهم التي يكنونها مع الآخرين. ولا تتحدد مهام التنشئة في تنشئة الأبناء على حسن التعامل والتفاعل مع الآخرين حسب، بل تتعدى إلى تنمية سلوكهم الاجتماعي عن طريق تحويله من سلوك غريزي انفعالي إلى سلوك عقلاني، ومثل هذا التغيير في السلوك له أهميته في استقرار الفرد للمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه وان تنشئة الأفراد وتقويم سلوكهم يسهمان إسهاما فاعلا في صقل شخصياتهم وبالتالي جعلهم مواطنين صالحين يمكن الاعتماد عليهم في المجتمع[1].

وفي هذا الفصل الموسوم "التنشئة الاجتماعية والأخلاقية في فكر الإمام الغزالي" أربعة مباحث أساسية تطرق المبحث الأول منها إلى القيم الاجتماعية والسلوك الاجتماعي، وحاول الباحث أن يسلط الضوء على هذين المفهومين ويوضح طبيعتهما لما لهما من أهمية بالغة في عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية. إلى جانب ذلك تناول الباحث في المبحث الثاني اثر القيم الاجتماعية في بلورة وتكوين السلوك من خلال الربط العلمي الموضوعي بين هذين المفهومين.

وفي المبحث الثالث أساليب التنشئة الاجتماعية والأخلاقية. إذ أن هذه الأساليب تضم ثلاث محاور. تناول المحور الأول الموازنة بين اللين والشدة. وتناول المحور الثاني الموازنة بين أسلوبي العقاب والثواب. وتصدى المحور الثالث إلى موضوع الاهتمام المتزايد بالابن.

أما المبحث الأخير ففيه قنوات التنشئة الاجتماعية والأخلاقية المتمثلة بالأسرة، والمدرسة، والمجتمع عموما. كما أن فيه مفردات التنشئة. فضلا عن ذلك أوضح الباحث آراء الغزالي التربوية التي سبقت آراء علماء الاجتماع الأسري. فالغزالي يعتقد أن وظيفة

---

[1] Walter, F.M. The Wesdom of Moslem Philosophy, Longman, London, 1968, p.23

التنشئة لا تقوم بها المدرسة حصرا. وإنما نظم تساندها كالأسرة والجامع. زد على ذلك أن الحياة الاجتماعية مدرسة كبيرة يتعلم فيها الفرد الكثير من الأشياء.

المبحث الأول: القيم والسلوك الاجتماعي

للإمام الغزالي رؤية اجتماعية رائدة في بحثه للقيم الاجتماعية، فهو يعتقد بان هناك نوعين من القيم، أولها القيم الاجتماعية الايجابية المتمثلة بالكرم، والصبر، والشجاعة، والعفة، وثانيهما القيم الاجتماعية السلبية المتمثلة بالبخل، والجزع، ونقص الغيرة، والحمية....الخ. ولقد توصل إلى هذه الحقيقة من خلال وجود القوى الفاعلة المعتدلة التي توازن بين قوى النفس لئلا تزيد قوة الغضب مثلا، فتخرج الفرد إلى التهور، والطيش، أو تنقص، فتخرجه إلى نقص الغيرة. أما اعتدالها فيؤدي إلى الشجاعة[1]. إذن اعتدال القوى الفاعلة في النفس ينتج قيما اجتماعية ايجابية تتجسد في الصبر، والشجاعة، والعدالة....الخ. في حين يؤدي نقصانها أو زيادتها إلى ظهور قيم اجتماعية سلبية تتعارض وقيم المجتمع الايجابية.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن الغزالي اهتم بالقيم الايجابية ودورها في تماسك المجتمع ووحدته واستمراره، ودور التنشئة الاجتماعية في خلق الشعور بالانتماء إلى المجتمع. ومن ثم تهذيب سلوك الإنسان الحيواني، وتغليب الجانب العقلي والروحي على الجوانب الحيوانية في سبيل المجتمع[2]. وهنا يبين الغزالي السبل التي يكون فيها الطفل فردا متمسكا بالقيم الايجابية، أي أن هذه القيم قد انصبت في عروقه من خلال التنشئة الاجتماعية ولعل هذا الرأي يسبق رأي عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركهايم" الذي يعتقد بان الفرد يستمد قوته وقيمه من الجماعة[3].

ويرى الغزالي أن على المربي تعليم الطفل القيم الايجابية من المجتمع والتي سماها بالآداب المتمثلة بالأكل والشرب والجلوس... الخ. وكلمة "أدب" تشير إلى توقعات مجتمع الكبار من الناشئين. كما تدل على صقل سلوك الطفل بما يتناغم وتلك التوقعات والتي بدونها لا يستطيع الفرد أن ينمي قدراته وقابلياته التي يحتاجها المجتمع[4]، وهذه الآداب تتوخى هدفا واحدا هو بيان ضرورة تنشيط القدرة على التفاعل الاجتماعي للفرد ومن ثم

---

[1] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مطبعة الصفدي، عمان، ١٩٨٤، ص٦٣

[2] العثمان،عبد الكريم،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص مصدر سابق، ص١٩٦-١٩٧.

[3] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٢٣٠-٢٣١.

[4] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ص٣٠٠.

اندماجه مع المحيط الاجتماعي وضمان ولائه له. وهكذا يرى الغزالي بان هذه الآداب تعد بمثابة قيم ايجابية لابد أن يتعلمها الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لأنها قادرة على تكوين شخصيته وصقلها وتهذيبها ومن ثم تؤمن لها الاتصال والتفاعل مع المحيط الاجتماعي.

ولم يتناول الباحث في دراسته القيم الاجتماعية عند الغزالي بل تطرق إلى القيم الأخلاقية التي أكدها الغزالي في طروحاته العديدة. إذ تشكل هذه القيم المصدر الأساس للتنشئة الاجتماعية لأنها تمد التنشئة بأهدافها. علما بان مصدر هذه القيم هو الإسلام وان تحقيق السعادة للنفس البشرية هي القيم العليا في التنشئة[1]. ونظرا لوجود نوع من العلاقة بين القيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية. لذا حاول الغزالي أن يربط بين الاتجاهين، الاتجاه الميتافيزيقي الذي ينطوي على القيم الأخلاقية، والاتجاه الواقعي الذي يضم القيم الاجتماعية[2]. وبناء على ذلك لا يرى الغزالي أهمية للقيم الأخلاقية إذا لم ترتبط بالقيم الاجتماعية وتسير جنبا إلى جنب لتؤدي دورها الفاعل في المجتمع، فالقيم الأخلاقية المتمثلة بالمبادئ الخلقية السامية والمتمثلة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى تعد دعامة هذا المجتمع. إذ أنها تتصل بالجوانب الميتافيزيقية. أما القيم الاجتماعية المتمثلة بالكرم، والشجاعة، والتعاون، والعمل ... الخ. فهي قيم منبثقة من التفاعل الاجتماعي في الحياة اليومية ولو أن الغزالي يعطي اهتماما للقيم الأخلاقية لأنها برأيه تعزز صلة الفرد بربه ومن ثم صلته بمجتمعه.

ويدعو الإمام الغزالي الى التحلي بالقيم الايجابية، والتخلي عن القيم السلبية لان الأخيرة لا تساهم في بناء المجتمع بل على العكس من ذلك تؤدي إلى تدهور المجتمع وانحطاطه، فقيم البخل ، والجبن، والخيانة، والكسل، والجهل، وعدم الاهتمام بالوقت، والتواكل، والكذب، وعدم الإيمان بالله ... الخ. هي ابرز القيم السلبية.

أما أهم القيم الايجابية التي أكد عليها الغزالي فهي قيمة الكرم. ذلك أن الكرم من القيم المتأصلة في شخصية الإنسان العربي منذ مراحل وجوده الأولى، فالعرب قبل الإسلام

---

[1] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٨٥.

[2] يالجن، مقداد (د)، التربية الأخلاقية الإسلامية، مكتبة الخانجي للنشر،القاهرة،١٩٧٧، ص٥٩.

كانوا يمدحون الرجل الكريم حتى إذا جاء الإسلام أصبح للكرم أبعاد دينية، واجتماعية تتمثل في الأحاديث التي تشير إلى حب الله سبحانه وتعالى للكريم. وهكذا كان الغزالي يؤكد ضرورة غرس هذه القيمة في شخصية الطفل[١]. كما يرى أن قيمة الصدق في القول من القيم المهمة. علما أن أول ظواهر التوازن في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تكون مبنية على أساس الصدق[٢]. كما يؤكد الغزالي على قيم الشجاعة، والعدالة، وعدم الخوف من التزام جانب الحق، والتواضع، والابتعاد عن الغرور، والاهتمام بالعمل والعلم وقيمة الزمن وعدم إضاعته[٣]. ولعل هذه القيم المذكورة آنفا هي ابرز القيم الاجتماعية الايجابية.

ويعتقد الغزالي أن هذه القيم الايجابية المذكورة آنفا تبقى عالقة وغير ذات جدوى إذا لم يتم غرسها في شخصية الطفل، لذا ينصح المسؤولين عن تربية الطفل من الآباء والمربين بتهيئة بيئة نفسية-اجتماعية حسنة من خلال إحاطته بالرعاية وإبعاده عن أقران السوء[٤]، وان يستعمل في حضانته امرأة صالحة[٥] من اجل استدخال القيم الايجابية واستبعاد كل ما يعكر سير حياته من قيم سلبية. فالقيم الايجابية التي يكتسبها من المجتمع تتم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية التي تجعله يتحلى بقيم أبيه وأساتذته ومربيه وكل من يسهم في هذه العملية[٦]، وإذا لم يكن متحليا بهذه القيم فانه يرفض من قبل مسؤوليه ومربيه.

يرى الامام الغزالي بان السلوك الاجتماعي يعبر عن نفسه في ثلاث مستويات: المستوى الأول هو المستوى الغريزي الذي يسيطر على الإنسان ويحوله إلى كائن يتصرف بموجب الدوافع الغريزية الحيوانية والتي تجعل سلوكه شبيها بسلوك الحيوان لان قوة العقل تكون غائبة. والمستوى الثاني الذي يعبر عنه السلوك هو المستوى الانفعالي، وعندما يسيطر الجانب الانفعالي على السلوك فانه يحوله إلى سلوك عاطفي

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٤٣.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٦.

[٣] الجابري، علي، الغزالي ووصاياه التربوية، حلقة دراسية جامعية، البصرة، ١٩٧٩، ص٥.

[٤] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٢، مصدر سابق، ص٢٣٠.

[٥] المصدر السابق، ج٣، ص٧٢.

[٦] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٤.

يقتاد بقوة العاطفة والانفعال كالغضب، والكراهية، والحب، والضجر، والتقرب، والتودد في الأشياء الحية أو الجامدة. أما المستوى الثالث للسلوك الاجتماعي فانه المستوى العقلي- الروحي الذي يتمحور حول قوة العقل، والمنطق، والحكمة، والبصيرة الثاقبة، والنظرة إلى الأمور نظرة فاحصة واقعية وعلمية تقيم الأشياء وفقا لمعطيات الواقع الذي توجد فيه الأشياء، ووفقا لمتطلبات العقل المنطقي الذي يبصر الأشياء على نحو عقلاني هادف يتوخى التقدم والرشاد[1]. وان مستويات السلوك هذه لها علاقة بطبيعة الحياة والمجتمع التي يعيش فيها الإنسان. فهناك أشياء في الحياة تكون مربوطة بالأهداف العليا كالله سبحانه وتعالى، أو العبادات، أو القيم، أو التراث، أو الأخلاق وهناك أشياء أخرى تكون مربوطة بالأشياء المادية، والنفعية،أو العاطفية، والتي يتصرف الإنسان إزائها وفقا لمتطلبات الحاجة والمنفعة أو وفقا لمتطلبات العاطفة والانفعال. هذه المتطلبات التي تتناقض مع متطلبات الروح التي تنعكس في المنطق والحكمة والدراية وحسن التصرف.

ولم يتناول الغزالي مستويات السلوك بالبحث والدراسة وإنما ذهب إلى ابعد من ذلك. إذ تطرق إلى دوافع السلوك، فالغزالي يعتقد بان دوافع السلوك داخلية إذ تنبع من ذات الإنسان ولكنها تستثار بمثيرات خارجية ومثيرات داخلية، لذا نجد أن الإنسان نفسه تجاه هذه الدوافع مدفوعا للقيام بسلوك ما ويتضمن هذا السلوك شعورا بالحاجة. كما يرى الغزالي أن لأي دافع من دوافع السلوك انفعال. ولما كان الانفعال من جملة دوافع السلوك، فان الغزالي يميز ثلاث درجات لكل انفعال وهي الإفراط والتفريط والقصور، علما بان الانفعال المعتدل يكون السلوك الاجتماعي الايجابي. أما الانفعال عامة والشديد منه خاصة فانه يتعارض مع التفكير السليم ويخلق السلوك الاجتماعي السيئ فاقل الناس غضبا أعقلهم، وقد يغلب الانفعال الغضبي على الإنسان فيخرجه عن سياسة العقل والشرع، والانفعال كحد أوسط معقولا لابد منه في السلوك ويعمل كمثير لان الحياة الاجتماعية الواقعية دون انفعال ليست حياة بالمعنى الصحيح. ولا شك أن الانفعال يقوم بدور هام في عملية الدفاع عن النفس إذا ما حدث اعتداء خارجي على الفرد. إذ أن بقاءه وحمايته من

---

[1] Gellert, M.W. The Logic of Moslem Thinkers, London, Westing press, 1961, p. 33.

العدوان الخارجي يتوقف على وجود الحمية[1] التي تعد قيمة اجتماعية لابد منها في الحياة الاجتماعية.

ولقد وضع الإمام الغزالي أنماط السلوك في خط متدرج يحقق الاعتدال في النمط الايجابي. وأما الطرفان- الإفراط والتفريط فهما يسببان النمط الشاذ والسلبي وبذلك فالغزالي حدد الاستواء والانحراف في السلوك، في حين أن معالجي السلوك لا يهتمون بتمييز السلوك السوي من الشاذ وإنما يتعاملون مع كليهما على انه سلوك متعلم[2]. من هذا نلاحظ أن الغزالي تناول موضوع السلوك السوي والسلوك الشاذ والعوامل المسؤولة عن هذين النمطين من السلوك الاجتماعي[3]. ذلك أن السلوك السوي ينطلق من قاعدة الخير بينما ينطلق السلوك الشاذ من قاعدة الشر. إذن السلوك الاجتماعي عند الغزالي يقوم على التوازن بين قوى النفس العقلية، والعاطفية، والغريزية.

[1] العثمان،عبد الكريم،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مصدر سابق، ص٢٤٠-٢٤١..

[2] الشناوي،محمد(د)،أنموذج تهذيب الأخلاق عند الغزالي،مجلة رسالة الخليج العربي،العدد(٢٢)،السلسلة السادسة،السعودية،١٩٨٧، ص١٣٩.

[3] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٧.

المبحث الثانى: اثر القيم فى تكوين السلوك

يعتقد الإمام الغزالي أن للقيم الاجتماعية والأخلاقية أثرا بالغا في بلورة السلوك وتكوينه ، وعملية غرس هذه القيم في شخصية الفرد لا تتم إلا بالتنشئة الاجتماعية التي يلقن بها الفرد من قبل والديه وأساتذته منذ نعومة أظافره . و استنادا إلى ذلك فان القيم أساس السلوك، وان السلوك يمكن تغييره باستدخال القيم الايجابية عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية، تلك العملية التي يضطلع بها الأب أو المعلم أو رجل الدين[١]. كما يرى الغزالي أن الفكرة الإنسانية قابلة لكل شيء وانه ليس مثل التنشئة أي لون من القيم، فالخير لا يصيب الإنسان إذا كانت التنشئة التي يتلقاها ناقصة ومضللة . وليس للإنسان بالفطرة ميل خاص لا إلى الخير ولا إلى الشر[٢]. فتغيير السلوك لا يتم عن طريق الوراثة ولكنه يتم بتغيير أساليب التنشئة، فهو يقول أن النفس البشرية مقر للعلم والحكمة . فالمعارف أصيلة فيها لذلك وجب التعليم، وهدف التنشئة هو بلوغ النفس كمالها [٣]. ويسبق الغزالي هنا عالم الاجتماع الانكليزي "هربرت سبنسر" الذي يرى بان التنشئة الاجتماعية يجب أن تعد الإنسان للحياة الكاملة[٤].

نستنتج من ذلك أن ارتباط القيم بالسلوك لا يتم الأمن خلال التنشئة الاجتماعية وعلى هذا فان اثر القيم بالسلوك سواء كان ايجابيا أم سلبيا لا يتحقق إلا عن طريق التنشئة ، فالتنشئة الاجتماعية هي المسؤولة عن طبيعة السلوك الاجتماعي ، فإذا ركزت التنشئة على القيم الايجابية فان السلوك الاجتماعي الناجم عن ذلك سوف يكون سلوكا ايجابيا .أما إذا حدث العكس فان السلوك الاجتماعي سوف يكون سلوكا سلبيا .

أن تركيز الإمام الغزالي على اثر التنشئة الاجتماعية دفعه إلى تأكيد أهمية التفاعل بين البيئة (المجتمع) والفطرة (الوراثة) فأنتقد الرأي القائل بأن طبيعة الإنسان لا يمكن

---

[١] الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٧٧.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٤.

[٣] المصدر السابق، ص٤٦.

[٤] سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مكتب النهضة، القاهرة، ١٩٦٤، ص٢٩.

تغييرها. ففي حالة عدم تغييرها يصبح النصح والإرشاد عديم الجدوى[1]. والملاحظ أن التفاعل بين الفطرة وما يتصل بها من دوافع كدافع الجنس والجوع، والبيئة وما يتصل بها من قيم وعادات وتقاليد وأعراف يتم عن طريق التنشئة الاجتماعية، لذا نجده يهتم بوجود المربي أو الأستاذ في عملية التنشئة. ذلك أن المربي يقوم بهذه المهمة من خلال غرس القيم الايجابية واستبعاد القيم السلبية. كما يهتم بوجود دافع من جانب الفرد يحمله على التعلم[2] لان عملية التنشئة لا تنجح إذا لم يكن هناك دافع فطري للتعلم من قبل الفرد لهذا يرى الغزالي أن واجب المربي إعلاء الدوافع الايجابية للسلوك عند الفرد صوب التعلم ومن واجبه أيضا تكييف الغرائز وتهذيبها. إذ ينقلب الغضب إلى شجاعة بدلا أن يكون تهورا أو جبنا[3]. فالشجاعة من القيم الايجابية التي يحرص عليها المجتمع ويؤكدها بينما الجبن والتهور من القيم السلبية المرفوضة والمستهجنة من قبل المجتمع.

ولم يكتفي الغزالي بدراسة العلاقة بين الفطرة والبيئة الاجتماعية وإنما ذهب إلى ابعد من ذلك. إذ تحدث عن الاتجاهات السلوكية ودوافعها عند الجماعات المختلفة في المجتمع الكبير[4]. ولما كانت الدوافع مندرجة تحت اتجاهات السلوك فان الغزالي يقسم هذه الدوافع إلى قسمين أولهما الدوافع الغريزية، وثانيهما الدوافع الاجتماعية وطبقا لذلك يقسم الجماعات إلى قسمين: القسم الأول من الجماعات تحكمه الحاجات الغريزية ويندرج تحت هذا القسم ثلاثة طوائف تدفعهما الحاجة إلى كسب القوت، والأكل، والشهوات، والقسم الثاني من الجماعات تتحكم فيه الحاجات الاجتماعية وتتفرع منه طائفتين تدفعهما الحاجة إلى الحصول على المكانة والمركز الاجتماعي والشهرة.

ويعتقد الإمام الغزالي أن لهذين القسمين دافعان يكونان طبيعة السلوك الاجتماعي لدى الجماعات لذا فلابد من أن يكون بينهما نوع من التوازن فلا يعمل كل منهما في اتجاه منفصل عن الآخر، فهما ممتزجان ويعملان معا في اتجاه واحد، فإذا ما انفصلا اختل توازن الشخصية وتكون مهمة التنشئة الاجتماعية إعادة ربطهما معا على أن يكون هناك

---

[1] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٣٨.

[2] الشناوي،محمد(د)،أنموذج تهذيب الأخلاق عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٤٠.

[3] سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مصدر سابق، ص٦٤.

[4] غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٣.

ثمة اعتدال وتوازن بين هذين الدافعين من خلال زرع القيم الايجابية التي يرضى عنها المجتمع، فكل ما يصيب شخصية الإنسان من اضطراب وتشوه إنما هو نتيجة لفقدان التوازن بين الدوافع الغريزية والدوافع الاجتماعية المكونة للسلوك الاجتماعي[1]. فإذا ما ترك العنان لشهوات النفس الغريزية أن تنطلق بدون ان تضبط أصبح سلوك الإنسان أشبه ما يكون بالسلوك الحيواني. إذ أن الشهوة الزائدة عن الحد تعرض السلوك الاجتماعي إلى الانحراف والرذيلة، وأما إذا سيطر الإنسان على شهواته وانفعالاته عن طريق التمسك بالقيم الايجابية فانه يمكن أن يكون عنصرا فاعلاً في المجتمع ولا يأتي له ذلك إلا من خلال التحلي بقيم المجتمع الايجابية والتخلي عن القيم السلبية.

لقد أدرك الإمام الغزالي أن السبب في انتشار الفساد والفوضى في زمنه هو عدم اهتمام المربين في ذلك العصر بالتعرف على طبيعة السلوك الاجتماعي للفرد، ولذلك عجزوا عن تشخيص عيوب النفس وبالتالي عجزوا عن علاجها وتوجيهها ولهذا عم الفساد وانتشر[2]. ولهذا يركز الغزالي على اعتدال الجوانب العقلية، والغريزية، والانفعالية وتوازنها لدى الفرد عن طريق التنشئة والتقويم.

نافلة القول أن الغزالي عالج موضوع السلوك الاجتماعي وعلاقته بالقيم معالجة دقيقة، فهو يربط بين القيم والسلوك ويميز بين القيم السلبية والقيم الايجابية كما يميز بين السلوك الاجتماعي السوي والسلوك الاجتماعي الشاذ ويوضح اثر القيم الاجتماعية الايجابية لاسيما الأخلاقية في تحول السلوك من سلوك منحرف إلى سلوك سوي ومقبول وعلى العكس من ذلك يرى أن القيم السلبية لها ابلغ الأثر في انحراف السلوك لهذا يؤكد على ضرورة قيام الأسرة باكتساب وتمثيل القيم الايجابية وتمريرها إلى صغارها وأبنائها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية لكي يكون الأبناء نافعين في المجتمع الذي يعيشون فيه.

---

[1] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٧١.

[2] المصدر السابق، ص٦٢.

المبحث الثالث: أساليب التنشئة الاجتماعية والأخلاقية

حاول الباحث في هذا المبحث أن يوضح تنوع أساليب التنشئة الاجتماعية والأخلاقية عند الإمام الغزالي. إذ أن هذه الأساليب جاءت مراعية لمختلف الجوانب التي اهتم بها سواء في مجال النفس أو المجتمع. وقد تأثرت تلك الأساليب بنظرته إلى المعرفة، والنفس، والقيم[١]. فهو يؤكد أن سعادة النفس تتم بضبط جميع مكوناتها حتى الاعتدال، حيث لا إفراط[*] ولا تفريط[**] ويبدو واضحا أن التوازن في النظرة إلى النفس يجعل جميع قواها تعمل بانتظام وحسب ما أودعها الله سبحانه وتعالى، وبالتالي تسير التنشئة في مسارها الصحيح دون أن تضطر إلى كبت القوى أو إفلاتها وكلا الأمرين خطر على النفس وعلى التنشئة[٢]، فالاعتدال بين الإفراط والتفريط حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين[٣]. لهذا يرى الغزالي أن أساليب التنشئة لابد أن تكون معتدلة، فاستخدام مبدأ الموازنة بين اللين والشدة والموازنة بين الثواب والعقاب يتفق مع ما اقره الإسلام وما أتت به الأنظمة الوضعية.

كما حاول الباحث أن يسلط الضوء على اهتمام الغزالي المتزايد بالتنشئة. إذ استطاع الغزالي أن يشحن عقول التلاميذ بالمعلومات كسبا للوقت كما استطاع أن يطرح آراء تربوية تعد الآن غاية ما وصلت إليه التربية المعاصرة[٤]، فالغزالي أكد أهمية البيئة الاجتماعية في نمو قوى الطفل العقلية والعاطفية. ويلحظ انه أكد على الرعاية المكثفة حتى انه كرس الكثير من الاهتمام بالأمور المتعلقة بتنشئة الطفل من قبل مربيه[٥]، لهذا كان تأكيده للرعاية شاملا ومتكاملا بحيث أفاد المجتمع برمته. ويمكن تلخيص أساليب التنشئة عند الغزالي فيما يلي:

---

[١] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مصدر سابق، ص١١.

* الافراط: الزيادة.

** التفريط: النقصان.

[٢] المصدر السابق، ص٧٥.

[٣] شمس الدين،عبد الأمير(د)،الفكر التربوي عند الغزالي،دار إقراء،بيروت،١٩٨٥، ص٥٩-٦٠.

[٤] سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مصدر سابق، ص٥.

[٥] قاسم، محمود (د)، دراسات في الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٢٠٢.

١- **الموازنة بين اللين والشدة:**

يؤمن الإمام الغزالي بان من الأساليب المؤثرة ايجابيا في توجيه الطفل نحو الخلق الحسن والابتعاد عن الخلق السيء أن ينبه بطريق اللين لا الشدة إلى ضرورة تجنب سوء الخلق مع استخدام أسلوب الود والرحمة [١]. إذ أن هذا الأسلوب يساعد على تنمية أمهات الفضائل في النفس البشرية [٢]. وتكمن الموازنة بين اللين والشدة في إقراره أسلوب الشدة (الضرب) من المعلم لتلميذه من جهة ، والنهي من الإكثار من التدليل للطفل من جهة أخرى كي لا يكون للعنف الزائد أو التهاون واللين أثرا سيئا في نفس الطفل [٣].

كما تبرز الموازنة بين أسلوبي اللين والشدة عند الغزالي في تأكيده على الإسراع بالمكافأة على الممارسة التربوية الايجابية ، والتأني في استخدام الشدة لإعطاء الطفل الفرصة لإصلاح أخطائه بنفسه وبالتالي تقدير المسؤولية وزيادة الثقة بالنفس ، وكان يتردد في استعمال الشدة والتوبيخ ويلجأ أحيانا إلى أساليب الترغيب للإقبال على الأفعال الحسنة والتلميح بخطورة آثار الأفعال السيئة لان ذلك أوقع في النفس واشد تأثيرا [٤]، لذا فان مهمة المربي كما يوصي الغزالي ضبط الشهوات وقوى النفس عند حد الاعتدال ، أي تكييف الغرائز وتهذيبها [٥]. ويعني ذلك إتباع مركز وسط بين اللين والشدة من اجل أحداث حالة من التوازن بين قوى النفس . وهكذا ينادي بأسلوب علمي ناجح مثل التعريض وليس التصريح ، الرحمة وليس التوبيخ لان التصريح ينطوي على الشدة والعنف [٦]. أما اللين فانه يورث التدليل والتنعيم أو الاستمتاع بكل ما يرفه عن النفس البشرية [٧]، لهذا ينصح بأسلوب الموازنة بين اللين والشدة في عملية التنشئة الاجتماعية والأخلاقية .

---

[١] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٢٠.

[٢] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص٢٦٤.

[٣] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج١، مصدر سابق، ص٥٧.

[٤] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٢١.

[٥] المصدر السابق، ص١١٣.

[٦] شمس الدين،عبد الأمير(د)،الفكر التربوي عند الغزالي، مصدر سابق، ص٥٢.

[٧] سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مصدر سابق، ص٦١.

٢- **الموازنة بين العقاب و الثواب:**

للإمام الغزالي نظرية خاصة في الثواب و العقاب تتجسد هذه النظرية بوجوب تكريم الصبي ومدحه على ما يأتي به من أفعال حسنة لاسيما أمام ذوي الشأن ، و التغافل عنه إذا أتى أمرا مذموما لان مكاشفته بالأمر المذموم يزيد جسارة ، أما إذا تعود الخطأ فيمكن أن يعاقب سرا ويحذر من التمادي في العقاب[١].

ويرى الغزالي أن من الواجب اللجوء إلى أسلوب الثواب و الاعتماد عليه كشكل من أشكال الجزاء ،فالثواب لابد أن يناله الطفل عند إتيانه الفعل المحمود، لأنه عبارة عن إدخال السرور في نفسه بإحدى وسيلتين احدهما منحه ما يرغب الحصول عليه وثانيهما مدحه[٢]، على أن هذا المدح لا يقود إلى الكسل و التراخي و التدليل لأنه يؤدي إلى فشل التنشئة [٣]، فالمستحسن هو الاعتدال والتوازن .

أما فيما يخص العقوبة فقد تدرج بها الغزالي . إذ بدأ من الأساليب الوقائية و أساليب العتاب و انتهى بالعقوبة البدنية على أن تكون دون مبالغة في الضرب لأنها قد تحدث أضرارا جسمية ونفسية خطيرة . كما أنها تمنع العمل وتسبب المرض [٤]. بيد انها تفيد من دون مبالغة في تقويم الانحراف، لذا نهى عن الضرب الشديد لاسيما في حالة الغضب ليكون بعيدا عن الانتقام ، و يشترط في عقوبة البالغ على قدر العمل دون زيادة أو نقصان [٥]. و هكذا يقتفي الغزالي أسلوب الموازنة بين العقاب و الثواب ، فهو ينصح المربي أن لا يفرط في العقاب ، فيؤدي إلى إيذاء الطفل و إيلامه ، و أن لا يفرط أيضا في الثواب بحيث يفضي إلى الكسل و الميوعة و الجبن والتدليل، لان هذا يجعل الطفل متكلا غير قادر على الاعتماد على نفسه في المستقبل.

---

[١] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي، مصدر سابق، ص١٤٠.

[٢] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٢٣٨.

[٣] سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مصدر سابق، ص٦١.

[٤] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص١٥٧.

[٥] المصدر السابق، ص١٦٦.

٣- **الاهتمام المتزايد بالابن :**

يعد الإمام الغزالي من كبار المهتمين بالتنشئة الاجتماعية والأخلاقية . وقد امضي جل حياته ممارسا لها ممارسة عملية وكان يركز على التنشئة الأخلاقية ورياضة النفس وممارسة الأخلاق ، ويرى أن السعادة تتحقق في تحويل أخلاق الإنسان من الحالة الرديئة إلى الحالة الحسنة [١]، لذا اعد الدين معينا للأخلاق [٢]. بيد أن هذه النظرة للأخلاق من خلال هذا المنظار الديني لا يلغي اثر الواقع ، بل يرى انه لا بد من تعاون المعرفة الروحية والمعرفة الواقعية معا لتهذيب أخلاق الفرد [٣]. وطبقا لذلك لا يفصل الجانب المثالي عن الجانب الواقعي في عملية التنشئة بل يرى أن هناك ثمة اتصال وترابط بين الجانبين . إلى جانب الدين اعد الغزالي المجتمع مصدرا من مصادر الأخلاق لان هذه الأخلاق تتبدل بتبدل المجتمع [٤].

أن اهتمام الغزالي المتزايد بالتنشئة يحتم علينا أن ننظر إلى أفكاره التربوية بمنظار العصر الذي عاش فيه واجتهد ليعطي أحسن ما أعطاه ، ففي ذلك العصر كان التكالب على الدنيا والارتماء في أحضانها هو الواقع الذي يعيشه المسلمون بعد أن جرفهم هذا الواقع بعيدا عن المثل العليا للإسلام ، لهذا كان مهتما بالتنشئة الاجتماعية وكان هدفه من ذلك إيقاف طغيان الحاجات المادية التي قادت إلى اضطراب الحياة الاجتماعية . فتركيزه على التنشئة ما هو إلا كرد فعل لهذا الاضطراب والتفكك ، لهذا فان اهتمامه بالتنشئة أتى على صورتين : احدهما بطريقة غير مباشرة في مؤلفاته العديدة ، وثانيهما بطريقة مباشرة في مؤلفه (أيها الولد) [٥]. إذن تأكيده على التنشئة نابع من رؤيته الثاقبة لواقع عصره المضطرب . إذ نشط الانحراف والفساد في المجتمع وكان همه إصلاح المجتمع وانتشاله من هذه الفوضى الضاربة في أعماقه .

---

[١] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٢٠.

[٢] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي، مصدر سابق، ص١٣٧.

[٣] البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٣٨.

[٤] قاسم، محمود (د)، دراسات في الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٢١١.

[٥] عبود،عبد الغني،الفكر التربوي عند الغزالي كما يبدو من رسالته أيها الولد،دار الفكر العربي،بيروت،دون سنة طبع، ص٤٦.

يتجلى الاهتمام الكبير بالتنشئة عند الغزالي بآرائه التربوية الخاصة بتنشئة الطفل، فالاهتمام بالتنشئة يقف دائما بالمقدمة لان أخلاق الإنسان لا تكون صالحة إلا من خلاله[1]. يلحظ أن الاهتمام الكبير ما قبل الغزالي كان وقفا على النواحي الدينية لا يتعداها إلى غيرها. بيد أن دائرتها قد اتسعت في عصره فشملت النواحي الدينية والدنيوية، لهذا يوصي المسؤولين عن تربية الطفل من المربين كالآباء والأساتذة بإسداء النصائح التربوية المتعلقة بالجانب الديني، والدنيوي. كما ينصح المربين إحاطة الأطفال بالعطف، والحنان، والشفقة[2].

يعتقد الغزالي أن الاهتمام الكبير بالطفل يبرز بروزا كبيرا في المرحلة الأولى من عمره، ومن هنا كان لزاما على والديه أن يأخذاه بعنايتهما ورعايتهما منذ أيامه الأولى، وذلك حرصا عليه من الأخلاق المذمومة[3]، ويستمر الاهتمام حتى تظهر عنده القدرة على تمييز الأشياء، فينصح الأهل عند ظهور هذه الحالة باستغلالها[4].

يعد الاهتمام الكبير بالتنشئة عند الغزالي العامل الأساس الذي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنه للوصول إلى مستوى النضج الإنساني، وبالتنشئة ينضج العقل وينمو الجسم نموا صحيحا متكاملا، فالاهتمام الكبير عنده يتجسد في تركيزه على عملية التنشئة لأنها تهيئ للفرد نضجا وجدانيا واجتماعيا يمكنه من التفاعل المثمر مع مجتمعه فهي العامل الأساس الذي يضمن للمجتمع تماسكه وحفظ بقائه من التدهور والانحلال.

---

[1] شمس الدين،عبد الأمير(د)،الفكر التربوي عند الغزالي، مصدر سابق، ص٤٤.

[2] المصدر السابق، ص٤٥.

[3] البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، مصدر سابق، ص١٢٤.

[4] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٢، مصدر سابق، ص٧٢.

المبحث الرابع: قنوات ومفردات التنشئة الاجتماعية الأخلاقية

أن التنشئة الاجتماعية التي تستند إلى إطار نظري محدد لابد لها أن تكون شمولية. إذ تتوجه إلى كل ما يهم الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية، فلن تقتصر على الجانب العلمي والمعرفي، بل تتعداه لتشمل الأمور الاجتماعية الأخرى الخاصة بوجود الفرد في جماعة ونوع العلاقة القائمة بينهما. والغزالي بحكم كونه مصلحا اجتماعيا همه خُلق الإنسان الكامل الذي يؤلف نواة المجتمع الفاضل[١]. وطبقا لذلك فان التنشئة عنده هي عملية اجتماعية، أو عملية تكيف اجتماعي. إذ أن الفرق بين المعرفة والتنشئة هو أن التنشئة عملية نمو لا تتحقق إلا في إطار اجتماعي.

ويعتقد الغزالي أن التنشئة ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تفهم بعيدا عن النشاطات الإنسانية الأخرى. كما لا يمكن القول بإصلاح الفرد من دون أحداث تغيير في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المحيطة به[٢]. فالتنشئة إذن تهدف إلى إصلاح المجتمع من خلال إصلاح الفرد لان المجتمع مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات اجتماعية، وهذه العلاقات هي سبب ديمومة المجتمع وبقائه، وهدف التنشئة وغايتها الحفاظ على أواصر هذه العلاقات وتحسينها وتقويتها من اجل إدامة الحياة الاجتماعية، وليس من هدفها الفرد خارج إطار المجتمع، وإنما تتوجه إلى الفرد بعده عضوا في جماعة[٣]. وهكذا جاءت طروحات الغزالي تجسيدا لهذا المبدأ التربوي العام.

أن آراء الغزالي التربوية ذات غاية اجتماعية. إذ أن هدف التنشئة إصلاح الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع، ومن باب التجني عليه القول بان أفكاره وطروحاته التربوية ليست لها غاية اجتماعية معينة، فليس من السهل أن نطلق هذا الحكم عليه، ونحن نراه في مواقف مختلفة يحث على تحسين أساليب التعايش في هذه الحياة، ويحدد للعلاقات الاجتماعية أطرا معينة[٤]، ولهذا يمكن القول بان التنشئة عنده هادفة إلى تحسس حاجات

---

[١] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٢٣٠.

[٢] بدوي، عبد الرحمن (د)، الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده، مصدر سابق، ص٨٠٨.

[٣] الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، مصدر سابق، ص٢٣٢.

[٤] البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، مصدر سابق، ص١٤٢.

الإنسان الدينية والدنيوية وعن طريق اكتمالها تكتمل السعادة وتتوفر عواملها في المجتمع.

وما دمنا بصدد توضيح أفكار الغزالي في مجال التنشئة فقد يكون من المفيد أن نذكر قنوات التنشئة التي هي الأسرة، والمدرسة، والمجتمع الكبير برمته. فالغزالي وضع ثلاثة قنوات للتعليم: تمتد الأولى من الميلاد حتى سن التمييز – سن السابعة وتتم في الأسرة، وتمتد الثانية من سن التمييز حتى سن البلوغ، وتتم في المدرسة، وتبدأ القناة الثالثة بعد أن يصل الطفل سن البلوغ ولا حد لنهايتها، وتتم في المجتمع.

ولقد اهتم الغزالي بالتنشئة الأسرية بعدها القناة الأولى للتنشئة الاجتماعية، وخص الأبوين وحملهما مسؤولية جسيمة إزاء ذلك[1] لدورهما الفاعل في نقل الطفل من مجرد عضوية بيولوجية عند الولادة إلى إنسان ناضج متكامل النمو، واكتمال نموه لا يتم إلا باكتساب اتجاهات البالغين وقيمهم ومعتقداتهم، وهذه لا يمكن اكتسابها إلا عن طريق التفاعل الاجتماعي بالكبار، وأول التفاعلات الاجتماعية مع الكبار تتم في الجو الأسري الذي يتميز بسرعة فعله وقوة تأثيره، ويرجع ذلك إلى المرونة التي تتصف بها طبيعة الطفل عند الولادة، ولذا فالطفل بحاجة إلى الإرشاد والهداية إلى ما يتفق مع طبيعة روحه المتطلعة إلى بارئها. كل هذه العوامل تجعل من السهل عليه أن يتأثر بالكبار الذين يحيطون به وخاصة إذا ما أحسن اعتقاده بهم. ونتيجة لذلك يمتص الطفل أساليب تفكيرهم وأنماط سلوكهم ومشاعرهم.

والحق أن الغزالي فطن إلى أهمية مفردات التنشئة التي يتلقاها الطفل من الأسرة وهي قيام الوالدين بتأديب الطفل وتهذيبه وتعليمه محاسن الأخلاق[2]، ومتابعة سلوكه خارج نطاق المنزل لحفظه من قرناء السوء[3]، وتعليمه آداب الأكل والجلوس على المائدة، ولبس الثياب المناسبة به، ومنحه قسطا من التعليم الديني والدنيوي، وتعويده على الخشونة في الملبس، والمطعم، والسلوك[4]، وتعويده على النشاط، وعدم الكسل،

---

[1] أمين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا، مصدر سابق، ص٧٤.

[2] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٧٢.

[3] المصدر السابق، ص٧٢-٧٣.

[4] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٢٢٧.

والاعتماد على النفس، وأداء المهام والمسؤوليات حالا دون تأجيلها إلى أيام أو فرص قادمة. كما يعود على الكرم، والكلام الحسن، والصدق في القول، والشجاعة، والعدالة، والمبدئية، وعدم الخوف مع التزام جانب الأمانة والصراحة، والاحترام المشترك كاحترام الكبير والعطف على الصغير، والابتعاد عن الفواحش، والمنكرات، والغش، والغرور، وجلب الأذى للآخرين[1]. فالتنشئة الأسرية إذن تعلم الطفل مواجهة صعوبات الحياة بنفسه والعمل على تذليلها وتطويق أخطارها.

هذه هي أهم المفردات التي ينبغي على عملية التنشئة الأسرية غرسها في ذهن الطفل كما يراها الغزالي، بيد أن هذه التنشئة لا تكون ذات جدوى إذا لم يكن هناك تساند بينها وبين المدرسة من اجل أداء المهام المناطة بها، هذه هي المهام التي تعمل على تلبية حاجات الأطفال.

أما القناة الثانية من قنوات التنشئة الاجتماعية فهي المدرسة (المكتب). إذ تبدأ عند بلوغ الطفل سن السابعة من عمره، وتستمر إلى أن يبلغ سن النضوج العقلي والجنسي والجسمي _ أي سن الثامنة عشر، وفيها يتم إرساله إلى شخص متخصص بتربية الأطفال وتعليمهم في مكان خاص يسمى "المكتب" وفيه يكون النمو العقلي للطفل قادرا على تعلم القراءة والكتابة وعلوم أخرى مناسبة لهذا النمو العقلي[2]، وتعد أهداف التنشئة في المدرسة استمرارا لأهداف التنشئة الأسرية من حيث الاستمرار في تأديب الطفل والعمل على ضبط دوافعه بالإضافة إلى البدء في تعليمه القراءة والكتابة.

يؤكد الغزالي جازما ضرورة مناسبة مفردات التنشئة في المدرسة لقدرات الطفل الطبيعية بتعليمه مواد دراسية تنسجم وهذه القدرات وتجنيبه مواد دراسية لا تنسجم معها لأنها قد تسبب له أضرارا كثيرة قد تعوق مسيرته الدراسية، وفي ضوء هذا المبدأ التربوي ترك الغزالي للمعلم حرية اختيار المواد الدراسية بشرط شمولها القران الكريم، وأحاديث

---

[1] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٥.

[2] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٢٢٩.

الأخبار، وحكايات الأبرار و أحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين[1]، على أن تنقى مواد المنهج من المواضيع التي قد تترك أثرا سيئا في تكوين الشخصية و تكاملها .

إلى جانب ذلك وضح الغزالي بعض الآداب التي لابد منها أثناء الدراسة و أهمها تعويد الطفل عدم البصق ، أو التثاؤب في المجلس، أو وضع الساق على الساق أثناء الجلوس ، كما ينصح بقلة الكلام، وحسن الإصغاء إذا تكلم غيره [2].

أن المدرسة (المكتب) هي المؤسسة المختصة بشؤون التربية إلا أنها ليست الوحيدة التي تهتم بها فهنالك مؤسسات أخرى تشاركها هذه المهمة وفي طليعتها الأسرة . ذلك أن المدرسة تستكمل ما قامت به الأسرة من دور تربوي ، بل أن هناك ثمة تعاون وثيق بينهما[3]، فهنالك أخبار تدل على أن الآباء كانوا كثيرا ما يفرحون حين يكون لهم أبناء يطلبون العلم . إذ كان ذلك مدعاة فخر لآبائهم ن بل كان بعضهم يقيم الولائم بمناسبة انخراط ولده في سلك الطلبة ، وكان من ديدن الإباء أن يصطحبوا أولادهم إلى مجالس العلماء و يعودوهم على السماع و الكتابة [4]. وهكذا لا تستطيع المدرسة أن تؤدي وظائفها على أحسن وجه إلا إذا كان هناك ثمة تعاون مشترك وفاعل بينها و بين الأسرة ، فمن المشكلات الأساسية التي تحول دون نجاح المدرسة في مهامها التربوية هو ضعف و ضمور هذا التعاون و بالتالي إخفاق المؤسستين في منح الأطفال التنشئة الصحية .

أما القناة الثالثة من قنوات التنشئة فهي التعليم في المجتمع [*]. ويعتقد الغزالي أن هذه القناة تبدأ عندما يقارب طالبا العلم سن البلوغ ،أي سن الثامنة عشر،

ويطلق الغزالي على المتعلم لفظ (طالب العلم) ولم يحدد نهاية له ، ويكون الفرد قد وصل إلى حد المسؤولية عن تصرفاته . ويضع الغزالي جملة من القواعد التربوية التي يتم بموجبها تربية طالب العلم على انه يقدم الجانب الاجتماعي على الجانب العلمي في

---

[1] المصدر السابق، ص٢٣٠.

[2] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٧٢.

[3] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٢.

[4] احمد، منير الدين (د)، تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري، دار المريخ، الرياض، ١٩٨١، ص٧٩-٨٠.

* التعليم في المجتمع يأتي بعد التعليم في المكتب، وهو تعليم يعتمد على طالب العلم في طلبه وتحصيله.

العملية التربوية . وما يهمنا من هذه القواعد هو تأكيده على ضرورة حصول المتعلم على ثقافة عامة تتصل بواقع المجتمع فضلا عن موضوع تخصصه [1].

أما فيما يتعلق بمفردات التنشئة التي يتلقاها الأفراد في الطفولة ، فهي تتجسد بشكل عام بالعلوم الشرعية ، وفي ضوء ذلك صنف مفردات التنشئة إلى نوعين احدهما خاص بالعلوم الشرعية العامة التي تصلح لكل افراد المجتمع ، وثانيهما خاص بالعلوم الشرعية التي تلزم لأفراد دون آخرين حسب الانحراف الذي يعانيه كل منهم ، والعلوم الشرعية التي تجمع هذين الصنفين من العلوم هي الآيات القرآنية ، والأخبار، والأحداث و حكايات الأنبياء ، والسلف الصالح ، وما ورد من عقوبات على الذنوب ، والأسباب المؤدية للوقوع في كل ذنب من الذنوب التي يقترفها المنحرف وكيفية التخلص من كل سبب من أسبابها [2].

وهكذا يرى الغزالي أن هذه المفردات مهمة بل ضرورية لعلاج الانحراف ، وتظهر الحاجة إليها في حالة الانحراف والجريمة، لذا يجب الاهتمام بإعداد العلماء والوعاظ من المعلمين الكبار اهتماما كبيرا للدور الخطير الذي يلعبه هؤلاء في الإصلاح الفردي والاجتماعي . إذ يقوم العلماء بحث الكبار على التمسك بالقيم والنوازع الاجتماعية والروحية ونبذ النوازع الأنانية والنفعية في وقت كانت الممارسات المادية هي المسيطرة على الحياة الاجتماعية آنذاك . ذلك أن من أخطر الآفات الاجتماعية التي تؤدي إلى تفكك المجتمع وانحلاله هي آفة فساد العلماء وعجزهم عن إصلاح الكبار، وبالتالي عجزهم عن القيام بمهامهم التربوية التي تتجسد بزرع القيم الايجابية عند الكبار وبلورتها فيهم [3].

نخلص من كل ما سبق ذكره إلى أن الغزالي له آراء هامة في التنشئة الاجتماعية والأخلاقية . إذ أن فكره التربوي ينطوي على مضامين اجتماعية وأخلاقية . فالتنشئة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها بمعزل عن النشاطات الاجتماعية الأخرى . وكما أنها ضرورة اجتماعية للفرد فهي ضرورة لاستمرار حياة المجتمع . إلى جانب ذلك فان المجال

---

[1] فهد، ابتسام محمد، الفكر التربوي العربي الإسلامي لبعض فلاسفة العرب المسلمين بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، قسم التربية، ١٩٩٤، ص١٤٦-١٤٧.

[2] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٣٠٧.

[3] المصدر السابق، ص٣٠٩.

الحيوي لفعلها هو البيئة الاجتماعية لأنها الإطار الاجتماعي الذي يتفاعل فيه الفرد ، وتتبلور من خلاله شخصيته .

الفصل التاسع

الطبقات الاجتماعية والانتقال الاجتماعي في فكر الامام الغزالي

تمهيد

المبحث الأول : ماهية وأنواع الطبقات الاجتماعية في فكر الغزالي.

المبحث الثاني : العامل الأساس الذي استند إليه الغزالي في تصنيف المجتمع إلى طبقات .

المبحث الثالث : العوامل الموضوعية والذاتية لتحديد الانتماءات الطبقية عند الغزالي .

المبحث الرابع : ظاهرة الانتقال الاجتماعي في فكر الغزالي.

المبحث الخامس : أسباب ونتائج الانتقال الاجتماعي في فكر الغزالي .

تمهيد

يتناول هذا الفصل أفكار وآراء الإمام الغزالي الخاصة بالطبقات الاجتماعية والانتقال الاجتماعي وأسباب ونتائج الانتقال، ولتوضيح ذلك يتم تقسيم الفصل إلى خمسة مباحث، تناول المبحث الأول منها ماهية الطبقات وأنواعها. إذ صنف الغزالي متابعا أفلاطون الطبقات إلى ثلاثة أنواع هي طبقة الحكام ورجال الدين التي تحتل قمة الهرم الطبقي، وطبقة الجند التي تحتل وسط الهرم، وطبقة التجار والصناع والفلاحين التي تحتل قاعدة الهرم.

أما المبحث الثاني فقد تضمن العامل الأساس الذي استند إليه الغزالي في تصنيف الطبقات وهو عامل النفس البشرية. ذلك أن النفس البشرية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي النفس العاقلة، والنفس العاطفية، والنفس الغريزية، وقد قابل بين النفس العاقلة في الإنسان وطبقة الحكام في المجتمع، وبين النفس العاطفية وطبقة الجند، وبين النفس الغريزية وطبقة الصناع والتجار والفلاحين. علما بان الغزالي اعتبر ملكة العلم والمعرفة أساسا للتمييز بين الطبقة العليا والطبقتين المتوسطة والسفلى لان هذه الطبقة هي الأساس لانتظام البناء الاجتماعي واستقراره.

أما المبحث الثالث فقد تناول فيه الباحث العوامل الموضوعية كالمهنة، والدخل، والثقافة، والسلوك، والزي الخارجي. كما تناول العوامل الذاتية كالشعور، والإدراك، والميول والاتجاهات. علما بان هذه العوامل جميعها تحدد الانتماءات الطبقية كما يرى الغزالي.

أما المبحث الرابع فقد تطرق إلى موضوع الانتقال الاجتماعي، وهنا خالف الغزالي أفلاطون. ذلك أن أفلاطون لم يؤمن بالانتقال الاجتماعي بين الطبقات، في حين يؤمن الغزالي بالانتقال الذي يرى فيه تحول الفرد من طبقة إلى أخرى صعودا أو هبوطا على السلم الطبقي، وقد استمد رأيه هذا من تأثره بالإسلام الذي يحث الفرد على المثابرة والجد والاجتهاد.

في حين تناول المبحث الأخير أسباب ونتائج الانتقال الاجتماعي في فكر الغزالي وما تترتب عليه من مشكلات تتعلق بسوء التكيف النفسي والاجتماعي والآثار السيئة التي يتركها هذا الانتقال على التماسك والتضامن الاجتماعي لطبقات المجتمع.

المبحث الأول: ماهية وأنواع الطبقات الاجتماعية فى فكر الإمام الغزالى

يعتقد الإمام الغزالي أن البناء الاجتماعي يتسم بالتباين والاختلاف وقد استند هذا التباين إلى أسس نفسية أساسية مثل العقل، والعاطفة والغريزة[١]. كما استند إلى أسس اجتماعية ثانوية كالنفوذ، والسلطة، والملكية، والمركز الاجتماعي[٢]. وهكذا فان الطبقة الاجتماعية كما يرى الغزالي هي المجموعة التي تتميز عن غيرها باختلاف في المستوى العقلي، أو العاطفي، أو الغريزي، أي أن طبيعة النفس البشرية هي التي تحدد الطبقة الاجتماعية. فهو يحدد في تقسيمه للطبقات أوجه المقابلة بين أقسام النفس السابقة الذكر وطبقات المجتمع المتمثلة بطبقة الحكام ورجال الدين التي تحتل مركز الصدارة في المجتمع نظرا للأعباء والمهام القيادية والروحية المقدسة التي تضطلع بها، وهناك الطبقة العسكرية التي تتكون من المقاتلين الذين يتولون مهمة الدفاع عن الدولة ضد الأخطار والتحديات والغزوات الخارجية ، وأخيرا هناك طبقة التجار والفلاحين والصناع الذين تقع عليهم مهمة البيع والشراء والزراعة وصناعة المواد التي يحتاجها المجتمع[٣].

وألان يمكننا تناول أنواع الطبقات الاجتماعية بالاتي:

١- طبقة الحكام ورجال الدين:

وهذه الطبقة هي من أرقى طبقات المجتمع وأفرادها ينتمون إلى العوائل التي تتمتع بحسب ونسب عريق في الجاه والسمعة والشرف الاجتماعي، وتضم عادة الأشخاص الذين يحصلون على دخول عالية وقصور فخمة وأراضي زراعية شاسعة، وهذه الطبقة بيدها زمام الحكم[٤] لأنها تشتغل بعقلها لا بعضلاتها، لذا فهي تحتل مركزا كبيرا[٥] ولأفراد هذه الطبقة وظائف مهمة في المجتمع، فمهمة الحكام تنحصر في تنظيم الجيوش ومنح العطايا للعلماء والإنفاق على المصالح والخدمات العامة[٦]. أما مهمة رجال الدين فهي إصلاح

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٥٤.

[٢] المصدر السابق،ج٤، ص١٠٤.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٧.

[٤] حسنين، عبد المنعم (د)، دولة السلاجقة، مصدر سابق، ص١٦٥.

[٥] إدريس، محمد (د)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي، مصدر سابق، ص٢٤١.

[٦] الحديثي، سعد خميس، الفلسفة السياسية عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٦٩.

وإرشاد المسلمين بالابتعاد عن الانحراف الأخلاقي والاجتماعي، فرجال الدين هم الواجهة الفكرية الاجتماعية التي عن طريقها ينهل الناس تعاليم دينهم[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن نظرية الحق الإلهي التي دعا إليها الغزالي وسوغها دينيا تدعي بان الحاكم مفوض من قبل الله لحكم المجتمع، لذا ينبغي عليه الاستعانة برجل الدين فيما يتعلق بشؤون رعيته لان الدين والسلطان توءمان[٢]، ولهذا السبب فان الحاكم ورجل الدين قد احتلا قمة الهرم الطبقي، فرجل الدين اكتسب تميزه الطبقي من حمله للعلم الديني، ورجل الدولة اكتسب تميزه الطبقي من كونه ظل الله في الأرض. كما ويدخل ضمن هذه الطبقة شرائح وفئات مختلفة كالوزراء وكبار العسكريين ورجال الدولة وتسهم كل هذه الفئات بالدور القيادي للمجتمع[٣].

٢- طبقة الجند

وهذه الطبقة تحتل المرتبة الثانية في سلم الهرم الطبقي، وأفرادها هم من العسكريين الذين يقومون بمهمة الدفاع عن الدولة ضد الأخطار الخارجية[٤]. وان سبب أهميتها يعود إلى طبيعة عصر الغزالي وامتلاؤه بالفتن والحروب والاضطرابات التي أنهكت الناس وأطمعت الأعداء بالأمة، فكانت الأولوية آنذاك تتجه إلى توفير الأمن والاستقرار اللذين لا توفرهما إلا السلطة القادرة على التصدي للاضطرابات من خلال إعداد الجيوش وتسليحها وتعيين المؤن والأرزاق والرواتب لها، وذلك أمر ضروري وواجب لابد منه لان النظام لا يستمر إلا بوجود قوة عسكرية مستعدة للقضاء على أي تمرد في مهده[٥].

إذن حاجة المجتمع والدولة إلى الاستقرار والحماية أوجدت مؤسسة مهمة في المجتمع مهمتها الدفاع عن مؤسساته الاجتماعية، ولهذا السب كون أفراد هذه المؤسسة

---

[١] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٦١.

[٢] المصدر السابق، ص٣٧١.

[٣] المصدر السابق، ص٣٨٤.

[٤] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٧.

[٥] الحديثي، سعد خميس، الفلسفة السياسية عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٧٤.

طبقة محاربة في ذلك العصر تسلمت الاقطاعات الزراعية[1] من اجل استغلالها واستثمارها.

٣- طبقة التجار والصناع والفلاحين:

تحتل هذه الطبقة قاعدة الهرم الطبقي لأنها تقوم بمهام البيع والشراء، والزراعة، وصناعة المواد التي يحتاجها المجتمع، والغزالي يسمي الأعمال والحرف بـ(الصناعات) بالمعنى الدارج والمتعارف عليه في عصره[2]. وبما أنها مرتبطة بتقدم المجتمع العربي الإسلامي أوثق الارتباط، فهو يحث عليها ويحث كل فرد في المجتمع على اتخاذ مهنة ما[3]، ويرى أن أفراد هذه الطبقة يشتغلون بعضلاتهم ويوفرون السلع الصناعية والغذائية لأبناء المجتمع، ولو خلق الله الجميع أذكياء ، لحرم المجتمع من الصناع، والتجار، والفلاحين، وبالنتيجة تتوقف مسيرة المجتمع. بينما اختلاف القابليات عند الأفراد يسهم في انتهاج نظام تقسيم العمل وبالتالي تكوين الطبقات، وهنا يقول الغزالي "لو لم يعتقد الخياط والحائك والحجام في صنعته ما يوجب ميله إليها لتركها واقبل الكل على اشرف الصنائع ولبطلت كثرة الصنائع ... ولو عرف الكناس ما في صناعته لتركها، ولاضطر العلماء والخلفاء والأولياء أن يتولوها بأنفسهم، وكذلك الدباغة والحدادة والزراعة"[4]. ويرى الغزالي أن هذه الصناعات ضرورية لأبناء المجتمع لأنها مصدر قوتهم ومسكنهم وملبسهم. وبناءً على ذلك احتلت هذه الطبقة أهمية في المجتمع نتيجة التطور الاقتصادي وتحسن النظرة الاجتماعية إلى العمل اليدوي. كما يرى الغزالي أن العمل اليدوي الذي من خلاله يحصل الإنسان على معاشه يختلف عن العمل الفكري والعقلي الذي يميز الطبقة العليا، لهذا يقول الغزالي "ولا يعفى من واجب اكتساب الرزق بكد اليدين إلا العالم والموظف"[5]. إلى جانب أهمية الصناعة نجد انه يولي اهتماما كبيرا بالزراعة لأنها

---

[1] مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج٢، مصدر سابق، ص٢٣.

[2] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٢٦.

[3] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٨٠.

[4] المصدر السابق، ص٣٨٠.

[5] الكروي، إبراهيم (د)، وشرف الدين، عبد التواب (د)، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٧، ص١٨٨.

الحرفة الرئيسة التي يشتغل فيها اكبر عدد من سكان المجتمع. كما أنها منبع ثروة الملاكين[1].

[1] المصدر السابق، ص١٣٧.

المبحث الثاني: العامل الأساس الذي استند إليه الغزالي في تصنيف المجتمع إلى طبقات

قبل التطرق إلى ذكر العامل الذي اعتمد عليه الغزالي في تصنيف الطبقات لابد أن نشير إلى أثر الظروف السيئة التي عاشها المجتمع ولاحظها الغزالي في نزعته المثالية الخاصة بالتصنيف الطبقي. إذ دفعته هذه الظروف إلى التفكير في أفضل الظروف والنظم التي تتكفل بإيجاد نمط من الحياة الاجتماعية يخلو من المشكلات، هذا النمط قريب من نمط الحياة أيام الخلفاء الراشدين الأربعة[١]. من هنا دعا الغزالي إلى دولة دينية إسلامية موطدة الأركان وان يكون الحكم في هذه الدولة وفق منطق العقل والبصيرة[٢]. بينما الدفاع عنها ضد الاعتداء الخارجي يكون قائما على الشجاعة والبسالة[٣]. أما الإنتاج فيكون بموجب إشباع وتلبية الحاجات الغريزية[٤]. لذلك قسم الغزالي المجتمع إلى ثلاث طبقات مسوغا ذلك بضرورة التنظيم والعدل وعلى الطريقة الأفلاطونية في تقسيم الطبقات، عد النفس البشرية العامل الأساس في تصنيف المجتمع إلى ثلاث طبقات اجتماعية[٥].

لقد قسم الغزالي النفس البشرية إلى ثلاث أجزاء أساسية: الجزء العقلي، والجزء العاطفي، والجزء الغريزي. والتقسيم الطبقي جاء نتيجة لتحليل طبيعة النفس، فهو يسمي الجزء الذي ينطوي على العقل بالنفس العالمة، بينما يسمي الجزء الذي ينطوي على الغضب والانفعال بالنفس العاطفية. أما الجزء الذي ينطوي على الجوع والعطش، فيسميه بالنفس الغريزية. ولابد من موازنة بين هذه الأجزاء أي إخضاع الجزء العاطفي والغريزي للقوة العقلية التي تعمل على توجيههما وإرشادهما[٦].

---

[١] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٨٢.

[٢] المصدر السابق، ص٣٧٢.

[٣] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص١٦٨.

[٤] المصدر السابق،ج٢، ص٢٩.

[٥] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٧١.

[٦] الغزالي، أبو حامد، كيمياء السعادة، تحقيق محمد عبد العليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٧، ص٤٠.

أن أجزاء النفس البشرية الثلاث المذكورة آنفاً لها ما يقابلها في المجتمع كما يرى الغزالي . إذ أن هناك ثمة تشابه بين الطبقات في المجتمع والنفس البشرية في الإنسان لان النفس هي نموذج مصغر للعالم[1]، وهذا التشابه يظهر من خلال تقسيمه للنفس في الإنسان ومقابلتها للطبقات في المجتمع ، وعلى هذا الأساس قسم الغزالي النفس البشرية إلى ثلاثة أجزاء أساسية هي الجزء العقلي مقره في الدماغ أو الرأس والجزء العاطفي وموقعه الصدر أو القلب ، والجزء الغريزي وموقعه في البطن ،وهذه الأجزاء الثلاثة تقابل في المجتمع ثلاث طبقات اجتماعية هي طبقة الحكام ورجال الدين ، وطبقة الجند ، وطبقة التجار والصناع والفلاحين[2].

يعتقد الغزالي أن لكل طبقة من هذه الطبقات قيما اجتماعية ايجابية لابد أن تتحلى بها، وهذه القيم أشار لها في معرض حديثه عن نظرية الوسط في الأخلاق. ذلك أن الوسط هو اعتدال في القيم والسلوك، وان أي خروج عنه سواء بالإفراط أو التفريط هو ابتعاد عن مبادئ الدين الإسلامي، وعن عادات ، وقيم، ومقاييس المجتمع الأساسية[3]. علما بان هذه النظرية طبقها على النفس البشرية وعلى المجتمع. وهكذا فان القيم الاجتماعية الايجابية التي لابد أن تتحلى بها طبقة الحكام ورجال الدين التي تعد من أرقى الطبقات هي رجاحة العقل، والعدالة، وحسن التدبير، والثقة بالنفس، والصبر، والرأي الثاقب، ووظيفة هذه القيم عند الحكام ورجال الدين هي تحقيق الانسجام بين طبقة الجند وطبقة التجار والصناع، ويتم ذلك باستخدام العقل والحكمة. أما طبقة الجند وهي الطبقة التالية لطبقة الحكام ورجال الدين فلابد أن تتحلى بقيم ايجابية تتمثل بالشجاعة، والبسالة، والرجولة، والبذل، والعطاء، والتضحية، والاستشهاد من اجل غاية هامة هي الدفاع عن المجتمع ومؤسساته من أي اعتداء خارجي. أما طبقة التجار ، والصناع والفلاحين فلابد أن تتحلى بقيم ايجابية تتجسد بالعفة، والنزاهة، والشرف وتوظيفها في ضبط الشهوات ومحاربة

---

[1] المصدر السابق، ص٥٣.

[2] المصدر السابق، ص٣٦-٣٧.

[3] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٥٤.

أسباب الانحراف والرذيلة من اجل تحقيق زيادة الإنتاج، والإسهام في تطور المجتمع اقتصاديا واجتماعيا[1]. وهكذا ينظر الغزالي للمجتمع بعده كلا منسجما واحدا كل طبقة فيه تقوم بوظيفة معينة على أن تلتزم بالقيم والمبادئ الاجتماعية والدينية لان هذا الالتزام كفيل بتحقيق حالة الانسجام والاستقرار لأفراد المجتمع[2].

أن الغزالي كأرسطو طبق نظرية الوسط تطبيقا مبالغا فيه حتى انه جعل العقل بدون أقطاب متطرفة. إذ من اعتدال قوة العقل عند الطبقة الأولى لاسيما العلماء يحصل حسن التدبير ومن إفراطها يصدر المكر والخداع، ومن تفريطها يصدر البله، والحمق، والجنون[3]، ولا شك أن هذا التطبيق المبالغ فيه قد أثار جدلا في الأوساط العلمية. كالنقد الذي وجدناه لدى الدكتورة ذكرى ابو بكر في كتابها (مواقف مع الغزالي) الذي تنتقد فيه الغزالي على رأيه بالقول "أن قوة العقل ليس فيها طرفان ووسط أبدا. فهي ليست خاضعة لإرادتنا ثم أن هذين الطرفين يصدران عن قوة الشهوة أو قوة الغضب لأنهما يسوقان العقل إلى شتى الانحرافات"[4]. بيد أن الباحث يرى خلاف هذا الرأي بالقول أن الغزالي يقصد بإفراط العقل ليس المكر والخديعة وإنما انحراف الفكر صوب الإلحاد، والكفر، والضلال من قبل بعض الفلاسفة والعلماء الذين عاصروا الغزالي، وقد رد عليهم في كتبه العديدة كـ(المنقذ من الضلال) و(تهافت الفلاسفة)، والغزالي كان محقا في ذلك ،لأنه كان خائفا على المجتمع الإسلامي من الانحرافات الفكرية المتسمة بالكفر والزندقة والإلحاد والفجور. إذ أن العالم الذي يقبل على طلب العلم ليفسد في الأرض أو ليهدم القيم الاجتماعية أو يظلم الناس أو يبتعد عن مكارم الأخلاق لا يعد عالما وإنما مفسدا[5].

---

[1] المصدر السابق، ص٥٤.

[2] الغزالي، أبو حامد، كيمياء السعادة، مصدر سابق، ص٣٦.

[3] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٥٤.

[4] ، أبو بكر، ذكرى ، مواقف مع الغزالي مع إحياء علوم الدين ، دار الفكر العربي ، ط١، ١٩٦٥، ص٤٠.

[5] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٦٣.

زد على ذلك أن الحاكم يتلقى النصائح من العالم، فلابد أن يكون العالم مبتعدا عن الدهاء والخداع والخبث[1].

ولم يكتفي الغزالي بالحديث عن القيم الاجتماعية التي لابد أن يتحلى بها الحاكم، أو رجل الدين وإنما ذهب إلى ابعد من ذلك، إذ تطرق إلى القيم الايجابية عند طبقة الجند. علما بان لهذه الطبقة نفس مندفعة متدفقة الحماس (غاضبة) بيد أنها لابد أن تميل إلى الاعتدال ومن اعتدالها تبرز قيم اجتماعية ايجابية تتمثل بالشجاعة ،والتضحية ، والبطولة، والعزيمة ، وروح الاستشهاد وهذه القيم يجب أن يتمسك بها الجند من اجل حماية المجتمع من العدوان الخارجي ، كما أن الغزالي حذر أفراد هذه الطبقة من القيم الاجتماعية السلبية النابعة من إفراط قوة الغضب كالتهور، والطيش، والرعونة، والانتقام، والاعتداء، والتهجم بدون مبالاة أو القيم النابعة من تفريط قوة الغضب كانعدام الحمية، والجبن، وضعف النخوة في الدفاع عن العرض والوطن، وقلة الأنفة. ولا شك أن هذه القيم تضعف قوة الجند وبالتالي تجعل المجتمع عرضة للتدخل الأجنبي[2].

كما تطرق الغزالي إلى طبقة التجار والصناع والفلاحين التي يقع على عاتقها العمل والإنتاج. إذ أن لهذه الطبقة نفس شهوانية لهذا السبب تركزت جهودها في الإنتاج لان الجانب العقلي والعاطفي يضعف عند أفراد هذه الطبقة ويبرز الجانب الغريزي، فالقيم الاجتماعية الايجابية لهذه الطبقة لا تنهض إلا من خلال اعتدال قوة الشهوة، وهذه القيم هي الشرف، والعفة، والنجابة، والنزاهة في حين تظهر القيم السلبية من إفراط قوة الشهوة كقيم الجشع، والطمع والشره، حب المال، والثروة، والانغماس في الجريمة والرذيلة والانحراف، ومن تفريطها تظهر قيم الكسل، والتواكل والتبلد[3]. علما بان القيم الايجابية تسهم في زيادة الإنتاج المادي وتلبية حاجات المجتمع الأساسية، في حين تسبب القيم السلبية الفوضى والتمزق

---

[1] الحديثي، سعد خميس، الفلسفة السياسية عند الغزالي، مصدر سابق، ص١٧٠.

[2] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٥٤.

[3] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص٢٦٦.

الاجتماعي والاقتصادي[1].نستنتج من ذلك أن البنية الطبقية عند الغزالي تستند إلى النفس البشرية التي تعمل على تشكيل دعائم البناء الاجتماعي وإشباع حاجات المجتمع، وهنا يربط الغزالي بين الطبقية وبين تقسيم العمل.إذ أن الحاجات تتحقق من خلال التخصص وتقسيم العمل[2]. فضلا عن ذلك نجد انه لا يقيم حواجز قوية ومنيعة بين الطبقات كما فعل أفلاطون الذي يرى في الانتقال تغييرا في الوظيفة العضوية الطبيعية المتسمة بالجمود والتقوقع، فالغزالي يعتقد أن انعدام الحواجز بين الطبقات يعود إلى وجود عامل المنافسة بين الأفراد الناجمة عن اختلاف القابليات العقلية والذكائية[3]. ويبدو أن تأثره بالإسلام هو السبب الذي دفعه إلى تأكيد الانتقال بين الطبقات .

إلى جانب ذلك يرى الغزالي أن الوسط العدل بين قوى النفس الثلاث المارة الذكر هو السبيل الاقوم للسلوك الاجتماعي الايجابي الذي تمارسه الطبقات الثلاث، وان أي خروج عنه سواء بالإفراط أو بالتفريط يقود إلى اعتماد السلوك السلبي الذي يعني الانحراف عن الدين الإسلامي وعن قيم المجتمع[4] .فالوسط إذن ميزان عدل تتكامل به قوى النفس التي يمثلها الوسط، أما الابتعاد عنه فيقود إلى اعتماد القيم السلبية التي تمثلها الأطراف[5].

---

[1] المصدر السابق، ص٢١٣.

[2] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٢٦.

[3] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص١٩٨.

[4] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٣٢٤.

[5] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص٢٣٤.

المبحث الثالث : العوامل الموضوعية والذاتية لتحديد الانتماءات الطبقية عند الإمام الغزالي

تعد العوامل الموضوعية مقاييس ثانوية للطبقات الاجتماعية بالنسبة للعمل الأساس. إذ لا يمكن النظر إليها بمفردها في معرفة طبقة الفرد الاجتماعية من دون دراسة المقاييس الذاتية، ويصح القول هنا أن ذلك المجتمع قد اعترف بمراتب اجتماعية كان بعضها مفتوحا على بعض[١]. إذ لا يستطيع القلة أن ينتقلوا من مرتبة إلى أخرى تبعا لعوامل موضوعية كالحرفة والثقافة والدخل والملابس والسلوك، فضلا عن العوامل الذاتية المتمثلة بالأفكار والمواقف والاتجاهات[٢]. و تنقسم العوامل المحددة للانتماءات الطبقية إلى:

ا-العوامل الموضوعية:

ويمكن حصرها بالنقاط الآتية:

١ـ المهنة:

المهنة هي مجموعة النشاطات والواجبات التي يمارسها الفرد ويقدمها للمجتمع لقاء أجر وراتب معين[٣]. و يعد حصوله على الراتب أو الأجر يحصل على كمية معينة من الشرف والتقدير الاجتماعي الذي يحدد طبقته الاجتماعية. ولما كانت المهن خاضعة لنظام تقسيم العمل، لذا فهي تتسم بالاختلاف و التمايز، فيظهر المجتمع مهن متفاوتة بدرجاتها المهنية والاجتماعية[٤]. فالمهن هي التي تقرر درجات الاحترام و التقدير التي يحصل عليها أصحابها، وهناك لابد أن نربط بين المهنة والمركز الاجتماعي، فالمهن التي تعتمد المؤهلات العلمية تختلف عن المهن التي تعتمد على المهارات والقابليات العضلية[٥]. فإذا كان الفرد يحمل المؤهلات العلمية والمهارات القتالية فانه يستطيع إشغال المهن العالية وهنا يقول الغزالي "ان

---

[١] إدريس، محمد (د)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الاول، المصدر السابق، ص٢٣٩.

[٢] حسنين، عبد المنعم (د)، دولة السلاجقة، مصدر سابق، ص١٧٠-١٧٣.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع: دراسة نظامية، جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٥، ص٢٣٢.

[٤] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٨٠.

[٥] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص٣٣٢-٣٣٣.

الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص، أما بعلم أو ولاية أو قوة في دين ... فان هذه الأوصاف تعظم محله في قلوب الناس"[1]. وهكذا يرى الغزالي أن الأعمال العقلية والقتالية تعلو من حيث الأهمية على الأعمال اليدوية والإنتاجية، فالنفوذ(الجاه) الذي يتمتع به السلطان أو رجل الدين أو المقاتل ينطوي على الشرف والاعتبار الاجتماعي[2]. فالمجتمع كما يرى الغزالي هو الذي يمنح الفرد الاعتبار اعتمادا على مهنته.

٢ـ الثقافة والتعليم:

لقد عرف عصر الغزالي إقبال الناس على التعليم لاسيما العوائل الفقيرة التي تاقت إلى احتلال مراكز اجتماعية مرموقة عن طريق العلم والمعرفة، ولا شك أن السبب في ذلك يعود إلى انتشار حلقات التدريس وامتلاء المساجد بالمتعلمين، والأكثر من ذلك استخدام نظام الملك الوزير السلجوقي المدارس النظامية لتخريج دفعات بعد دفعات من المشايخ[3]، وكان غرضه سياسيا – دينيا ولم يخطر في باله أن بالتقاط فكرة بناء المدارس من قبل الدولة والتدخل في تعيين مدرسيها ثم في اصطناع خريجيها إنما كان يحدث انقلابا في الثقافة العربية الإسلامية. إذ كان الجو الثقافي السياسي كأنه متلهف لمثل هذه الوسيلة، لذا انخرط أفراد من ذوي الطبقات الفقيرة في هذه المدارس من اجل اكتساب العلم، وبدأ اغلب الناس يثمنون العلم والدراسة[4]. ويبدو أن السبب في انتشار المدارس والمساجد يعود إلى تعقد الحياة وتشعبها نتيجة زيادة السكان، الزيادة التي فرضت على الأفراد التنافس فيما بينهم من اجل نيل الوظائف المهمة في المجتمع التي لا تتم إلا من خلال الحصول على الاعتراف العلمي (الشهادة) الذي يؤهلهم لتبوء تلك الوظائف، وبعد أدائهم لها

[1] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٧٩.

[2] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص٢٢٦.

[3] مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، مصدر سابق، ص٢٦٠.

[4] المصدر السابق، ص٧٠٥ـ٧٠٦.

يتقاضون راتبا ويحصلون على درجة من الاحترام من قبل أفراد المجتمع[١]. فالثقافة والعلم إذن تحدد المكانة الاجتماعية للفرد أيضا.

٣-الدخل:

هي مقدار الأموال التي يحصل عليها الفرد بعد قيامه ببعض الجهود العقلية أو العضلية أو بعد امتلاكه الأموال التي يحصل عليها نتيجة جهوده وأتعابه ومقدار المكانة التي يحصل عليها تعتمد على طبقة ومنزلة حرفته، وهذه تعتمد على الثقافة التي يكتسبها من بيئته الاجتماعية[٢]. يعتقد الغزالي بان الدخل الذي يحصل عليه الفرد يأتي أما عن طريق جهوده وأتعابه العضلية[٣]، أو عن طريق الحرفة الحساسة المعتمدة على القابليات الذكائية العالية[٤]،أي أن الثروة تعتمد على الانجاز لا على الاكتساب، بان يرث الفرد عن عائلته الغنية الثروة والمال[٥]، فهو يعتقد أن المال يدفع الأذى والضرر عن الفرد. زد على ذلك أن المال يحيطه بالتقدير والاحترام والمكانة الاجتماعية المرموقة مما يقيه خطر المهانة والخضوع للآخرين، فالفرد لا يحب المال لذاته بل لارتباطه بالشرف والمكانة والاحترام[٦]، فالفرد الذي يحصل على المال القليل تكون حرفته هامشية وبالتالي لا يستطيع إشغال مكانة اجتماعية عالية وتحقيق نفوذ اجتماعي(جاه)[٧]. أما الفرد الذي يحصل على المال الكثير فان مهنته تكون عالية، ومكانته الاجتماعية مرتفعة، فالمال الزائد عن الحاجة هو وسيلة لضمان النفوذ الاجتماعي (الجاه) الذي هو وسيلة من الوسائل التي يملك بها الفرد حب وتقدير أفراد المجتمع (قلوب الآخرين)[٨]. وهكذا فان الدخل (المال) يسهم في تحديد السمعة والنفوذ الاجتماعي للفرد.

---

[١] إدريس، محمد (د)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٦٣.
[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، والعطية، فوزية (د)، الطبقية الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص١٠٣
[٣] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٢٩.
[٤] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص١٨٤.
[٥] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٣٦٦.
[٦] المصدر السابق، ج٤، ص١٠٤.
[٧] المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٨.
[8] Othman, Ali Issa, The Concept of man in Writings of Al-Ghazali, Op. Cit. p. 182.

٤- السلوك الاجتماعي:

لقد حدد الغزالي سلوك الطبقات الاجتماعية من خلال ملاحظة تصرفات وأخلاق تلك الطبقات. ذلك أن الشخصية المثالية للطبقة تتجسد بالحركات والسكنات كإظهار السمن ، وصفاء اللون، وحسن الوجه، واعتدال القامة[١]. كما أن لهذه الشخصية طريقة معينة في الكلام، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس وإظهار الغضب للمنكرات والأسف على مقارفة الناس للمعاصي، وتضعيف الصوت في الكلام، والتبختر والاختيال وتحريك اليدين، والأخذ بإطراف الذيل، وإدارة العطفين لتدل بذلك على الجاه وعلو المكانة[٢].

٥- الملابس والزي الخارجي:

الملابس هي الثياب والألبسة التي يرتديها الفرد في حياته اليومية والتي تعطيه مظهرا خارجيا معينا، وطبيعة وشكل الثياب يعتمد على طبقة الفرد الاجتماعية، فالطبقة العليا ترتدي الملابس الغالية والجميلة والمزركشة[٣].

أما الطبقة الدنيا فترتدي الثياب الخشنة والغليظة التي تتسم بالبساطة[٤]. والملاحظ أن الغزالي أشار إلى عامل التقليد الاجتماعي (الرياء) الذي كان يزاوله بعض أبناء الطبقات الدنيا في تقليد ملابس أبناء الطبقات العليا المشار إليها أنفا[٥]. إذن هناك علاقة منطقية وسببية بين الملابس والزي الخارجي وطبقة الفرد الاجتماعية.

ب – العوامل الذاتية التي تحدد الفروق الطبقية:

نعني بالعوامل الذاتية الصفات النفسية التي تميز الطبقات الاجتماعية في المجتمع وهذه الطبقات تعبر عن مبادئ ومفاهيم وقيم أبناء الطبقة الاجتماعية[٦]. وللتعرف على هذه الصفات لابد من ملاحظة سلوك وعلاقات أعضاء الطبقة،

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٩٨.

[٢] المصدر السابق، ص٢٩٩.

[٣] المصدر السابق.

[٤] إدريس، محمد (د)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٤٢.

[٥] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٩٨.

[٦] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٢٣٧.

فالصفات النفسية للطبقات المختلفة ترجع إلى نوعين من العوامل، عوامل فطرية ، وعوامل بيئية وما تنطوي عليه البيئة من تأثيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية يتلقاها الفرد من بيئته الاجتماعية[١].

يرى الغزالي أن الآراء والأفكار التي يؤمن بها الفرد تولد عنده شعوراً على أن يكون هذا الشعور راسخا في النفس مما يدفع الفرد إلى السلوك باتجاه معين يتوافق مع تلك الآراء والأفكار[٢]، لذا يرى أن آراء وشعور وممارسات الطبقة العليا تختلف عن آراء وشعور وممارسات الطبقة الدنيا حول الثقافة. إذ أن لأبناء الطبقة العليا حاجات نفسية تدفعها للحصول على التربية والثقافة من اجل زيادة معلوماتهم[٣]. كما يحرص أبناء هذه الطبقة على اقتناء كل ما حولهم بما في ذلك القصور الفخمة التي تهيئ أجواء هادئة للمطالعة فيها[٤].أما أبناء الطبقة الدنيا فلم يكن لدى أكثرهم اكتراث بالعلم والدراسة بل كانوا ينصرفون نحو العمل اليدوي منذ وقت مبكر بسبب عدم حرصهم على السمعة الاجتماعية والمكانة الناجمة عن العلم والثقافة[٥]، وهنا يقول الغزالي "ولولا التفاوت بين الناس لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم، والى ذكي يفهم"[٦]. مع ذلك لا ينكر الغزالي اثر التنشئة الاجتماعية واكتساب العلوم[٧].

إذن الآراء والميول والاتجاهات التي يعتقد بها الفرد ما هي إلا نتاج الفعل ورد الفعل بين حياة الفرد وبيئته الاجتماعية، فالغزالي يؤمن بخاصية التفاعل هذه[٨].

المبحث الرابع: ظاهرة الانتقال الاجتماعي عند الغزالي

---

[١] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٢٠٦.

[٢] المصدر السابق، ص٣١٧.

[٣] العثمان،عبد الكريم،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مصدر سابق، ص٧٤. مصدر سابق، ص٢١٣.

[4] Othman, Ali, The Concept of man in Islam, Op. Cit., p. 166.

[٥] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٢٨.

[٦] المصدر السابق، ج١، ص٨٨.

[٧] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص١٢٦.

[٨] المصدر السابق، ص٣٤١.

لقد شهد القرن الخامس الهجري اتساعا في المساحة السكانية. إذ دخلت في إطار المجتمع شعوب وأمم أصبح الرابط فيما بينها أخوة الدين، فقد ظلت جموع الترك تتدفق في هذا القرن على مابين خراسان وجنوبي الشام، وتنزل المدن وتختلط بسكانها، وهكذا تغيرت لأول مرة التركيبة السكانية لمدن الشرق واهتز كيانها بدخول مجتمع جديد ذي لغة وعادات وحياة اجتماعية مختلفة[١].

الجدير بالذكر أن اتساع قاعدة المجتمع واحتواؤه على العديد من الأمم والشعوب قد أدى إلى وجود نظام تقسيم العمل الذي خلق سلم طبقي هيأ المنافسة بين الأفراد بسبب اختلاف قابلياتهم الذكائية والعقلية، مما قاد بالتالي إلى الانتقال بين الطبقات الذي يعني ارتفاع الأفراد وانخفاضهم بالنسبة إلى طبقاتهم الأصلية كحركة ابن الفلاح أو ابن الحائك باعتباره يقع ضمن الطبقة الدنيا إلى الطبقة المتوسطة أو العليا في حالة تحقيق بعض الانجازات العلمية[٢]. وهذا ما حدث مع الإمام الغزالي. إذ كان والده غزالا للصوف في طوس إلا انه مع ذلك جد واجتهد في طلب العلم حتى أصبح فيما بعد إمام العراق وأستاذ النظامية في بغداد[٣]، فتحول من الطبقة الدنيا إلى الطبقة العليا[٤]. أو حركة ابن الطبقة العليا أو المتوسطة إلى الطبقة الدنيا بعد فشله الدراسي أو إخفاقه في العمل[٥]. فعملية الانتقال الاجتماعي هي العملية التي ينتقل فيها الأفراد من مركز اجتماعي إلى آخر، أو من طبقة اجتماعية إلى أخرى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن نظام الطبقات الاجتماعية المستند إلى تقسيم العمل، يمكن أن يكون على شكل هرم تتوزع عليه درجات المنزلة والسمعة الاجتماعية التي تنطبق مع المراكز الوظيفية الموجودة فيه. إذ تقع مراكز القيادة والوظائف الحساسة في قمة الهرم[٦]. بينما تقع المراكز المتوسطة التي تحتاج إلى مؤهلات علمية أو

---

[١] مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، مصدر سابق، ص١٥.

[٢] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٢، مصدر سابق، ص٢٤٨.

[٣] المصدر السابق، ج١، المقدمة، ترجمة حياة الغزالي.

[٤] المصدر السابق.

[٥] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص١٨٤.

[٦] المصدر السابق، ص١٨٧.

مهنية أو تدريبية تحت الوظائف القيادية. أما الوظائف التي لا تحتاج إلى دراسة وخبرة ودراية فكرية فإنها تقع في قاعدة الهرم[١].

أن الانتقال الاجتماعي الرأسي الذي تحدث عنه الغزالي يحتم على الأفراد الارتفاع أو الانخفاض بالنسبة لطبقاتهم الاجتماعية الأصلية، فهناك أبناء ملوك وسلاطين أصبحوا رعية، وأبناء أغنياء أصبحوا فقراء، كما أن هناك أبناء فقراء أصبحوا على جانب من الغنى، وأبناء رعية صار لهم السلطان[٢]، فالإنسان لابد أن يجد ويجتهد في هذه الحياة من اجل التطلع إلى حياة أفضل في المجالات المختلفة علمية كانت أم سياسية أم ثقافية، ومن اجل هذا كانت المنافسة، فمن المنافسة البغيضة أن يحاول الإنسان الإطاحة بأخيه واحتلال مركزه ومكانته الاجتماعية[٣]، وهناك المنافسة الشريفة التي أكد عليها الغزالي من اجل النهوض بالعمل والإبداع ولابتكار الفكري[٤]، وعلى هذا نرى الغزالي يؤمن بالطبقية التي تأتي بجد وكدح عن طريق (الانجاز) ويحارب الطبقة التي تأتي عفوا دون تعب بان تقف بوجه المجد وتبقيه في طبقة اقل مما يستحق، أو تعطي المهمل مكانة لا يسمو لها، فليست هناك مكانة بسبب المال أو الأسرة عن طريق (الاكتساب)[٥]. وإنما مكانة الفرد هي التي يعمل لها ويصل لها بجهده. وعلى ذلك يقول الغزالي في الفرد الذي لا يجد في عمله ويعتمد على الآخرين "فالركون إلى الدعة أولى بي والقناعة بالاعتقاد الموروث من الإباء اسلم لي من أن اركب متن الخطر ولست أثق بنيل قاصية الوطر، فيقال في مثالك أن خطر هذا ببالك ما أنت إلا كانسان لاحظ رتبة سلطان الزمان وما ساعده من الشوكة، والعدة ، والنجدة، الثروة، والأشياع، والأتباع، والأمر المتبع المطاع واستبعد أن ينال رتبته أو يقارب درجته ولكن اقتدر أن ينال رتبة الوزارة، أو رتبة الرئاسة، أو منزلة أخرى دونها. فقال الصواب لي بعد العجز عن الغاية القصوى التي

---

[١] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص٢٢٧.

[٢] شلبي،احمد(د)،موسوعة النظم والحضارة الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٢، ١٩٧٣، ص٢٧٢.

[٣] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص١٩٠.

[٤] المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥.

[٥] الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، مصدر سابق، ص٢٩٨.

هي درجة سلطان الدنيا أن اقنع بصناعة الكنس التي هي صناعة آبائي. فالكناس ليس يعجز عن خبز يتناوله وثوب يستره"[1]. نستنتج من هذا النص أن الغزالي يرفض الدعة والتراخي والقعود ويحث الأفراد على المثابرة ، والعمل ، والجد ، والتشمير عن الساعد ، وهذا ما أكد عليه الإسلام عندما يشجع الأفراد على المثابرة والكد لتحسين أحوالهم وأحوال مجتمعهم ، فابن التاجر أو الصانع أو الفلاح يستطيع الانتقال من طبقة إلى طبقة أعلى إذا كان مجتهدا ، وابن الحاكم أو رجل الدين يمكن أن ينخفض طبقيا إذا فشل في الحفاظ على مكانته الاجتماعية المكتسبة بين طبقات المجتمع ، لذا يرى الغزالي "أن الخسيس القاصر النظر لو انعم الفكر ،وتأمل واعتبر وعلم أن بين درجة الكناس والسلطان منازل فلا كل رتبة الخساسة . فما يرتقي إليه بالإضافة إلى ما يرتقي عنه قياسه. وهكذا ينبغي أن تعتقد درجات السعادة بين العلماء . فما منا إلا وله مقام معلوم لا يتعداه وطور محدود لا يتخطاه ، ولكن ينبغي أن يتشوف إلى أقصى مرقاه"[2].

الجدير بالذكر أن عدد الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة، و الوظائف العالية التي تحتاج إلى الدراسة والانجاز يكون قليلا بالنسبة لعدد الأشخاص الذين يشغلون الأعمال التي لا تحتاج إلى دراسة طويلة [3] وان السبب في ذلك يعود كما يؤكد الغزالي إلى الأخطار والمصاعب التي تقف حائلا إمام الأفراد الذين يرومون الوصول إلى المراكز العالية . فالمنازل الرفيعة لا تترك إلا باقتحام الأخطار واتخاذ السبل الموصلة إليها بعد بذل الجهود ، ولا يأتي ذلك إلا لذوي العزائم القوية ، وعلى ذلك فالمنازل الرفيعة لا تنال بسهولة ويسر ، اذ يقول الغزالي "واعتبر هذا الملك بالملك الدنيا فانه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه ، ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب " [4].

---

[1] الغزالي، أبو حامد، معيار العلم، مصدر سابق، ص٣٤.

[2] المصدر السابق، ص٣٥.

[3] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، مصدر سابق، ص٤٥.

[4] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، مصدر سابق، ص٢٤٧.

نافلة القول أن الانتقال الاجتماعي كما يراه الغزالي يحصل نتيجة زيادة السكان (التزاحم) وتعقد الحياة الاجتماعية [1] . ثم أن هذه الزيادة تنتج نظام الطبقات الاجتماعية المستند إلى تقسيم العمل . إذ أن هذه الطبقات ممكن أن تكون هرما تتوزع عليه المراكز الاجتماعية العالية والمتوسطة والواطئة ، والوصول إلى مكانة عالية قد يكون عن طريق الانجاز أو عن طريق الانتساب . أما الانخفاض إلى الطبقة الواطئة فيحصل نتيجة فشل الفرد في الوصول إلى مراكز السلطة أو عدم المحافظة على مركزه الاجتماعي العالي.

[1] المصدر السابق، ص١١٩.

المبحث الخامس : أسباب ونتائج الانتقال الاجتماعى فى فكر الغزالى

يرجع الانتقال الاجتماعي عادة في كل العصور والعهود السياسية والاجتماعية إلى عاملين أساسين هما :

١- زيادة الطلب على العاملين والمنتجين والمهنيين . وذلك بعد تغير مهن ومؤسسات المجتمع ، والتغير الذي يتطلب أيدي عاملة لم تكن معروفة في المجتمع سابقا . وقد ساعد ازدياد السكان على خلق مجموعة كبيرة من الحاجات . غير أن تلبية هذه الحاجات إنما يتحدد بوجود المؤسسات أو النظم المسؤولة عن تقديم الخدمات الاجتماعية التي تشبعها ، وهذه المؤسسات تتطلب هي الأخرى وجود أفراد يمتلكون مؤهلات وخبرات مهنية كالبنائين، والحدادين، والنجارين، والتجار، والفلاحين. كما تتطلب وجود أفراد يمتلكون كفاءات ومهارات وقابليات علمية عالية كالعلماء، والحكام، والقادة، والوزراء، وموظفي الدوائر الكبار. و كلما تطور المجتمع زادت حاجاته الأساسية المطلوب إشباعها، وتستمر في الزيادة ما دام المجتمع مستمرا في التطور لهذا يقول الغزالي "فان أمر الدنيا لا يفتح منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أخرى"[١]. وهكذا يؤدي التغير في المجتمع إلى انتقال الأفراد اجتماعيا من طبقاتهم الأصلية إلى طبقات جديدة بسبب هذا التغير .

٢- التغير في العرض للأشخاص الذين يعرضون خدماتهم ومهاراتهم للمجتمع ، فعندما لا يستطيع الأفراد الاستمرار في تقديم هذه الخدمات وان المجتمع يحتاجها حاجة ماسة فان أشخاصا آخرين سوف يأتون من مصادر مختلفة لإشغال هذه المراكز . علما بان تغير الأشخاص الذين يعرضون الخدمات يكون أما بسبب الموت أو الهرم كما هو الحال في طبيعة الأعمال المهنية كالتجارة والفلاحة والصناعة . وهنا يقول الغزالي "فطائفة غلبهم الجهل والغفلة ... فقالوا المقصود أن نعيش أيامنا في الدنيا ، فنجتهد حتى نكسب القوت ... وهذا هو مذهب الفلاحين والمحترفين . ومن ليس له قدم في الدين ، فانه يتعب نهارا

---

[١] المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٦.

ليأكل ليلا ، وذلك كسير السواني(*) فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت "[1]. أو يكون تغير الأشخاص الذين يعرضون الخدمات بالمنافسة والصراع كما هو الحال في الأعمال العقلية كالخلافة ، الوزارة ، والفقه ، نظرا لوجود أشخاص يحاولون الحصول على هذه الأعمال من خلال الإطاحة بأصحابها . وهنا يقول الغزالي "أن الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها " [2]. وان السبب في ذلك كما يرى الغزالي هو "المحاسدات واصلها العداوة واصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد. والغرض لا يجمع متباعدين ، بل متناسبين" [3]. وهكذا يتنافس الجميع من اجل تبوء المراكز الاجتماعية العالية . ذلك ان تغير الأشخاص الذين يعرضون الخدمات يؤدي إلى احتلال أفراد آخرين إلى هذه المراكز . وهذا يسبب انتقال الأفراد اجتماعيا إلى مركز اجتماعي جديد .

ولم يكتف الغزالي بالبحث والدراسة عن أسباب الانتقال الاجتماعي بل ذهب إلى ابعد من ذلك . إذ تطرق إلى نتائج الانتقال الاجتماعي . وقد برزت في فكره فيما يتعلق في نتائج الانتقال الاجتماعي نتيجة واحدة هي انتقال الفرد من الطبقة العليا إلى الطبقة الدنيا نظرا لفقدانه الملك والجاه . وعند انتقاله يصطدم بمشاكل التكيف الاجتماعي الذي يدفعه إلى تقليد سلوك أبناء الطبقة الدنيا ، أو ارتداء ملابسهم ، أو التحلي بقيمهم وهنا يؤكد الغزالي "أن من ألف الجاه والملك وانس به ، ورسخت فيه بالعادة لا يكفيه في العلاج مجرد العلم بل لابد أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشهد أسباب فيعسر عليه الصبر مع الأسباب. وان يكلف نفسه أفعال تخالف ما اعتاده"[4]. ولما كان الفرد عضوا في الطبقة العليا قبل انخفاضه فان صفاته الأصلية تمنعه من التكيف للطبقة الدنيا . وبناء على ذلك يرى الغزالي أن على الفرد المنخفض اجتماعيا من طبقته الأصلية أن يكلف نفسه أفعالا تخالف ما اعتاده وان يرعى في ذلك

---

* السواني: النوق، والسانية : الناقة، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٩، مصدر سابق، ص١٣٩.

[1] الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٤، مصدر سابق، ص٢٢٨.

[2] المصدر السابق، ص٣٢٦.

[3] المصدر السابق، ص١٩٥.

[4] المصدر السابق، ج٤، ص٧٩.

التدريج فلا ينتقل دفعة واحدة من سلوك وأفعال الطبقة العليا إلى سلوك وأفعال الطبقة الدنيا لان "الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه وسلوكه إلا بالتدريج" [١]. فضلا عن ذلك أن الانحدار الاجتماعي الذي يتعرض له الفرد إنما ينطوي على القلق والاضطراب والحزن والتوتر. إذ أن كثيرا من هذه الحالات تصل بصاحبها إلى حد الجنون . إلا أن وجود الصبر وكضم الغيظ كما يؤكد الغزالي لا يرفع عن الإنسان حزنه وألمه، لكنه مع ذلك لا يفقد الثقة بالله سبحانه وتعالى [٢]، ورأيه هذا يسبق رأي عالم الاجتماع الفرنسي (اميل دوركهايم) الذي يعتقد أن نتائج الانتقال الاجتماعي تؤدي بأفراد المجتمع إلى الانتحار أو تسبب وقوعهم في الأمراض العقلية[٣]. بل أن الغزالي يضيف إلى رأي دوركهايم في هذه المسالة رأيا مفاده أن التمسك بالدين لا سيما الدين الإسلامي كفيل بتخفيف حاله الحزن والقلق والتوتر التي تقود الفرد إلى الانتحار نتيجة فشله أو انحداره الطبقي من طبقة عليا إلى طبقة سفلى .

---

[١] المصدر السابق، ص٨٠.

[٢] المصدر السابق، ص٧٦.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع: دراسة نظامية، مصدر سايق، ص٢٤٩.

الفصل العاشر

مقارنة الفكر الاجتماعي عند الامام الغزالي بالفكر الاجتماعي عند علماء الاجتماع الأوربيين

تمهيد

المبحث الأول:الفكر الاجتماعي عند فردريك هيجل

المبحث الثاني: الفكر الاجتماعي عند اوكست كونت

المبحث الثالث : الفكر الاجتماعي عند هربرت سبنسر

المبحث الرابع: الفكر الاجتماعي عند اميل دوركهايم

المبحث الخامس: الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي

المبحث السادس : مناقشة الفكر الاجتماعي عند الغزالي في ضوء الفكر الاجتماعي عند كل من هيجل وكونت وسبنسر ودوركهايم

تمهيد

في الفصل التاسع من هذه الدراسة أفكار و آراء علماء الاجتماع الأوربيين لاسيما فردريك هيجل ، واوكست كونت، وهربرت سبنسر، واميل دوركهايم، الذين جاؤا بعد الإمام الغزالي بسبعة أو ثمانية قرون ، وفي دراسة كل من هؤلاء ركز الباحث على ثلاثة محاور أساسية هي أصل نشوء المجتمع و تقسيم المجتمعات، والتربية الاجتماعية. غير أن الأفكار و الطروحات الاجتماعية المتعلقة بهذه المحاور الثلاثة التي جاء بها علماء الاجتماع المذكورون أعلاه قد سبقهم الإمام الغزالي في طرحها و تحليلها .

و يوضح الباحث في هذا الفصل أهم الأفكار الاجتماعية لعلماء الاجتماع الغربيين في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين الميلادي و مقارنتها بأفكار و آراء الغزالي في القرن الحادي عشر الميلادي . كما يوضح أوجه الشبه و الاختلاف بين آراء المفكرين الاجتماعيين الأوربيين و آراء الغزالي .

ينطوي هذا الفصل على أربعة مباحث أساسية ، المبحث الأول : الفكر الاجتماعي عند هيجل و مقارنته بالفكر الاجتماعي عند الغزالي ، والمبحث الثاني الفكر الاجتماعي عند اوكست كونت و مقارنته بفكر الغزالي، والمبحث الثالث : الفكر الاجتماعي عند سبنسر ومقارنته بفكر الغزالي. وأخير يتناول المبحث الرابع الفكر الاجتماعي عند دوركهايم و مقارنته بفكر الغزالي الاجتماعي

علينا دراسة هذه المباحث بشيء من التفصيل و التحليل .

المبحث الأول : الفكر الاجتماعى عند فريد ريك هيجل (١٧٧٠-١٨٣١ م)

يتصدى المبحث الأول من هذا الفصل إلى الآراء الاجتماعية عند هيجل في ثلاث محاور اجتماعية هي أصل نشوء المجتمع، وتقسيم المجتمعات،و التربية الاجتماعية، وبعد الانتهاء من عرضها، سيحاول الباحث مقارنتها بآراء الغزالي في نهاية الفصل . و المحاور الثلاثة هي:

أ- أصل نشوء المجتمع عند هيجل :

ب- يعتقد هيجل بان المجتمع كائن حيواني لا يتسم بالجمود و الثبات والاستقرار بل يتسم بالديناميكية و التحول و التغير [١]. وسبب نشوء المجتمع يعود إلى عاطفة الحب. إذ ان هذه العاطفة دفعت كل من الرجل والمرأة إلى الزواج وبالتالي تكوين الأسرة . وبمرور الزمن ازداد عدد الأسر فظهر النزاع بينهما ، و النزاع قائم على الإرث، والملكية، والوظائف والأعمال. فظهرت الدولة لتحل هذا النزاع حلا عادلا يقود إلى الاستقرار و التنمية والنهوض . والدولة لم تكتف بحل النزاع بين الأفراد وإعلان النظام والسلام في ربوع المجتمع فحسب بل ذهبت إلى ابعد من ذلك، إذ أنها أخذت تقدم الخدمات و الأنشطة المختلفة التي تخدم مصالح الأفراد و تحقق أهدافهم و تودي بهم إلى الاستقرار و الطمأنينة و السلام [٢].

ج- تقسيم المجتمعات عند هيجل :

يقسم هيجل المجتمعات إلى ثلاثة أقسام استنادا إلى طبيعة النظام السياسي السائد فيها ، فهنالك المجتمعات القبلية أو العشائرية ، والتي ليس فيها حكومة مركزية . بل فيها مركز قبلي أو عشائري يتخذ القرارات لتحسين أمور العشيرة ، أو القبيلة ، أو حل المشكلات والنزاعات التي قد تظهر بين أفرادها ، وهناك المجتمعات الملكية المطلقة [٣]. إذ بعد ازدياد سكان العشائر والقبائل تتحد هذه فيما بينها مكونة كيانا اجتماعيا وسياسيا كبيرا يترأسه ملك يمارس صلاحياته السياسية وغير السياسية بصورة مطلقة وان مكانته

---

[1] Hegel, W.F. Lectures on the History of Philosophy, Vol. 2, London, 1964, pp. 20-21
[2] Ibid, p. 203.
[3] Ibid, p. .

تعلو على مكانة الأفراد. إذ لا يتاح المجال لهم بالمشاركة السياسية، أي المشاركة باتخاذ قرار ينظم شؤون الدولة، ويزيل التعسف والغبن عن أفرادها[١]. فيبدأ أبناء المجتمع الذين يقودهم الملك المستبد أو الملك الذي يحكم حكما مطلقا بالتذمر وربما الثورة والعصيان مما يفرض ذلك على النظام الملكي الحاكم التحول من نظام ملكي مطلق إلى نظام ملكي دستوري. إذ أن السلطة المطلقة تنتقل من الحاكم (الملك) المستبد إلى الشعب وفي هذه الحالة ينتقل المجتمع إلى طور الملكية الدستورية. إذن المجتمعات عند هيجل تقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- مجتمع القبيلة أو العشيرة.

ب- المجتمع الملكي المستبد أو الملكية المطلقة.

ج- المجتمع الملكي الدستوري أو الملكية النيابية.

ولكل مجتمع من هذه المجتمعات مواصفاته الخاصة. أما سبب الانتقال من طور إلى آخر فيرجع إلى طبيعة النظام السياسي[٢].

ج – التربية الاجتماعية عند هيجل:

يعتقد هيجل بان الفرد في المجتمع يجب أن يخضع إلى النظام التربوي الذي يدعم النظام الاجتماعي القائم. هذا النظام الذي يحكمه الملك بموجب أصول أو تعاليم التفويض الإلهي[٣]. فالدولة هي التي تربي الأبناء في مدارسها، وان التربية التي تنتهجها مدارس الدولة تعلم الأبناء طاعة الدولة واحترامها وتقديسها، بعدها المؤسسة السياسية التي تحتل المركز الوسيط بين الشعب والله سبحانه وتعالى. فالملك الذي يحكم الشعب هو حلقة الوصل بين الله والشعب وان تعاليمه يستمدها من الله ويعطيها إلى الشعب، وبعض هذه التعليمات تربوية، أي كيف تربي مدارس الدولة الأبناء ؟[٤]. إنها تربيهم حسب قول هيجل وفقا للإرادة الإلهية التي يستمدها الملك من الله سبحانه وتعالى. والنظام التربوي بنظر هيجل يركز على ستة مبادئ أساسية:

---

1 Ibid, p. 216.
2 Ibid, p. 131.
3 Hegel, W.F. The Philosophy of Right, New York, 1959, p.22.
4 Ibid, p. 24.

١. إن الدولة تعلو على الفرد وان الفرد لا يمكن أن يعلو عليها وان الشيء الذي يستطيع أن يعمله هو الخضوع والاستسلام لإرادتها، ومثل هذه المعلومة يجب أن يطبع عليها الفرد منذ بداية حياته أي أنها تعطى له عبر النظام التربوي.

٢. المدرسة يجب أن تكون متشددة مع الطالب في تعليمه المعلومات اللغوية والدينية، والأخلاقية، والقيمية لان هذه المعلومات تشكل جوهر المجتمع والفرد لذا يجب أن يتعلمها منذ الصغر.

٣. في التربية نظام الثواب والعقاب. هذا النظام الذي يسرع عملية التعلم واكتساب الخبرات والمهارات عند الأبناء.

٤. على نظام التربية أن يفرض على الطالب الصغير اكتساب العادات، والتقاليد، والدين، والفلسفة، والأخلاق وفقا لما يريده المجتمع وما تريده الدولة وليس وفق أمزجة ورغبات وميول واتجاهات الفرد لان هذا يفسد النظام التربوي ويسيء إليه[١].

٥. على النظام التربوي أن يعلم المتعلم احترام وتقدير وإطاعة الملك والله لان الملك يعد مصدر السلطة الدنيوية والله مصدر السلطة الأخروية. والمواطن الناجح في حياته هو الذي يحترم السلطتين الدنيوية والأخروية لان كلا السلطتين مكملتان الواحدة للأخرى ولا يمكن الفصل بينهما[٢].

٦. النظام التربوي الذي تتبناه الدولة بعدها وعي الروح وأساس التقدم والحرية في المجتمع يجب أن لا يركز على تعليم الناشئة القيم، والأخلاق، والأديان، والفلسفات حسب بل يجب أن يعلمهم المعلومات الأساسية التي يحتاجها المجتمع كالقراءة والكتابة، والحساب، والجغرافية، والتاريخ، والكيمياء، والفيزياء وبقية علوم الحياة التي يحتاجها الفرد في حياته العلمية لاسيما بعد إنهائه فترة الدراسة النظامية في المدارس والمعاهد.

---

1 Ibid, p. 71.
2 Ibid, p. 73.

المبحث الثاني: الفكر الاجتماعي عند اوكست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧م)

يظهر موضوع الفكر الاجتماعي عند عالم الاجتماع الفرنسي اوكست كونت في ثلاثة محاور أساسية هي أصل نشوء المجتمع ، وتصنيف المجتمع ، والتربية الاجتماعية ، ولعل هذه المحاور الثلاثة تؤلف باكورة فكره ، وبعد ذلك يحاول الباحث أن يقارن هذه الآراء بآراء الغزالي في نهاية الفصل ، وهذه المحاور هي:

١- أصل نشوء المجتمع عند كونت :

يعتقد كونت بان ميل الفرد إلى الاجتماع من الضروريات الاجتماعية ، وهذا الميل الفطري مستقل عن الرغبات الفردية الخاصة ، والمجتمع ينشا تلقائيا ، لذا نراه يهاجم فكرة التعاقد الاجتماعي . كما يعتقد بان العامل الأساس لنشوء المجتمع هو نظام الزواج الذي عده استعدادا طبيعيا عاما [١]. وهذا الزواج الذي يؤدي إلى تكوين الأسرة التي تعد أول وحدة في البناء الجمعي وهو المجتمع ، وان من يعمل على تقويض نظام الزواج يعد بمثابة المقوض لنظام الأسرة الطبيعي ولنظام المجتمع[٢] لان الأسرة مصدر زيادة السكان ، ومصدر تنظيم الحياة الجنسية في المجتمع ، لذا فهي أساس الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والأخلاقية [٣]. لكنه يؤكد في مناقشته لعوامل التقدم على تزايد الكثافة السكانية التي تؤدي إلى تزايد اكبر في التخصص وتقسيم العمل ، الأمر الذي يترتب عليه اندفاع الناس لبذل الجهد لتامين وجودهم [٤].

وهكذا تحول كونت من دراسة الأسرة إلى دراسة تطور المجتمع الذي يخضع لقانون اسماه بقانون الحالات الثلاث . ويتلخص في أن المجتمع ينقسم إلى ثلاثة أقسام بناء على الأساس المعرفي أو العقلي. إذ يبدأ المجتمع اللاهوتي ، ومن ثم المجتمع الميتافيزيقي ، وينتهي أخيرا بالمجتمع المعرفي أو العقلي . ولكل قسم

---

[١] عبد الباقي زيدان(د)، ركائز علم الاجتماع،لا يوجد مكان طبع،القاهرة،١٩٧٣، ص٤٨.

[٢] عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي،نشأته و تطوره،دار غريب للطباعة،القاهرة،ط١، ١٩٨١، ص٣٢٠.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص١٣٠-١٣١.

[٤] المصدر السابق، ص١٣٦.

من أقسام المجتمع في تطوره إنما يشابه مرحلة مماثلة له في حياة الفرد ، وهنا يخرج بقانونه من نطاق التطور العقلي إلى تطور المجتمع بأسره[1].

٢- تقسيم المجتمعات عند كونت :

يقسم كونت مراحل المجتمع البشري إلى ثلاث هي مرحلة المجتمع اللاهوتي ، ومرحلة المجتمع الميتافيزيقي ، ومرحلة المجتمع الوضعي أو العلمي ، ويستند في تقسيمه هذا على عامل العقل والمعرفة لان الناس قد مروا خلال محاولاتهم المستمرة لفهم وتفسير العالم الذي يحيط بهم بثلاث حالات متتابعة [2] هي :

١- المجتمع اللاهوتي : يتميز هذا المجتمع بسيطرة رجال الدين على الحياة الاجتماعية والروحية ، وتتغلب على أفكار الناس في هذا المجتمع العواطف والانفعالات التي تجعلهم خائفين من قوة هائلة . كما يشعر الناس بضعفهم وعدم قدرتهم على التأثير . ولكن بعد مدة من الزمن يتحول المجتمع إلى مجتمع أرقى من السابق ذلك هو المجتمع الميتافيزيقي [3].

٢- المجتمع الميتافيزيقي : هو المجتمع الذي يسوده التفكير الموزون والبلاغة الفكرية التي تتسم بالطابع الفلسفي ، وسيطرة الأفكار المتعلقة بدراسة الكون والإنسان ، وتأثر هذا المجتمع بالفلسفة المثالية ، التي أوضحت الطريق الذي يجب أن يسير فيه المجتمع . إلا أن انتشار الثورة الصناعية أدت إلى تشعب وتعقد مجالات الحياة دفعت المجتمع البشري في أن يمر بمرحلة ثالثة وأخيرة تسمى بالمرحلة الوضعية[4].

٣- المجتمع العلمي أو الواقعي : وهو المجتمع الذي يضعف فيه دور الدين ، ودور الفلسفة في تفسير ظواهر الحياة المادية والمعنوية ، واتجاه الناس إلى تفسير الحقائق والظواهر تفسيرا عقليا متسما بالطابع العلمي، ودراسة أسباب السلوك الاجتماعي ونتائجه بعد نبذ جميع الأفكار التي لا يمكن

---

[1] عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٢١.

[2] المصدر السابق، ص٣٢٢.

[3] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص١٣٣.

[4] الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع: دراسة نظامية، مصدر سابق، ص٣٩.

مشاهدتها بالعين المجردة ، أي البحث عن قوانين ثابتة في تفسير السلوك والاعتماد عليها في دراسة الأهداف الاجتماعية الكفيلة بإحراز التقدم الاجتماعي [1]. وهكذا فان العامل الأساس الذي اعتمد عليه كونت في تقسيم المجتمعات هو عامل المعرفة أو العقل .

٣-التربية الاجتماعية عند كونت :

لقد تحدث كونت عن التربية الاجتماعية في سياق حديثه عن النظم الاجتماعية الثلاث، وهي التربية، والأسرة، والنظام السياسي. إذ أوضح بان المجتمع يحتاج إلى نظام من نظم التربية الوضعية يحل محل الآداب والنظريات الفلسفية المجردة، ومن الضروري أن يقوم هذا النظام على دراسة حقائق العلوم الوضعية وفق أسس علمية تنحى بالنشء بعيدا عن الجمود الفكري، وبعيدا عن التفرقة بين البنين والبنات. وينبغي على نظام التربية أن ينقسم إلى ثلاث مراحل هي الابتدائية والثانوية والعليا على أن تكون هذه المراحل متماسكة ومتكاملة لان هدفها إعداد الشباب لمواجهة حياتهم العلمية والاجتماعية[2].

وتظهر الأسرة مؤسسة تربوية في تحويل أنانية الفرد إلى حب الجماعة عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية . إذ أنها تكسب أخلاقها وقيمها ومثلها من المجتمع وبدورها تمرر إلى الأفراد لكي يتصرفوا بموجبها ، لذا فهي حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع[3]. والى جانب الأسرة هناك النظام السياسي الذي يعد مسؤولا عن ضمان وحدة وتماسك وضبط المجتمع اجتماعيا و أخلاقيا . إما الدين الإنساني الذي دعا إليه كونت فهو دين يؤكد على دور الأخلاق والقيم والمبادئ في تحسين سلوك الفرد ، وتقويم علاقاته بالآخرين ، كما انه يقوي

---

[1] المصدر السابق، ص٤٠.

[2] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص١٣١.

[3] المصدر السابق، ص١٣٠.

كيـان الأسـرة ويسـهم فـي أغنـاء أسـاليبها التربويـة ، ويحثهـا علـى الالتـزام بالأخلاق[1].

[1] المصدر السابق، ص١٣٢.

المبحث الثالث :الفكر الاجتماعي عند هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣م):

يتركز الفكر الاجتماعي عند سبنسر على ثلاثة محاور أساسية هي أصل نشوء المجتمع، وتقسيم المجتمعات ، والتربية الاجتماعية . ويحاول الباحث عرض هذه الأفكار كما فعل في المباحث السابقة ، ثم مقارنتها بأفكار الغزالي في نهاية الفصل .

١- أصل نشوء المجتمع عند سبنسر :

يرى سبنسر بان مذهب الارتقاء يفسر أصل المجتمع وتكوينه ، وهذا المذهب الذي أنتجه ساعد على تتبع مسيرة المجتمع التطويرية . فالمجتمع في حركة مستمرة وسائرة من صيغة بسيطة وواطئة إلى صيغة معقدة ومتشعبة [١]. إذ يبدأ بمجموعة من الأسر التي تكون العشيرة والتي ترجع إلى جد مشترك من ناحية النسب والانحدار . ويتحول إلى مجتمع مركب بعد زيادة عدد سكانه وانشطار أسره أو اتحادها بأسر مجتمع بسيط آخر . وينتقل إلى مرحلة المجتمع المركب الذي يكون القبيلة التي هي اكبر من العشيرة . ويتحول إلى مجتمع مركب تركيبا ثنائيا بعد زيادة عدد سكانه وهذا المجتمع يطلق عليه مجتمع الدولة[٢]. وعندما يقوى المجتمع من الناحية العسكرية يستطيع أن يضم مقاطعات إلى مقاطعاته الأصلية ، فيتحول إلى مجتمع مركبا تركيبا ثلاثيا وهو المجتمع الإمبراطوري . علما بان سبنسر ارجع أصل نشوء المجتمع إلى عامل التكاثر السكاني الذي يستلزم اعتماد قوانين التخصص وتقسيم العمل ، والتطور الذي أساسه التكاثر السكاني لابد منه ، وان الإنسان مهما بذل من نشاط لا يستطيع الوقوف بوجه هذا التحول أو عكس تياره ،ذلك أن التطور وارتقاء المجتمع هما حركة طبيعية وحتمية وتلقائية تتحول من نمط يتسم بالبساطة إلى نمط يتسم بالتعقيد[٣].

إذن العامل الأساس في أصل نشوء المجتمع عند سبنسر هو عامل التكاثر السكاني .

---

[١] المصدر السابق، ص٢٠٧.

[٢] المصدر السابق، ص٢٠٩.

[٣] المصدر السابق، ص٢١٠.

٢- تقسيم المجتمعات عند سبنسر :

يقسم سبنسر المجتمعات وفق نظريته التطويرية إلى أربعة أقسام هي :

أ- المجتمع البسيط : يتألف هذا المجتمع من عدد من الأسر الممتدة ، ويكون بسيطا من حيث انه لا يستعمل نظام تقسيم العمل ، والتخصص فيه ويعتمد على الرعي، أو الزراعة ، أو الجمع ، أو الصيد . لكنه يتمتع بدرجة من الاستقرار وبعدد من المؤسسات البسيطة كالمؤسسات الدينية ، والاقتصادية ، والتربوية ، والعسكرية ، ويتحول إلى مجتمع مركب بعد زيادة عدد سكانه[١].

ب- المجتمع المركب : وهو مجتمع القبيلة التي هي اكبر من العشيرة . إذ يتكون من مجموعة عشائر ، وان مؤسساته أرقى من ناحية التخصص بالعمل ، وهو زراعي لا يعتمد على الرعي والصيد ، بمعنى آخر انه مجتمع زراعي غير تجاري ولا صناعي ، والإنتاج لا يستخدم لأغراض تجارية بل يستهلك من قبل القبيلة ، ويتحول إلى مجتمع مركب تركيبا ثنائيا بعد زيادة السكان[٢].

ج- المجتمع المركب تركيبا ثنائيا: هذا المجتمع يطلق عليه سبنسر مجتمع الدولة . إذ أن الولاء يمنح للدولة وليس للفرد ، ويظهر مبدأ المواطنة الذي يحدد حقوق المواطن وواجباته للدولة والعكس ، ويخضع المواطنون في المجتمع لحكم القانون . أما مسائل الحسب والنسب والمسائل العشائرية فتكون ثانوية في المجتمع ، وإذا كان لشيخ العشيرة أهمية في المجتمع القبلي أو العشائري فان للحكام أهمية في مجتمع الدولة لأنه يمارس جميع السلطات ويحقق العدالة بين الناس ، ويظهر نظام تقسيم العمل في

---

[١] المصدر السابق، ص٢٠٨.

[٢] المصدر السابق، ص٢٠٩.

هذا المجتمع . إذ يمارس الفرد عدة مهن في أن واحد ، وعندما يقوى المجتمع عسكريا ويتوسع على حساب الدول الأخرى يتحول إلى مجتمع مركب تركيبا ثلاثيا[1].

د- المجتمع المركب تركيبا ثلاثيا : هو مجتمع الذي يتوسع سياسيا وعسكريا على حساب المجتمعات المجاورة أو البعيدة فيضم مقاطعاتها الجغرافية إلى رقعته ، وبالتالي ينجح في تكوين إمبراطورية تربطها علاقات غير متكافئة بين الدولة الأم والدول التابعة ، ويتراوح عدد سكانه ٥ ٠٠٠ ٠٠٠ إلى ١٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة بينما عدد سكان المجتمع المركب تركيبا ثنائيا يتراوح بين ٥٠٠٠-١٠٠٠٠ نسمة، أما المجتمع المركب فيتراوح بين ٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ نسمة ، بينما لا يزيد المجتمع البسيط عن ٥٠٠ نسمة . إذن المجتمع المركب ينبثق من المجتمع البسيط ، والمجتمع المركب تركيبا ثنائيا ينبثق من المجتمع المركب ، والمجتمع المركب تركيبا ثلاثيا ينبثق من المجتمع المركب تركيبا ثنائيا . علما بان العامل الأساس الذي استند عليه سبنسر في دراسته لعملية التطور من مرحلة حضارية بسيطة إلى مرحلة حضارية معقدة هو العامل البيولوجي الذي يؤدي إلى التكاثر السكاني عن طريق الخصوبة السكانية[2].

٣- التربية الاجتماعية :

لقد اهتم سبنسر شانه شان مفكري عصره بالتربية الاجتماعية ، إذ انه كان يعالج موضوعاتها ، ومن بين الموضوعات التي عالجها موضوع التربية العلمية ، وطرق التربية الأدبية والبدنية ، والعقلية والأخلاقية ، وفي عرضه لموضوع التربية البدنية عاب على الناس إهمالهم هذا اللون الهام من التربية . إلى جانب ذلك نادى بضرورة إقامة نظام التربية على أسس تتلاءم والأطوار الطبيعية لنمو العقل ، حتى تثمر في إعداد الناشئ لاستخدام قواه العقلية في جميع الإعمال التي يزاولها في مستقبل حياته .

حاول سبنسر أن يضع ثلاثة أسس لعملية التربية أولهما أن يؤدي التدريس إلى إثارة الرغبة في التحصيل عن طريق استخدام وسائل التشويش والانتباه ، وثانيهما أن تكون

---

[1] الحسن، إحسان محمد (د)، محاضرات في مادة النظريات الاجتماعية ألقيت على طلبة الدكتوراه للعام الدراسي ١٩٩٧-١٩٩٨.

[2] المصدر السابق.

العملية التربوية عملية تعلم يعتمد فيها التلاميذ على أنفسهم ، وثالثهما أن تكون المعلومات موضوع الدرس ملائمة لنشأة الطفل وأطوار نموه وارتقائه . وهكذا فان سبنسر يركز على التلميذ بعده محور العملية التربوية[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن سبنسر حمل على مناهج التعليم السائدة في عصره حملة شعواء ، وأوضح رأيه في الموازنة بين أهمية العلوم وترتيبها كل علم حسب أهميته ، ويرى أن مفاسد المجتمع ترجع إلى إهمال الناس لتربيتهم الخلقية وجهل المربين بقواعد التهذيب الخلقي[2]. ومما يؤاخذ عليه انه أيد المذهب الفردي في التربية ، وأسرف في هذا التأييد ، وغني عن البيان انه جانب الصواب في ذلك . وقد انتهز فرصة تورط الحكومة في بعض الظروف فحمل عليها حملات بليغة وندد بتدخلها في شؤون وحريات الأفراد لاسيما فيما يتعلق منها في التربية والأخلاق[3].

---

[1] الخفاجي، حسن علي (د)، تاريخ التفكير الاجتماعي، المدينة المنورة للطباعة، جدة، ط1ن ١٩٧٤، ص١٤٢-١٤٣.

[2] المصدر السابق، ص١٤٤.

[3] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٢١٥.

المبحث الرابع :الفكر الاجتماعى عند اميل دوركهايم (١٨٥٨-١٩١٧م)

يتناول المبحث الرابع من هذا الفصل ثلاثة محاور أساسية في فكر عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم ، وهذه المحاور هي أصل نشوء المجتمع ، وتصنيف المجتمعات ، والتربية الاجتماعية ، وسوف يجري الباحث في نهاية الفصل مقارنة بين أفكار دوركايم والغزالي لتبيان أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، والمحاور الثلاثة هي :

١- أصل نشؤ المجتمع عند دوركهايم :

لقد رفض دوركهايم الأخذ بنشأة المجتمع على أساس التعاقد ، أو على أساس قوانين التطور البيولوجي ، وأكد أن المجتمع ينشا تلقائيا[١]. ويعد الأسرة أول وحدة من وحدات المجتمع ، وقرر أن الاجتماع الأسري لا يقوم على الغريزة ، وإنما على أساليب يرتضيها العقل الجمعي وتدعو إليها الحياة الاجتماعية نفسها[٢]. ويعتقد دوركهايم أن هناك نوعين من المجتمعات : مجتمعات ضيقة النطاق ، ومجتمعات واسعة النطاق . علما بان المجتمعات الضيقة النطاق هي المجتمعات التي تخلو من التراكيب الاجتماعية المتداخلة ، كما تخلو من تقسيم العمل ، ونتيجة لهذا فان المجتمع يتحرك برمته ككتلة واحدة من خلال أدائه لأنشطته[٣]. و دوركهايم لا يعتمد على القول بان تقسيم العمل هو الأساس لأصل نشوء المجتمع . بل يذهب إلى ابعد من ذلك ، إذ يعتقد بان العامل المسؤول عن أصل نشوء المجتمع وتكوينه يعود إلى عامل زيادة السكان ، فعندما يتكاثر السكان تكون الحاجة ماسة لاعتماد تقسيم العمل[٤].

ويذهب دوركهايم إلى أن أول شكل اجتماعي يمكن افتراضه لنشأة المجتمع هو الرابطة Horde ثم العشيرة Clan ثم الاتحاد Fraternity وأخيرا القبيلة Tribe . وتعد كافة هذه التنظيمات الاجتماعية بدائية لأنها لا تعتمد على مبدأ تقسيم العمل . فهي مجتمعات ذات نطاق ضيق ، أو مجتمعات ميكانيكية خلاف

---

[١] عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٨١.

[٢] المصدر السابق، ص٣٨٤.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٢٥١.

[٤] المصدر السابق، ص٢٥٣.

المجتمعات واسعة النطاق أو المجتمعات العضوية التي تتميز بالتراكيب المعقدة بالخضوع لقاعدة تقسيم العمل[١]. إذن العامل المسؤول عن أصل نشوء المجتمع هو عامل التكاثر السكاني .

٢- تقسيم المجتمعات عند دوركهايم

يقسم دوركهايم المجتمعات إلى قسمين : مجتمعات التضامن الميكانيكي ، ومجتمعات التضامن العضوي أي المجتمعات الميكانيكية أو المجتمعات العضوية وان المجتمع يتحول من مرحلة المجتمع الميكانيكي إلى مرحلة المجتمع العضوي، ويعد عامل تقسيم العمل المستند إلى عامل الزيادة السكانية الأساس في تصنيف المجتمعات إلى صنفين . فالمجتمع الميكانيكي يخلو من تقسيم العمل ، أي انه مجتمع بسيط وان عدد سكانه قليل ، ويعتمد على الرعي ، والصيد ،والزراعة ، والإنتاجية فيه قليلة ومستواه العلمي واطئ[٢]. أما المجتمع العضوي فهو المتخصص بالعمل وان إنتاجيته سواء أكانت زراعية أو صناعية عالية، لذا فان مستواه المعاشي والعلمي عال كما تكثر فيه المشاكل الإنسانية بسبب الكثافة السكانية العالية ، ودوركهايم لا يعتمد على القول أن تقسيم العمل هو المعيار الأساس في تقسيم المجتمعات . بل يذهب إلى ابعد من ذلك[٣]. إذ يعد عامل الكثافة السكانية هو المسؤول عن وجود أو عدم وجود نظام تقسيم العمل . فعندما يتكاثر السكان تكون الحاجة ملحة لاعتماد مبدأ تقسيم العمل ، وهنا يصبح المجتمع مجتمعا عضويا، لان السكان الكثير يحتاج إلى مواد غذائية وسلع صناعية ، وهذه لا يمكن أن يحصل عليها الإنسان إلا باستخدام نظام تقسيم العمل[٤]. إذن العامل الأساس في تصنيف المجتمع إنما هو عامل تقسيم العمل .

---

[١] المصدر السابق، ص٢٥٢.

[٢] الحسن، إحسان محمد (د)، محاضرات في مادة النظريات الاجتماعية ألقيت على طلبة الدكتوراه للعام الدراسي ١٩٩٧-١٩٩٨، مصدر سابق.

[٣] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٢٥٤.

[٤] المصدر السابق، ص٢٠٥ المصدر السابق، ص٢٩٩..

٣- التربية الاجتماعية عند دوركهايم :

يعتقد دوركهايم أن التربية الاجتماعية هي تلك العملية التي عن طريقها يكتسب الفرد لغته،ودينه،وعاداته،وتقاليده،ومقاييسه وطموحاته من الجماعة أو الجماعات التي يحتك بها ويتفاعل معها،واكتسابه لهذه التجارب الاجتماعية يكون عن طريق التربية الاجتماعية التي يتلقاها من الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي. ومصادر التربية هذه تصب في عروقه أخلاقية وقيم ومثل المجتمع التي تتبلور عنده شخصية المجتمع الكبير ويكون ممثلا حقيقيا له . فالأسرة على سبيل المثال تضطر ولدها من حداثته إلى الأكل ، والشرب، والنوم في ساعات معينة، والنظافة والهدوء واحترام العادات والتقاليد ، وما إلى ذلك من أمور . وهكذا يجد الفرد نفسه منذ ولادته محاطا بأحكام اجتماعية قسرية لا يستطيع تغييرها أو التهرب منها . فيعمل المجتمع في جماعته المؤسسة على صب السمات الأساسية للشخصية النموذجية في عروقه منذ الصغر لينشأ وهو يحمل الشخصية النموذجية لمجتمعه . ومثل هذه الآراء أن دلت على شيء فإنما تدل على أن الفرد يذوب وسط الجماعة والمجتمع المحلي . إذ لا يستطيع التأثير فيهما أبدا[١]. وبهذا فان جميع أنواع التربية تنحصر في ذلك المجهود المتواصل الذي يرمي إلى اخذ الطفل بألوان من الفكر والسلوك والعاطفة التي ما كان يستطيع الوصول إليها لو ترك وشأنه [٢].

---

[١] المصدر السابق، ص٢٣٠.

[٢] عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٧١.

المبحث الخامس :الفكر الاجتماعى عند الإمام الغزالى (١٠٥٨-١١١١م)

يتطرق المبحث الخامس من هذا الفصل إلى آراء الغزالي الاجتماعية في ثلاثة محاور اجتماعية هي أصل نشوء المجتمع ، وتقسيم المجتمعات ، والتربية الاجتماعية ، وبعد الانتهاء من عرضها يقوم الباحث بمقارنتها بالأفكار الاجتماعية عند علماء الاجتماع الغربيين ، والمحاور الاجتماعية الثلاثة عند الغزالي هي :

١-أصل نشوء المجتمع :

يعتقد الغزالي بان نشوء المجتمع يرجع إلى عامل التكاثر السكاني . إذ يؤدي إلى حدة الصراع والمنافسة بين أفراد السكان . لاسيما وان الزيادة السكانية تنتج في تعاظم وزيادة عدد الأسر والعشائر والقبائل[١]. فالصراع يحدث بينها حول أمر يتعلق بملكية الأراضي الزراعية ، واقتسام المياه والسيطرة على المناطق الجغرافية التي يعيش فيها السكان ، أي احتلال مراكز القوة والحكم في المناطق التي يتجمع فيها السكان ، وعند ظهور حالة احتدام الصراع بين أفراد السكان والعوائل ، والعشائر ، والقبائل تظهر الحاجة إلى وجود هيئة ، أو منظمة تتولى مهمة انتهاء الصراع والمنافسة بطريقة تجلب العدالة الاجتماعية ، والمساواة ، والحرية للسكان والعوائل والعشائر المتصارعة كافة . وعندما تحصل الهيئة والمنظمة على تأييد أعضاء السكان والعوائل في المجتمع كافة مع العشائر التي تضم العوائل لها ، فان هذه الهيئة تنجح في حل الصراع والمنافسة بين أفراد السكان فتحل العدالة والمساواة وينتشر السلام والأمان والطمأنينة في الأرض . مع أن الهيئة أو المنظمة لا تكتفي بإحلال العدالة والمساواة عن طريق القضاء على المنافسة والصراع فحسب. بل تتولى أيضا عملية تقديم الخدمات والمهام الجليلة لإفراد السكان، وهذا ينتج بالنهاية تكوين نظم اجتماعية ذات أهداف محددة، فتظهر على سبيل المثال المنظمة السياسية التي تنعكس في الهيئة أو المنظمة التي حلت مشاكل المنافسة والصراع[٢].

---

[1] **Watt, M. Moslem Ethics and Philosophy, The New Press, 1957, p.131.**

[2] **Ibid, p. 140.**

وتظهر بجانب المنظمة السياسية منظمات اقتصادية ، وعسكرية ، وتربوية، وأسرية على جانب كبير من التشعب والتعقد ، وعند ظهور هذه المنظمات ذات الأهداف المختلفة يظهر البناء الاجتماعي الذي هو حصيلة اجتماع واندماج وتوحد منظمات المجتمع المختلفة لان البناء الاجتماعي الناتج عن اتحاد النظم الاجتماعية الفرعية هو أساس وجود المجتمع والدولة . وهكذا فان العامل الأساس الذي دفع الإنسان إلى تكوين المجتمع هو العقل والتعقل[١].

٢- تصنيف المجتمعات عند الغزالي :

يقسم الغزالي المجتمعات بحسب معيار أو مقياس درجة الالتزام بالإيمان . الإيمان المتعلق بالدين ووجدانية الله سبحانه وتعالى ، فالمجتمعات تقسم إلى قسمين هما مجتمعات متمسكة بأمور الدين ، ومجتمعات بعيدة عن التمسك بأمور الدين والإيمان ، فالمجتمعات التي تقترب من الدين والإيمان هي المجتمعات العالمة التي تدرك أهمية الله في الوجود وأهمية التعاليم والقيم الربانية التي تحدد سلوك الأفراد والمجتمعات في إطار محدد ، وهذه المجتمعات يطلق عليها الغزالي بالمجتمعات العالمة ، أي المجتمعات التي تعتقد بالأديان لاسيما أديان التوحيد ، أي الأديان التي تؤمن بوحدانية الله سبحانه ، وبالمبادئ الدينية القويمة وقيم الدين الحنيف وبالرسائل السماوية المقدسة وما تدعو إليه من ممارسات إنسانية فاضلة وقيم ظاهرة[٢].

والنوع الآخر من المجتمعات أطلق عليه الغزالي المجتمعات العاملة وهذه المجتمعات تهتم بالأعمال الاقتصادية ، وجمع الثروات والاهتمام بالأمور الدنيوية، وتبتعد عن الأمور الدينية الأخروية ، وهذه المجتمعات تكون غنية ومرفهة اقتصاديا ولكنها فقيرة وضعيفة علميا وأخلاقيا وروحيا ، لذا لا تستطيع هذه المجتمعات تحقيق ما تصبو إليه من درجات السعادة والفضيلة والكمال لأنها تهتم بالجوانب المادية فقط

---

[1] Ibid, p. 142.

[2] Kirk Patrick, A.F. Moslem Philosophy in Medieval Period, Bridge Press, London, 1979, p61.

بعيدا عن الجوانب القيمية والمثالية والأخلاقية[1]. إذن العامل الأساس الذي دفع الغزالي إلى تقسيم المجتمعات إلى قسمين هو درجة التقرب أو الابتعاد عن الدين.

٣-التربية الاجتماعية عند الغزالي:

عرض الغزالي في كثير من مؤلفاته للحديث عن التربية ، فوضح واجبات الوالدين تجاه الطفل ، وواجبات المتعلم تجاه المعلم ، وقد وردت معظم آرائه في كتابه "أيها الولد" و"إحياء علوم الدين" ولقد جاءت أفكاره مشابهة للأفكار العلمية الحديثة في التربية ، ويرجع ذلك إلى خبرته وتجاربه الطويلة ، واشتغاله بالتدريس . ويمكن عرض أفكاره التربوية في عدة نقاط[2]:

١- أن الدولة عن طريق العلماء والمربين مسؤولة عن تبليغ دعوة الإسلام إلى كل أفراد المجتمع لذا وجب على الأفراد إطاعة العلماء والمربين لان طاعتهم واجبة[3]. كما وجب عليهم إطاعة الله والملك وقد فسر الغزالي هذه الطاعة تفسيرا واقعيا . إذ أن هدفه من ذلك هو الضمان الاجتماعي لحياة الناس في دينهم ودنياهم[4] .

٢- لا بد أن تكون التربية متشددة مع الولد لان التدليل والتنعيم من الأمور غير المستحسنة[5].

٣- تأكيد أسلوبي الثواب والعقاب في التربية[6].

٤- أن العلوم الثقافية ، والعلوم الطبيعية ضرورية لحياة الإنسان لاسيما ما اتصل منها بالنواحي الواقعية[7]. إذ أن الغزالي ميز بين العلوم العقلية والعلوم العملية

---

[1] Ibid, p. 67.

[2] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٣٢.

[3] رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره، مصدر سابق، ص٣٨٢.

[4] بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص٤٦٠.

[5] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٤٠.

[6] المصدر السابق، ص١٤١.

[7] المصدر السابق، ص١٣٧.

والشرعية ، وله في التربية نزعة نفعية حين يؤكد تقديره للعلوم حسب نفعها للإنسان في دنياه وآخرته[١].

٥- إهمال الغزالي تعليم المرأة[٢].

٦- يقسم التعليم إلى ثلاث قنوات : التعليم في الأسرة ، والتعليم في المدرسة (المكتب) ، والتعليم في المجتمع[٣]. ويعطي للأسرة أهمية لأنها تعلم الطفل القيم الايجابية من اجل أن يكون ناجحا في المجتمع[٤].

٧- أهمية التربية الجسدية كالتمارين البدنية . إذ أنها ضرورية للجسم[٥].

٨- هدف التربية هو إعداد الإنسان للحياة الكاملة[٦].

٩- تقسيم الغزالي للعلوم . إذ قسمها إلى أربع مجموعات متدرجة . ففي المرتبة الأولى وضع العلوم التي تساعد الإنسان على أمور دينية كعلوم القران والفقه، وفي المرتبة الثانية وضع العلوم التي تساعده على معرفة اللغة والنحو. أما المرتبة الثالثة فوضع العلوم التي تساعده في المحافظة على حياته كالطب. أما المرتبة الرابعة فوضع العلوم التي تساعده على تثقيف نفسه كالشعر الأدب[٧].

١٠- تأكيد الغزالي على المذهب الاجتماعي في التربية ، فالطفل لا يستطيع أن يعيش منفردا. بل هو مضطر إلى أن يعيش في عدة بيئات اجتماعية في أن واحد ، من أسرة ورفاق لعب ومدرسة. فالفرد ابن مجتمعه وهو بأمس الحاجة إلى مؤسسات المجتمع التربوية[٨] لان التربية التي يتلقاها الفرد منذ بداية حياته تكون مهتمة بقيم وعادات، ومثل ولغة المجتمع التي يتم غرسها عنده عن

---

[١] سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مصدر سابق، ص٧٠.

[٢] بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مصدر سابق، ص٤٣٤.

[٣] احمد، سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٣١.

[٤] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٣٧.

[٥] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٣٤٩.

[٦] الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٣٨.

[٧] المصدر السابق، ص١٣٧.

[٨] قاسم، محمود (د)، دراسات في الفلسفة الإسلامية، مصدر سابق، ص٢٠٨.

طريق التربية الاجتماعية[1]. وهكذا فان طبيعة الفرد لها خاصية التفاعل مع الوسط الاجتماعي من حيث أنها تؤثر فيه وفي نفس الوقت يوجد لديها القابلية للتأثر به ، وما الشخصية إلا نتاج هذا التأثر[2].

المبحث السادس :<u>مناقشة الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي في ضوء الفكر الاجتماعي عند كل من هيجل ، وكونت ، وسبنسر ودوركهايم</u>

تتناول هذه المناقشة دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين فكر الغزالي وفكر هيجل وكونت وسبنسر ودوركهايم فيما يتعلق بثلاثة موضوعات رئيسية هي أصل نشوء المجتمع وتقسيم المجتمعات والتربية الاجتماعية. فما يتعلق بأصل نشوء المجتمع فالملاحظ ان المفكرين الخمس يجمعون على أن الأسرة هي أصل نشوء المجتمع لأنها الخلية الأساس المسؤولة عن الإنجاب وزيادة السكان فعندما يزداد حجم السكان تقضي الضرورة بان يتعاون أفراد السكان المتزايد فيما بينهم من خلال إدخال نظام تقسيم العمل والتخصص فيه وهذا النظام يؤمن زيادة الإنتاج وتطوير الخدمات المختلفة التي يحتاجها أبناء المجتمع فتظهر المؤسسات والنظم الاجتماعية ذات الأهداف المختلفة فيكون التضامن والتكامل بينها حتى تصبح النواة الأساسية للبناء الاجتماعي . وهكذا تظهر النظم والمؤسسات ، ويظهر البناء الاجتماعي كنتيجة حتمية للأسرة وزيادة السكان الناجم عن تكاثر الأسرة وزيادة عدد إفرادها . هذا هو ما يتفق حوله هؤلاء المفكرون، إلا أن هناك اختلافات مهمة بين أفكار هؤلاء من حيث العامل الأساس الذي دفع الأفراد إلى تكوين المجتمع وبالتالي ظهور النظام الاجتماعي . إذ يرى هيجل أن أساس نشوء المجتمع يرجع إلى عاطفة الحب التي تنتج بالزواج وظهور الأسرة ، وعند تزايد عدد الأسر يحدث الصراع والخصام فيما بينهما فتظهر هيئة تتولى حل هذا النزاع ، وهذه الهيئة هي الدولة التي لا تحل النزاع فحسب وإنما تقدم مهام وواجبات للمواطنين . وهنا تظهر النظم الاجتماعية

---

[1] الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق، ص٥٢.

[2] عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية، مصدر سابق، ص٣٤١.

الأخرى المتخصصة في القيام بالخدمات فيظهر المجتمع وتظهر النظم الاجتماعية والمؤسسات .

أما كونت فانه يرى بان الأسرة هي أساس وجود المجتمع ، وهذا يكون من خلال تزايد الأسر وحدوث الاتفاق والتضامن بينها والذي يفضي إلى ظهور النظم والمؤسسات التي تعد من أهم مظاهر البناء الاجتماعي . أما سبنسر فانه يرى أن ظهور المجتمع ونشوءه كان بسبب التطور البيولوجي للمجتمع . إذ أن الأسرة تنقسم إلى اسر مختلفة ومن الأسر تنشا العشيرة ثم القبيلة ثم تزداد القبائل فتتكون الدولة وتنظم العلاقات بين الدول فتتكون الإمبراطورية . وهكذا يعتقد بان نظام التطور والارتقاء هو الأساس في ظهور المجتمع وتشعب مقوماته وعناصره . أما دوركهايم فيرى بان نشوء المجتمع يرجع إلى عامل التكاثر السكاني . لكن التكاثر السكاني في بداية الأمر ينتج في تكوين المجتمع الميكانيكي الذي لا يعتمد على التخصص وتقسيم العمل ، ولكن عندما يتكاثر السكان يصبح المجتمع معتمدا على نظام تقسيم العمل ، فيظهر المجتمع العضوي الذي يعتمد على التعاقد والتفرع والتشعب، وهذا المجتمع هو الذي يأخذه علماء الاجتماع بالحسبان لأنه الأساس في البناء الاجتماعي وتكوين المؤسسات الناضجة والمتكاملة . بينما يعتقد الغزالي أن نشوء المجتمع يرجع إلى التكاثر السكاني ، هذا التكاثر الذي يتأصل في نظامي الزواج والأسرة ، والتكاثر السكاني ينتهي ببناء نظم اجتماعية راقية تعد الأساس في البناء الاجتماعي .غير أن العامل الذي دفع الإنسان إلى تكوين المجتمع بنظر الغزالي هو العقل والتعقل . إذ أن مصلحة الإنسان أن يكون مجتمعا لحماية نفسه وعائلته من الأخطار المحدقة به .

وما يتعلق بموضوع تصنيف المجتمعات أو تقسيمها إلى أنواع يعتقد هيجل بان المجتمعات تصنف إلى ثلاثة أنواع هي المجتمعات القبلية ، والمجتمعات الملكية المطلقة ، والمجتمعات الملكية الدستورية . بمعنى آخر أنها بنظر هيجل قد تحولت وانتقلت من طور إلى طور آخر ، أنها انتقلت من المجتمع القبلي إلى المجتمع الملكي المستبد ، ومن المجتمع الملكي المستبد إلى المطلق إلى المجتمع الملكي الدستوري النيابي . أي أن السلطة تذهب من الملك إلى الشعب وسبب هذا التحول في

المجتمعات يرجع إلى عامل الصراع. إذ أن عامل الصراع الذي وقع بين الأسر هو الذي ينتهي إلى نظام تكوين القبيلة التي تكون مخولة بحكم الأسر . والصراع الذي يظهر في القبيلة انتهى بتكوين نظام الحكم الملكي المستبد ، والصراع الذي تعرض له النظام الملكي المستبد مع الشعب هو الذي حول النظام إلى ثلاثة أنواع هي المجتمعات الدينية اللاهوتية ، والمجتمعات الميتافيزيقية ، والمجتمعات العلمية الواقعية . علما بان كونت يستند إلى عامل العقل في تقسيم المجتمعات إلى هذه الأقسام ، أي كيف أن الإنسان يفكر في تفسير الظواهر والأشياء والأحداث في كل نوع من هذه المجتمعات ، أي هل أن تفكيره يكون دينيا بحتا ، أم فلسفيا، أم علميا واقعيا.

في حين يقسم سبنسر المجتمعات إلى أربعة أنواع هي مجتمعات بسيطة ، ومجتمعات مركبة، مركبة تركيبا ثنائيا، ومجتمعات مركبة تركيبا ثلاثيا،وهذا الانتقال من طور إلى آخر يرجع إلى عامل التطور الاجتماعي . فالتطور هو الذي أملى على المجتمع أن يتحول من بسيط ، أي مجتمع يتكون من عدد من الأسر إلى مركب،أي مجتمع القبيلة إلى مجتمع مركب تركيبا ثنائيا،أي مجتمع الدولة ،إلى مركب تركيبا ثلاثيا أي مجتمع الإمبراطورية. أما العامل الأساس الذي استند إليه سبنسر فهو العامل البيولوجي الذي يكمن في زيادة السكان عن طريق الإنجاب. أما اميل دوركهايم فيقسم المجتمعات إلى نوعين أساسيين هما مجتمعات التضامن الميكانيكي ، ومجتمعات التضامن العضوي، والمجتمعات تتحول من مجتمعات ميكانيكية إلى مجتمعات عضوية ، أي تتحول من مجتمعات غير متخصصة في العمل إلى مجتمعات متخصصة في العمل .والذي يملي على المجتمع أن يتحول من ميكانيكي إلى عضوي هو التكاثر السكاني .إذ أن العامل الأساس الذي استند إليه دوركهايم في تصنيف المجتمعات هو نظام تقسيم العمل ، أي هل أن المجتمع هو مجتمع غير متخصص لا يعتمد على نضام تقسيم العمل ،أم انه مجتمع متخصص يعتمد على نضام تقسيم العمل.

أما الإمام الغزالي فانه يصنف المجتمعات إلى صنفين هما المجتمعات العالمة التي تتمسك بالدين و الأخلاق والقيم والعلم ، والمجتمعات العاملة التي تعتمد على الدين والأخلاق والعلم واكتساب المعرفة والعلوم . وان المجتمعات بنظر الغزالي تنتقل من مجتمعات عالمة إلى مجتمعات عاملة ، أي من مجتمعات تبتعد عن الدين ،والأخلاق،والقانون ،والقيم إلى مجتمعات تتمسك بالدين ،والأخلاق،والقانون ،والقيم. . إذ أن العامل الأساس الذي دفعه إلى تصنيف المجتمعات إلى صنفين أساسيين : المجتمعات العالمة والمجتمعات العاملة هو درجة التقرب أو الابتعاد عن الدين .

و ما يتعلق بالتربية و النظام الاجتماعي التربوي نلاحظ بان هيجل يعتقد بان التربية هي نظام يمثل ما تريده الدولة و ترغب به بحيث يكون هذا متجسدا في شخصية وروحية التلميذ ،وعن طريق التربية يستطيع الفرد أن يتعلم أوامر وأسس و تعاليم الدولة و المجتمع وإذا تعلمها فانه يستطيع أن يكون ممثلا حقيقيا للكل الاجتماعي . ويعتقد هيجل بان على الفرد اكتساب تعاليم التربية التي تتبناها الدولة، لإن الدولة بقيادة الملك هي حلقة الوصل بين الله سبحانه وتعالى والشعب أو العباد، ونظام التربية عند الدولة هو تجسيد لما يريده الله من العباد ،أي تعليم العباد أو النشئ الجديد أوامر الله التي أنزلت على الملك لكي يوصلها إلى هذا الجيل .إذ أن تعاليم التربية تعلمه وتغرس عنده القيم الدنيوية و الروحية التي تجعل منه شخصا نافعا في المجتمع .أما نظام التربية عند كونت فهو أن التربية التي يجب ان يتعلمها النشئ الجديد هي التربية الوضعية المشتقة من العلوم الوضعية التي تعكس ما يحمله الواقع من مظاهر طبيعية واجتماعية وإنسانية. والتربية تكون في المؤسسة التربوية، أو المدرسة التي يذهب إليها الفتى أو الفتاة لكي يتعلم أو تتعلم أصول و مبادئ و صيغ التربية الوضعية ،أي التربية المتأتية من طبيعة الواقع الطبيعي و الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد . كما أنها تعلم الفرد الدين الإنساني الذي يزرع عنده أصول القيم والآداب والأخلاق والأعراف التي يقرها المجتمع ويريد العمل بها .

أما نظام التربية عند سبنسر فهو أن التربية لا يجب أن تفرض على الفرد من قبل المدارس الرسمية لأنها تقيد حرية الفرد في اكتساب المعلومات ،والقيم الأخلاقية ، والروحية التي تتماشى مع ميوله واتجاهاته وأحكامه القيمية ،فالتربية يجب أن تكون مرنة و متساهلة . إذ تتواشج مع أفكار وميول واتجاهات الفرد المتطلعة نحو الحرية والانفتاح والتسامح. أما إذا كانت مقيدة للحرية الفكرية عند الفرد فإنها تكون مضرة به وبمجتمعه الذي يعيش فيه ويتفاعل معه، والتربية الجيدة بنظر سبنسر هي ذلك النظام الذي يعطي الفرد المجال بالاستفادة من طاقته التفكيرية والإبداعية إلى ابعد الحدود بدون تقييد هذه الطاقات عن طريق النظم التربوية الرسمية التي تفرض الشدة والعنف على المتعلم. إذ تجعله يتهرب من التعليم والتربية واكتساب المهارات.

أما نظام التربية عند اميل دوركهايم فينبغي أن يوصل قيم وأخلاق المجتمع ويصبها في عروق الفرد منذ البداية لكي يكون حاملا للشخصية النموذجية التي يتميز بها المجتمع، وبالتالي تكون شخصية الفرد متماثلة مع شخصية المجتمع، وهذا يكون بفضل النظام التربوي الذي يلقن الفرد بأخلاقية المجتمع وعلمه وأدبه وفنه. إذ يكون متكاملا وفاعلا في الكل الاجتماعي.

أما الغزالي فله نظام تربوي يتميز بالعديد من الصفات والمزايا الايجابية. فالنظام التربوي الذي تتبناه الدولة ينبغي أن يزرع عند الجيل الجديد السمات الأخلاقية، والدينية، والوضعية، والدنيوية التي يقرها ويرتضيها النظام الديني. فالنظام الديني يعد الأساس في النظام التربوي لأنه يحدد مجموعة المهارات التربوية والعلمية والقيمية، والأخلاقية التي ينبغي زرعها عند الجيل الجديد، والتي تجسد إرادة الله سبحانه وتعالى وما ينبغي على الجيل الجديد أن يكتسبه من مهارات، ومعلومات، وأدبيات دينية ودنيوية، لان الفرد الذي يكتسب هذه المعلومات، والمهارات، والفنون يستطيع أن ينجح في حياته الدنيوية والأخروية، لأنه استطاع أن يعكس الإرادة الربانية في شخصيته عن طريق النظام التربوي الذي خضع له واستطاع من خلاله تعلم هذه المهارات والمعلومات والقيم.

الفصل الحادي عشر

الخلاصة والاستنتاجات

المراجع العربية والانكليزية

ملخص باللغة الانكليزية

الخلاصة والاستنتاجات

بجانب فصلي المفاهيم والمصطلحات العلمية التي وردت في الأطروحة كمصطلحات الفكر، والفكر الاجتماعي، والاجتماع الإنساني، والتنشئة الاجتماعية، والأخلاقية، والنفس البشرية، وطبقات المجتمع، والانتقال الاجتماعي، وفصل الدراسات السابقة عن الغزالي والتي كانت دراسات عراقية، وعربية، وأجنبية، هناك السيرة العلمية للغزالي وإسهاماته الفكرية. فحياته قد مرت بثلاثة أطوار هي طور النشأة والتلمذة، وطور التدريس والكتابة والتأليف، وطور العزلة والزهد. وسيرته العلمية حافلة بالنتاجات والأبحاث العلمية والعملية. إذ تمكن من إنتاج العديد من الكتب التي تناولت موضوعات شتى كالفقه، والفلسفة، والتصوف، والاجتماع، والأخلاق، والسياسة، والاقتصاد. ولعل من أهم المؤلفات التي أنتجها الغزالي والتي لها صلة مباشرة بفكره الاجتماعي، هذا الموضوع الذي تخصصت فيه الأطروحة كتاب "مقاصد الفلاسفة" و"تهافت الفلاسفة" و"إحياء علوم الدين" و"أيها الولد" و"المنقذ من الضلال". علما بان تعاليمه الاجتماعية ونظرياته عن طبيعة الإنسان والمجتمع تكمن في ثنايا هذه المؤلفات التي ألفها واعتمد عليها الباحثون والدارسون في الكتابة عن فكره في الاجتماع.

والمهم في الأطروحة العوامل المؤثرة في الفكر الاجتماعي للإمام الغزالي، وهذه العوامل هي عوامل اجتماعية، وعوامل سياسية، وعوامل فكرية. فضلا عن التراث العلمي والمعرفي اليوناني الذي تأثر به فكره الاجتماعي، إضافة إلى الإسلام وأثره في الأفكار والتعاليم الاجتماعية التي طرحها في مؤلفاته المتنوعة. فالعوامل الاجتماعية التي أثرت في فكره هي طبيعة القوى والعمليات الاجتماعية التي سادت في عصره، فقد عاش في أواخر عصر الدولة العباسية. فالمجتمع كان يعج بالاضطرابات ، والقلاقل، والمشكلات الاجتماعية وكانت تخيم عليه أجواء الصراع الاجتماعي بين الفئات التي كانت تطمح إلى السيطرة على مقاليد الحكم كاحتدام الصراع بين العرب والأتراك، والعرب والفرس، والعرب والشعوبيين. فضلا عن سيطرة الفقر، والجهل، والأمية على المجتمع العربي الإسلامي الذي كان يعيش الغزالي في وسطه.

وتأثر الفكر الاجتماعي عند الغزالي بالعوامل السياسية، إذ كان المجتمع يعيش في وسط قوى وتيارات سياسية متناقضة وهذه القوى كانت تتمثل بالأتراك، والفرس، واليهود، والسلاجقة الذين كانوا يتحينون الفرص للانقضاض على الحكم العربي وإنهائه وتحويل العرب إلى أتباع لهم. كان الغزالي ينبه العرب إلى هذا التآمر ويبين أسبابه ويضع الخطط والبرامج لمواجهته وكسر شوكته لكي لا يكون العرب إتباعا أذلاء للاعداء.

أما العوامل الفكرية فهي الأخرى أثرت في الفكر الاجتماعي عند الغزالي. فقد كان للحياة الثقافية اثر كبير في فكره الاجتماعي. إذ اثر فيه مؤثران ثقافيان هما : انتشار المدارس النظامية التي احتوت المكتبات العامة. والعامل الفكري الآخر الذي اثر في فكره وجود التيارات الفكرية المتناقضة التي طغت على المجتمع العربي الإسلامي. اما فيما يتعلق بالمدارس النظامية، نجد أن لها الأثر الكبير في بلورة وتطوير فكره التربوي والاجتماعي، إذ درس في المدرسة النظامية في بغداد، فتدريسه فيها كان يرجع إلى رغبته في وضع حد للجدل الذي ساد المفكرين في بغداد. كما كان لهذه المدارس جانبا اجتماعيا مهما. إذ أنها نشرت العلم والمعرفة بين أبناء المجتمع، أما التيارات الفكرية المتصارعة التي أثرت في فكره الاجتماعي كانت هي الأخرى قد تركت آثارا عميقة في تفكيره الحر وانطلاقه من قيود الجمود والتعصب، فالفقه وما انطوى عليه من مضامين وأبعاد اجتماعية الذي ساد في ذلك الوقت يتسم بالتقليد والمحاكاة، وفكر المعتزلة الذي بالغ في استخدام العقل وحاول أن يضيف إلى المعاني الإسلامية جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار اجتماعية وفلسفية. في حين كانت الإسماعيلية تؤمن بالإمام المعصوم الذي من خلاله يتم التوصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى . وكان البويهيون ينتصرون للمعتزلة ضد الاشاعرة، في حين كان السلاجقة ينتصرون إلى الاشاعرة ضد المعتزلة . وقد استطاع الغزالي أن يلم بجميع هذه التيارات الفكرية المتناقضة ويوحد بينها ويحاول حل الصراعات القائمة بينها ويستنبط فكرا جديدا مستوحيا من روح الإسلام ومن طبيعة مذهب العقل والمنطق الذي يؤمن به ويربط بين قوة العقل وظروف ومعطيات المجتمع الذي عاش فيه ، فيطبق قوانين العقل وأحكامه على حركة المجتمع ليكون المجتمع كائنا حيا وفعالا وقادرا

على التغيير والتقدم وفقا للأفكار والمفاهيم التي صاغها، ووفقا لمعطيات ومتطلبات المجتمع العربي الإسلامي الذي عاش فيه .

فضلا عن أن فكر الغزالي قد تأثر بالفكر الفلسفي اليوناني ولاسيما فلسفة أفلاطون المتعلقة بأقسام النفس البشرية ومقابلة هذه الأقسام بطبقات اجتماعية . ذلك أن الغزالي قد اخذ من أفلاطون معلومات قيمة عن طبيعة النفس البشرية ، فالنفس البشرية تنقسم إلى نفس عقلية وعاطفية ، وغريزية . والغزالي كان يعتقد بعد تأثره بالفكر الأفلاطوني بنفس الأجزاء التي تقسم إليها النفس البشرية . إذ يقسمها إلى نفس عقلية ، وغضبية، وشهوانية. ومن أجزائها هذه صاغ نظريته الطبقية . إذ قسم المجتمع إلى ثلاث طبقات هي طبقة الحكام ، والقادة، والإداريين، وطبقة العسكر أو الجنود، وطبقة العمال والفلاحين . وهكذا نلاحظ بأنه تأثر بنظرية أفلاطون الخاصة بالسلوك الإنساني وطبقات المجتمع .

وأخيرا تأثر الغزالي بالإسلام . إذ أن نظريته الفلسفية والاجتماعية كانت نظرية إسلامية فهو يعتقد بان المجتمع ينتقل من مجتمع عامل إلى مجتمع عاقل وهذا الانتقال لا يحدث إلا بعد تأثر المجتمع بالإسلام وما جاء به من مبادئ إلهية فاضلة وقيم أخلاقية حميدة وأسس سلوكية قويمة تعدل سلوك البشر وتمنعه من السقوط في ضالة الانحراف والشر ، والجريمة، والرذيلة . فالمجتمع الإنساني يرقى ويتقدم عن طريق التزامه بمبادئ الإسلام التي هي مبادئ عقلانية إلهية يمكن تطبيقها على المجتمع في أي زمان ومكان ، والمجتمع بنظره لا يكون عالما أو عاقلا أو متمسكا بالقيم والأخلاق الفاضلة من دون تمسكه بالإسلام . فالإسلام هو مصدر العقل وأساس القيم والأخلاق النبيلة الفاضلة.فكلما اقترب المجتمع من الإسلام كما يرى الغزالي كان عاقلا وفاضلا وقيما ، وكلما ابتعد عنه أصبح جاهلا ومتخلفا ، ورذيلا . وهنا يمكن القول بان مبدأ العقل والتعقل الذي أخذه من الإسلام قد اثر في فكره الاجتماعي عندما قسم المجتمع إلى طبقة عاملة ، وطبقة عالمة ، وطبقة ما بين الطبقتين هي الطبقة العسكرية التي تدافع عن الإسلام وتكون غريزة الغضب والهيجان مسيطرة عليها . وهكذا يفسر المجتمع بفئاته وطبقاته وعناصره السكانية

بالذهاب إلى منطق العقل الذي يميز طبقة اجتماعية عن طبقة أخرى . أو يميز مجتمعا عن مجتمع آخر. فكلما كان المجتمع عاقلا كان متمسكا بالإسلام، بمعنى آخر أن الاقتراب من الإسلام يجعل المجتمع قريبا إلى العقل وبعيدا عن العاطفة والانفعال .

هذه أهم المؤثرات الاجتماعية التي أثرت في فكر الغزالي التي جعلته يتسم بخصوصية معينة تميزه عن أفكار الفلاسفة والعلماء والمفكرين الآخرين الذين ظهروا قبله وبعده ، فهو مدرسة فكرية عقلية بنفسها نظرا للمسلمات الفكرية الأصلية التي اتسم بها والتي علينا أن نحدد ملامحها الاجتماعية الآن .

يعتقد الغزالي أن الإنسان بالطبيعة هو حيوان اجتماعي،واجتماعيته تأتي له من مصدرين أساسيين هما النفس العاملة المتمثلة بالقسم البيولوجي المسؤول عن إشباع الغرائز البايولوجية ،و النفس العاملة المتمثلة بكل ما هو مكتسب من المجتمع عن طريق التربية و التعليم،وبارتباط النفس العالمة بالعاملة يصبح الإنسان حيوانا اجتماعيا ،أي تتحدد طبيعته الاجتماعية .أما أصل نشوء المجتمع فيرجع إلى زيادة الكثافة السكانية ،الزيادة التي ترجع بدورها إلى عوامل عديدة أهمها تحسن الحالة الصحية وتقدم العلوم ،والهجرة إلى المدن ،وزيادة الإنجاب،فالزيادة المستمرة تسبب زيادة الطلب على السلع والخدمات ،الأمر الذي يقود إلى ارتفاع أسعارها .ولما كانت الإمكانيات الاقتصادية محدودة و الأسعار عالية فان هذا يؤدي إلى عدم قدرة السكان على إشباع الحاجات من السلع، مما يلزم بعض أفراده من ذوي النفوس الضعيفة إلى اعتماد السرقة و الجرائم و عند استفحال هذه الجرائم فان هذا يقود إلى الصراع بين الأفراد .أما فيما يخص النظم الاجتماعية التي تحدث عنها فهي نظم محددة بالقانون ، و القانون يكون صادرا من الله سبحانه وتعالى، لان مشيئته دفعت الإنسان و المجتمع إلى تكوينها ، ولهذا فهي نظم قانونية ذات مضامين اقتصادية وسياسية وتربوية ودينية ،لذا فقوة القانون هي التي تجعل النظم الاجتماعية نظما مفروضة على الأفراد ،وان الأفراد ملزمون على الانصياع إلى قيمها و أفكارها و نشاطها وممارستها .

تنــاول الغزالــي فــي ســياق دراســته للتنشــئة الاجتماعيــة و الأخلاقيــة القــيم الاجتماعية .ولقد قسمت إلى قسمين هما القيم الايجابيـة ،والقيم السلبية .وقد توصل إلى هذه الحقيقة من خلال دراسته للقوى الفاعلة الموجودة في النفس البشرية، فإذا اعتدلت قوى النفس أنتجت قيما ايجابية .أما إذا ازدادت أو قلت فإنها تنتج قيما سلبية تتقاطع مع قيم المجتمع الايجابية . أما فيما يخص السلوك فان الغزالي يرى بأنه يعبر عـن نفسـه فـي ثـلاث مستويات:المسـتوى الغريـزي و المسـتوى العـاطفي الانفعـالي والمستوى العقلي .و يعتقد أن للقيم الايجابيـة أثرا بالغا فـي تكوين السلوك الايجـابي ،ذلـك أن القـيم الايجابيــة يــتم اســتدخالها فــي شخصــية الفــرد عــن طريــق التنشــئة الاجتماعية والأخلاقية الايجابية. أمـا القيم السلبية فإنهـا تـؤدي إلـى انحـراف السـلوك ،أي أن السلوك يصبح سلوكا انفعاليـا أو غريزيـا غير متوازن.كمـا تطرق البحث إلـى أساليب التنشئة الاجتماعية و الأخلاقية كالموازنـة بين الثواب و العقـاب ،وبين اللين و الشدة. أما اهتمامه المتزايد بالتنشئة فيرجع إلى تعقد الحيـاة الاجتماعيـة ،وتشبعها و ظهور المشكلات الاجتماعية والصراع بين الأفراد. وكـان هدفـه منـع طغيـان الحيـاة المادية على الحياة الروحيـة. مركزا فـي ذلـك علـى التنشئة التـي تعد رد فعل لطغيـان الحيــاة الماديــة. كمــا تنــاول الغزالــي قنــوات التنشــئة المتمثلــة الأســرة والمدرســة والمجتمع الكبير. إذ يتعلم الفرد في كل منـها مجموعـة مـن المفـردات التـي تعد بمثابـة مناهج تربوية تمارسها هذه القنـوات الـثلاث تجـاه أفرادهـا. وهـذه المفـردات التربويـة هي من القران الكريم، وأحاديث الأخبـار وحكايـات الأبـرار. فضـلا عن القيم والآداب الاجتماعية التي يتعلمها الفرد في طفولته.

أما فيمـا يتعلـق بالطبقـات الاجتماعيـة فـالملاحظ أن الغزالـي يقسـم المجتمـع إلـى ثلاثـة طبقات هـي طبقـة الحكـام ورجـال الـدين التـي تحتـل قمـة الـهرم الطبقـي ،وطبقـة الجنـد التـي تحتل وسط الـهرم ، وطبقة التجـار و الصنـاع والفلاحين التـي تحتـل قاعدة الـهرم ،والعامـل الأساس الذي استند إليه في تصنيف المجتمع الى طبقـات هو عامـل الـنفس البشرية .إذ أن

النفس تقسم إلى ثلاث أقسام هي القسم العاقل ،والقسم العاطفي،والقسم الغريزي.وقد قابل بين القسم العاقل في النفس و طبقة الحكام والعلماء في المجتمع، وبين القسم العاطفي في النفس و طبقة الحكام ورجال الدين في المجتمع، والقسم الغريزي في النفس الذي يقابل طبقة الصناع و التجار والفلاحين في المجتمع. وقد اعد ملكة العلم أساسا للتمييز بين الطبقة العليا والطبقتين المتوسطة والسفلى لان هذه الطبقة هي الأساس في انتظام البناء الاجتماعي و استقراره. بيد انه قد خالف أفلاطون في مسالة الانتقال بين الطبقات .ففي الوقت الذي يضع فيه أفلاطون حواجز بين الطبقات، نجد أن الغزالي يرفض هذه الحواجز ويقر بمسالة الانتقال متأثرا في ذلك بالإسلام الذي يحث الفرد على الجد والاجتهاد و العمل العلمي الخلاق لكل أفراد المجتمع. كما تناول الغزالي موضوع العوامل الموضوعية كالحرفة، والثقافة، والدخل،والملابس، والسلوك، والعوامل الذاتية كالأفكار والاتجاهات ،والمواقف،والميول.كما تطرق إلى موضوع الانتقال الاجتماعي واكد الانتقال بين الطبقات نتيجة تأثره بالإسلام.أما سبب الانتقال الاجتماعي فيرجع إلى عاملين هما أولا :زيادة كمية الطلب على المراكز الاجتماعية، وثانيا: التغير في الأشخاص الذين يعرضون خدماتهم ومهاراتهم للمجتمع، فعندما لا يستطيع الفرد الاستمرار في تقديمها فان اشخاصا اخرين يأتون لإشغال هذه المراكز. أما نتائج الانتقال فقد توصل الغزالي إلى نتيجة واحدة هي اصطدام الفرد المتنقل اجتماعيا بمشاكل التكيف الاجتماعي.

كما اظهرت نتائج الدراسات أوجه الشبه و الاختلاف يبن الفكر الاجتماعي عند الغزالي و فكر علماء الاجتماع الأوربيين لاسيما هيجل، واوكست كونت وسبنسر ودوركهايم فيما يتعلق بثلاثة محاور هي أصل نشوء المجتمع ،وتقسيم المجتمعات، والتربية الاجتماعية. ففيما يتعلق بأصل نشوء المجتمع نلحظ ان المفكرين الخمس يعتقدون أن الأسرة هي أساس نشوء المجتمع لأنها الخلية الأساس المسؤولة عن الإنجاب وزيادة السكان .إلا أن هناك اختلافات بينهم من حيث العامل الأساس الذي دفع الأفراد إلى تكوين المجتمع .إذ يرى هيجل بان أساس نشوء المجتمع يرجع إلى عاطفة الحب. أما كونت فانه يعتقد أن الأسر هي الأساس في وجود المجتمع.في حين يرى سبنسر بان ظهور المجتمع كان بسبب التطور البيولوجي للمجتمع.أما دوركهايم فيعتقد أن نشوء

المجتمع يرجع إلى عامل التكاثر السكاني .بينما يرى الغزالي بان نشوء المجتمع يرجع إلى عامل التكاثر السكاني المتأصل في نظامي الزواج والأسرة .غير أن العمل الذي دفع الإنسان إلى تكوين المجتمع في نظر الغزالي هو العقل و التعقل .وما يتعلق بتصنيف المجتمعات يعتقد هيجل بان المجتمعات تصنف إلى ثلاثة أنواع هي المجتمعات القبلية ،والمجتمعات الملكية المطلقة ،والمجتمعات الملكية الدستورية وسبب هذه الأنواع من المجتمعات يرجع إلى عامل الصراع.في حين يقسم سبنسر المجتمعات إلى أربعة أنواع هي المجتمعات البسيطة و المجتمعات المركبة ، والمجتمعات المركبة تركيبا ثنائيا، والمجتمعات المركبة تركيبا ثلاثيا. وهذا التنوع في المجتمعات يرجع إلى عامل التطور الاجتماعي. أما دوركهايم فيقسم المجتمعات إلى قسمين هما مجتمعات التضامن الميكانيكي، ومجتمعات التضامن العضوي. أما العامل الأساس الذي استند إليه في تصنيف المجتمعات فهو نظام تقسيم العمل. أما الغزالي فانه يصنف المجتمعات إلى صنفين هما المجتمعات العالمة التي تتمسك بالدين والقيم والعلم، والمجتمعات العاملة التي تبتعد عن الدين والعلم، وان العامل الأساس الذي استند إليه في تصنيف المجتمعات هو درجة الاقتراب أو الابتعاد عن الدين . أما فيما يتعلق بالتربية فنرى أن هيجل يعتقد بان التربية هي نظام يمثل ما تريده الدولة أي أن التربية هي حلقة الوصل بين الله والشعب. أما التربية عند كونت فهي عملية مشتقة من العلوم الوضعية التي تعكس ما يحمله الواقع من مظاهر طبيعية واجتماعية، والتربية تكون في المدرسة. أما سبنسر فيرى أن التربية يجب أن لا تفرض على الفرد من قبل المدارس الرسمية لأنها تقيد حريته في اكتساب المعلومات التي تتماشى مع ميوله واتجاهاته القيمية، فالتربية يجب أن تكون مرنة وقائمة على الانفتاح . أما دوركهايم فانه يعتقد بان التربية هي نظام ينبغي أن يوصل قيم المجتمع وأخلاقه ويصبها في عروق الفرد منذ البداية ليكون حاملا للشخصية النموذجية التي يتميز بها المجتمع. أما الغزالي فانه يرى بان النظام التربوي الذي تتبناه الدولة ينبغي أن يزرع عند الجيل الجديد السمات الأخلاقية ، والدينية، والوضعية، والدنيوية التي يقرها النظام الديني.

المصادر العربية

القرآن الكريم.

١. **إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، مطبعة شركة مساهمة مصرية للطبع، القاهرة، ١٩٦١.**
٢. **ابن خلدون، المقدمة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥.**
٣. **ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، مكتبة النهضة المصرية العامة، القاهرة،بلا تاريخ.**
٤. **ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٧.**
٥. **ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.**
٦. **أبو بكر، ذكرى ، مواقف مع الغزالي مع إحياء علوم الدين ، دار الفكر العربي ، ط١، ١٩٦٥.**
٧. **أبو ريان، محمد علي (د)، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤.**
٨. **احمد، سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦٦.**
٩. **احمد، غريب محمد سيد(د)، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.**
١٠. **احمد، منير الدين (د)، تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري، دار المريخ، الرياض، ١٩٨١.**
١١. **إدريس، محمد (د)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥.**
١٢. **اركون، محمد، حول التراث والأصولية والتفاوت التاريخي، مجلة دراسات عربية، العدد ٦٠٥ ، ١٩٨٠.**
١٣. **إسماعيل، زكي محمد، نحو علم الاجتماع الإسلامي، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، ١٩٨١.**

١٤. الاعسم، عبد الأمير (د)، الفيلسوف الغزالي، دار منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧٤.
١٥. الاعسم، عبد الأمير (د)، سيرة الغزالي، مجلة رسالة الإسلام، العدد ٤، السنة ١، ١٩٦٦.
١٦. أكاديمية المملكة المغربية، "حلقة وصل بين الشرق والغرب": أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون، السفر الثاني عشر، مطبوعات الأكاديمية، الرباط، ١٩٨٥.
١٧. أمين، احمد (د)، فيض الخاطر، ج٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣.
١٨. أمين، احمد (د)، ظهر الإسلام، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، دون سنة طبع.
١٩. أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٥.
٢٠. أمين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٣.
٢١. الباليساني، احمد الشيخ محمد، التفكير في الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩.
٢٢. بدوي، احمد زكي(د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.
٢٣. بدوي، عبد الرحمن (د)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، وكالة المطبوعات المصرية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٩.
٢٤. بدوي، عبد الرحمن (د)، مهرجان الغزالي، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر، القاهرة، بدون سنة نشر.
٢٥. بدوي، عبد الرحمن (د)، مؤلفات الغزالي، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر، القاهرة، ١٩٦٢.
٢٦. البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
٢٧. البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، مطبعة الصفدي، عمان، ١٩٨٤.
٢٨. البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.

٢٩. توبي، أ هـ ن، فجر العلوم الحديث، ج١، ترجمة د. احمد صبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٧.
٣٠. تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة الدكتور محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٣.
٣١. الجابري، علي، الغزالي ووصاياه التربوية، حلقة دراسية جامعية، البصرة، ١٩٧٩.
٣٢. الجبوري، عبد اللطيف جدوع ناصر، الفلسفة التربوية عند الغزالي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤.
٣٣. جلال، يحيى، تاريخ الفكر الاجتماعي، المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤.
٣٤. جمعة، محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، مطبعة المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٧.
٣٥. الجندي، أنعام، الفلسفة عند العرب، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، دون سنة طبع.
٣٦. الجوهري، عبد الهادي (د)، قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣.
٣٧. الحديثي، سعد خميس، الفلسفة السياسية عند الغزالي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤.
٣٨. الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي: دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١.
٣٩. الحسن، إحسان محمد(د)، والحسني، عبد المنعم (د)، طرق البحث الاجتماعي، مطبعة دار الكتب والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١.
٤٠. الحسن، إحسان محمد (د)، والعطية، فوزية (د)، الطبقية الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٧.
٤١. الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع: دراسة نظامية، جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٥.

٤٢. الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع السياسي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤.
٤٣. الحسن، إحسان محمد (د)، محاضرات في مادة التنظيم الاجتماعي ألقيت على طلبة الدكتوراه للعام الدراسي ١٩٩٧-١٩٩٨.
٤٤. الحسن، إحسان محمد (د)، محاضرات في مادة النظريات الاجتماعية ألقيت على طلبة الدكتوراه للعام الدراسي ١٩٩٧-١٩٩٨.
٤٥. الحسن، إحسان محمد (د)، الجذور التاريخية لمنهج العلوم الاجتماعية عند العرب، مجلة المورد، العدد١، ١٩٨٨.
٤٦. حسن ، عبد الباسط (د)، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة الانجلو-المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧١.
٤٧. حسنين، عبد النعيم (د)، دولة السلاجقة،، مكتبة الانجلو-المصرية، القاهرة،١٩٧٥.
٤٨. حسنين، عبد النعيم (د)، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٢، ١٩٧١.
٤٩. حسين، طه (د)، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، المجلد الثامن، علم الاجتماع، دار الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.
٥٠. الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٥.
٥١. حلمي، احمد كامل، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار الميمون العلمية، الكويت، ١٩٧٥.
٥٢. الحنبلي، العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤ ، دار الكتب العلمية، بيروت، دون سنة طبع.
٥٣. الخشاب، احمد (د)، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٧١.
٥٤. الخشاب، احمد (د)، التفكير الاجتماعي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠.

٥٥. الخشاب، مصطفى (د)، علم الاجتماع ومدارسه، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٦.
٥٦. الخشاب، مصطفى (د)، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، الدار القومية للطباعة، بيروت، ١٩٦٥.
٥٧. الخفاجي، حسن علي (د)، تاريخ التفكير الاجتماعي، المدينة المنورة للطباعة، جدة، ط١ن ١٩٧٤.
٥٨. دسوقي ، كمال (د)، ذخيرة علوم النفس، المجلد الأول ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨.
٥٩. دنيا، سليمان (د)، الحقيقة في نظر الغزالي ،دار المعارف بمصر ، القاهرة ،ط٣ ،١٩٧١.
٦٠. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، ط٢، ١٩٨٤.
٦١. دينكن ، ميشيل (البروفسور)، معجم علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن ، دار الحرية للطباعة ،بغداد ، ١٩٨٠.
٦٢. ديورانت ، وول، قصة الحضارة ، ج٢، مجلد ٤ ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والنشر ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، دون سنة طبع .
٦٣. ديورانت ، وول، قصة الحضارة ، ج٢، المجلد الأول ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٦.
٦٤. رابس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري ، مطبعة الإرشاد ،بغداد ،١٩٦٨.
٦٥. رزوق ، اسعد ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العامة للطبع والنشر ، بيروت ١٩٧٧.
٦٦. رفاعي ، احمد فريد ، الغزالي ، المجلد الأول ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر ، القاهرة ، ١٩٣٦.

٦٧. روجيه ، روين ، منطق البحث عند الغزالي ، ترجمة الياس حنا مرزوق ، القاهرة ، المطبعة الحديثة ، ١٩٦٧.
٦٨. رمضانوف ، ن ف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره ، مجلة المورد ، المجلد ٩ ، العدد ٤ ، ١٩٨١.
٦٩. زقزوق، محمود حمدي (د)، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ،ج١ ، ١٩٧٧.
٧٠. السالم، فيصل (د)، وفرح، توفيق(د)، قاموس التحليل الاجتماعي، دار المثلث، بيروت، ١٩٨٠.
٧١. السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى،ج٤، دار المعرفة، بيروت،دون سنة طبع،
٧٢. سليم، شاكر مصطفى(د)، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١.
٧٣. سليمان، فتحية، مذاهب في التربية، مكتب النهضة، القاهرة، ١٩٦٤.
٧٤. السمعاني، أبو سعيد، الأنساب، ج١٠، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند،١٩٧٩.
٧٥. شرف، محمد جلال، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢.
٧٦. الشرباصي،احمد(د)،الغزالي، دار الجيل ، بيروت ،١٩٧٩.
٧٧. شلبي، أبو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية و الفكر الإسلامي،مطبعة الاستقلال،بيروت، ١٩٦٤.
٧٨. شلبي،احمد(د)،الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٢ ، ١٩٧٣.
٧٩. شلبي،احمد(د)،موسوعة النظم والحضارة الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٢، ١٩٧٣.
٨٠. شمس الدين،عبد الأمير(د)،الفكر التربوي عند الغزالي،دار إقراء،بيروت،١٩٨٥.

٨١. الشناوي،محمد(د)،أنموذج تهذيب الأخلاق عند الغزالي،مجلة رسالة الخليج العربي،العدد(٢)،السلسلة السادسة،السعودية،١٩٨٧.
٨٢. الشيباني، عمر محمد (د)،مناهج البحث الاجتماعي،مجمع الفاتح للجامعات،ليبيا،ط٢، ١٩٨٩.
٨٣. الشيخ محمد رضا، معجم متن اللغة، المجلد٥، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨.
٨٤. صحراوي، بشير، العلاقات الثقافية والأدبية بين المغرب و المشرق والأندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب، بغداد، لغة عربية، ١٩٨٣.
٨٥. طلفاح،خير الله،عباقرة من العرب،ج١٩ ، دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٧٥.
٨٦. الظاهر، احمد جمال(د)، دراسات في الفلسفة السياسية، مكتبة عمان، ط١، ١٩٨٨.
٨٧. عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي،مكتبة القاهرة الحديثة،القاهرة،١٩٧٢.
٨٨. عبد الباقي،زيدان(د)،التفكير الاجتماعي،نشأته و تطوره،دار غريب للطباعة،القاهرة،ط١، ١٩٨١.
٨٩. عبد الباقي زيدان(د)، ركائز علم الاجتماع،لا يوجد مكان طبع،القاهرة،١٩٧٣.
٩٠. عبد الله،عبد الرحيم صالح،نظرة الغزالي إلى طبيعة الإنسان وأثرها في آراءه التربوية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية والآداب،جامعة الكويت،١٩٧٤.
٩١. عبد المولى، محمود، ابن خلدون وعلوم المنهج، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧١.
٩٢. عبود،عبد الغني،الفكر التربوي عند الغزالي كما يبدو من رسالته أيها الولد،دار الفكر العربي،بيروت،دون سنة طبع.
٩٣. العثمان،عبد الكريم،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص،مكتبة وهبة،القاهرة، ط١، ١٩٦٣.
٩٤. العثمان،عبد الكريم،سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه،دار الفكر،دمشق،دون سنه طبع.

٩٥. العسل، إبراهيم(د)، الأسس النظرية و الأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر بيروت، ط١، ١٩٧٧.
٩٦. العمر، معن خليل(د)،إسهامات العرب في الفكر الاجتماعي،مجلة آفاق عربية،السنة الثامنة،العدد٨ ،١٩٨٣.
٩٧. العمر، معن خليل(د)،تاريخ الفكر الاجتماعي،مطابع جامعة الموصل،الموصل،١٩٨٥.
٩٨. العمر، معن خليل(د)،نحو علم اجتماع عربي،دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٨٤.
٩٩. العمر، معن خليل(د)، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
١٠٠. عودة، محمود(د) وإبراهيم، كمال(د)، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار العلم، الكويت، ١٩٨٤.
١٠١. عوض، محمد(د)، مناهج البحث عند الغزالي، القاهرة، ١٩٧٩.
١٠٢. غالب، مصطفى (د)، الغزالي، في سبيل موسوعة فلسفية، دار مكتب الهلال، بيروت، ١٩٨٣.
١٠٣. الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية بمصر، القاهرة، دون سنة طبع.
١٠٤. الغزالي، أبو حامد، الأدب في الدين، مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
١٠٥. الغزالي، أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٩٠.
١٠٦. الغزالي، أبو حامد، تهافت الفلاسفة، تحقيق (د) سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة ، دون سنة طبع.
١٠٧. الغزالي، أبو حامد، كيمياء السعادة، تحقيق محمد عبد العليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٧.
١٠٨. الغزالي، أبو حامد، فضائح الباطنية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة، ١٩٦٤.

١٠٩. الغزالي، أبو حامد، محك النظر، تحقيق محمد بدر الدين النفساني، دار النهضة، بيروت، ١٩٦٦.
١١٠. الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦١.
١١١. الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الظلال، تحقيق جميل إبراهيم حبيب، دار القادسية، بغداد، ١٩٨٣.
١١٢. الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط١، ١٩٦٤.
١١٣. غيث ، محمد عاطف (د) وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧.
١١٤. الفارابي، أبو نصر، أهل المدينة الفاضلة، تقديم وشرح إبراهيم جزيني، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت، ١٩٧٦.
١١٥. فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
١١٦. فهد، ابتسام محمد، الفكر التربوي العربي الإسلامي لبعض فلاسفة العرب المسلمين بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، قسم التربية، ١٩٩٤.
١١٧. فهد، بدري محمد(د)، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣.
١١٨. الفوال، صلاح مصطفى (د)، المقدمة لعم الاجتماع العربي الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢.
١١٩. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.
١٢٠. الفيومي، محمد إبراهيم (د)، الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٦.

١٢١. قاسم، محمود (د)، دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧.
١٢٢. كار ادفو، برنارد، الغزالي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، نابلس، ١٩٥٩.
١٢٣. الكبيسي، محمد محمود رحيم، نظرية العلم عند الغزالي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، آداب فلسفة، جامعة بغداد، ١٩٩٠.
١٢٤. كرم، انطونيوس، العرب أمام تحديات التكنولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢.
١٢٥. الكروي، إبراهيم (د)، وشرف الدين، عبد التواب (د)، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٧.
١٢٦. اللغوي، ابن الحسين بن زكريا، مجمل اللغة، تحقيق زهير سلطان، مؤسسة بيروت، ج٣، ١٩٨٤.
١٢٧. ماج، جارلس (البروفيسور)، المجتمع في العقل، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.
١٢٨. مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة، دون سنة طبع.
١٢٩. محمد، فاضل زكي (د)، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره، دار الطبع والنشر الأهلي، بغداد، ١٩٧٠.
١٣٠. محمد، محمد علي (د)، تاريخ علم الاجتماع، ج٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠.
١٣١. مدكور، إبراهيم (د)، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.
١٣٢. مرحبا، محمد عبد الرحمن (د)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٧٠.

١٣٣. مصطفى، شاكر (د)، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٢.
١٣٤. مهدي، رباح احمد، الجذور التاريخية لتطوير الفكر الاجتماعي العربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، ١٩٩٦.
١٣٥. موسكاتي، سبيتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧.
١٣٦. موسى، سلامة، حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٦١.
١٣٧. الموسوي، موسى، من الكندي إلى ابن رشد، دون مكان طبع، ١٩٧٢.
١٣٨. نبيل، مصطفى، اعترافات الغزالي، مجلة الهلال، مايو، ١٩٩٠.
١٣٩. نجار، رمزي، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار المعارف الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
١٤٠. النشار، علي سامي (د)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٨.
١٤١. النشار، مصطفى، الغزالي ونظرية المعرفة، مجلة عالم الفكر، مجلد ١٩، العدد٤، يناير، ١٩٨٩.
١٤٢. النوري، قيس (د) والحسني، عبد المنعم (د)، النظريات الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥.
١٤٣. الوردي، علي (د)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢.
١٤٤. يالجن، مقداد (د)، التربية الأخلاقية الإسلامية، مكتبة الخانجي للنشر،القاهرة،١٩٧٧.

المصادر الأجنبية:

1. Aisa, Adam, Al-khazzali Teachings – Beirut ,1974.
2. Back, W.T. et. Al. Modern Issues Research, John Wiley and Sons, New York, 1983.
3. Becker, H. and N. Barnes. Social Thought From Lore to Science , Vol . (1) new York .
4. Beckett ,F. M. Moslem Thinkers in the middle Ages . The Crescent Publishing House, New York , 1957.
5. Dived, L. SILLS. Encyclopedia of social Sciences. The Macmillan Co. and The Free press .New York , 1972.
6. Davis, K. Human Society, The Macmillan press, London, 1973.
7. Durkheim , Emile. The Ruler of Sociological Method, The Free press, New York, 1950.
8. Fawler, N.S. Society and Law in Islam, Longman Company Ltd ., London , 1963.
9. Frolov, I. Dictionary of Philosophy, Progress Publishers, Moscow, 1984.
10. Gillert, M.W. The Logic of Moslem Thinkers, Westing Press, London, 1961.
11. Hegel, W.F. Lectures on the History of Philosophy, Vol. 2, London, 1964.
12. Hegel, W.F. The Philosophy of Right, New York, 1959.
13. Hobbes, T. Social Contract and other Essays, New House Press, London, 1943.

14. Johnson, H. Sociology, A systematic Introduction, Routledge and Kegan Poul, 1963.
15. Kant, I. The Principles of Moral Philosophy. Evans press, London, 1955.
16. Kelsall, R.K. Population. Longman, London, 1966.
17. Kirk Patrick, A.F. Moslem Philosophy in Medieval Period, Bridge Press, London, 1979.
18. Maciver, R. Society, New York, 1951.
19. Madge, M. Tools of Social Science. Longman, London, 1968.
20. Martindale, Don. The Nature and Types of Sociological Theory, Houghton, Miffin Co. Boston, 1986.
21. Merton, R. Social Theory and Social Structure, The Free Press, New York, 1968.
22. Noah, Webster, Webster, New Twentieth Century Dictionary, Second Edition, William, Collins, 1978.
23. Othman, A.A. The Concept of Man in Islam in AlGhazali Writings, Cairo, 1960.
24. Rime, C. Inductive Logic, London, 1975.
25. Sharif, M. History of Moslim Philosophy, Vol. 1, Kemton, Germany, 1963.
26. Tomlin, E. The study of Society by Moslim Thinkers, London, 1967.
27. Walter, F.M. The Wisdom of Moslem Philosophy, Longman, London, 1968.
28. Watt, M. Moslem Ethics and Philosophy, The New Press, 1957.

Summary of the thesis

Entitled

Social Though of Al-Ghazali

(An Analytical Investigation in Comparative Social Thought)

Such a theoretical investigation aims at highlighting the social thought of Al-Ghazali who is one of the most outstanding thinkers in the Arab and Moslem World. The investigation deliberates to procure two major objectives, one of them is to objectify the eminent scientific and intellectual contributions that Al-Ghazali have made in the fields of social educational and political thought, constructions which did not only serve the development of scientific methodology and thinking in the Arab world, but served the development of science, arts and politics in the entire world as well.

The other objective of the study is to show the role of Arab scientists and thinkers in developing studies, Al-Ghazali undoubtedly, is one of these grand Arab scientists and thinkers, who rose in the medieval period to pave the bath in so many scientific specialisms for other scientists and men of letters in other countries. In fact Al-Ghazali was pioneer not only in religious, theological and legal studies, but was a pioneer in sociological and educational studies as well. He studied the nature of man thoroughly and derived from it in a logical fashion the nature of social classes and the nature of society as well.

Also, Al-Ghazali was an expert in the field of education and socialization of children according to Moslem teachings and ideology. In addition to that, he interpreted the origin and development of both society and the state. He believes that the genesis of society and the state is rooted in the human nature of man in, as much as man is by nature is a social animal. It is to be said that Al-Ghazali's thought was influenced by many variables the most important of which Islam, Greek philosophy and the social structure and events of the society he was living in.

The thesis in its entirety is composed of eleven consistent chapters. Chapter one studies the major terms and concepts used in the search like thought, social thought, human society, socialization ethical socialization, social mobility and so on. Chapter two of thesis studies the previous literature written on the subject, which is reflected in Iraqi, Arab, and foreign studies on which the researcher has depended largely in formulating the major issues and topics of his studies.

Chapter three tackles the theoretical and methodological framework of the research. The theoretical framework is objectified in the sociological theory of Al-Ghazaly that expounds the nature of man and society. And the methodological framework of research is reflected in four scientific methods namely the historical, comparative, inductive and deductive methods. Each of the methods has helped us to gather the

information needed on the chapters specified. Chapter four deals with the life and scientific biography of Al-Ghazali.

As for chapter five, it studies the major factors, which impinged on Al- Ghazali social thought and his scientific researches and writings. It is to be stated that factors which affected the scientific thought and creativity of Al-Ghazali are social political intellectual and religious factors. chapter six of the thesis deals with the scientific methods used by al- Ghazali in his academic work , such methods are historical inductive , deductive and comparative .

Chapter seven deals with the geneses of society as it is understood by the thinker. Chapter eight tackles the social and ethical education, which encompasses the social thought of Al-Ghazali. Such a chapter investigates four major areas, namely the influence of value on behaviors, socialization and ethical education approaches, the channels of social and ethical education.

As for chapter nine, it studies social classes and social mobility in Arab society and the objective and subjective factors responsible for class affiliation. Chapter ten specializes in comparing the social thought of Al-Ghazali with that of Hegel. Comte, Spencer and email Durkheim. Such a comparison indicates the similarities and differences between Al-Ghazali and other European social thinkers mentioned above. Chapter eleven tackles the summary and conclusions of the entire thesis.